الفكر التربوي عند الإمام ابن الجوزي

إعداد

فكرت إبراهيم احمد عوض

المشرف

الأستاذ الدكتور عبد ا   زاهي الرشدان

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في

أصول التربية

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار ، ٢٠٠٥

الجامعة الأردنية

نموذج التفويض

أنا فكرت إبراهيم احمد عوض ، أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي/ أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها .

التوقيع :

التاريخ : ١٨/٥/٢٠٠٥

The University of Jordan
Authorization Form

I Fikrat Ibrahim Ahmed Awad , authorize the University of Jordan to supply copies of my Thesis / Dissertation to Libraries or establishments or individuals on request .

Signature :

Date : 18-5-2005

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة (الفكر التربوي عند الإمام ابن الجوزي) وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٥/٥/٣ .

أعضاء لجنة المناقشة	**التوقيع**
- الأستاذ الدكتور عبد الله زاهي الرشدان (رئيساً) أستاذ أصول التربية.	----------
- الأستاذه الدكتوره دلال زهدي ملحس (عضواً) أستاذ أصول التربية.	----------
- الأستاذ الدكتور نعيم حبيب جعنيني (عضواً) أستاذ أصول التربية .	----------
- الدكتور محمد صايل الزيود (عضواً) أستاذ مساعد أصول التربية .	----------
- الأستاذ الدكتور عبد الله أحمد عويدات (عضواً) أستاذ أصول التربية . (جامعة عمان العربية)	----------

الإهداء

- إلى التي قدّمت لي حياتها ، أمي الحبيبة .
- إلى والدي الحبيب .
- إلى زوجي الذي قدّم لي التشجيع لإتمام هذا العمل .
- إلى الذين أخذت من وقتهم كثيراً .... إلى أبنائي الأحباء آلاء، وسعيد ، ونور ، ومحمد .
- إلى كل أحبتي .

شكر وتقدير

أتوجـه سـبحانه وتعـالى بالشكر والحمد ، الذي انعم عليّ بالقدرة على إتمام هذا العمل .

ويسرني ويسعدني أن أتقدم بوافر الشكر ، والتقدير والاحترام ، والعرفان للأستاذ الدكتور عبد ا زاهي الرشدان الذي تفضل مشكوراً بالإشـراف علـى هذه الأطروحة ، حيث منحني من وقته ، وجهده ، وعلمه الكثير . وكانت إرشاداته السديدة ، وآراؤه القيمة الضوء الذي أنار لي الدرب أثناء القيام بهذا العمل .

كمـا أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة معالي الأستاذ الدكـتور عبد ا عويدات ، والأستاذة الدكتورة دلال ملحس، والأستاذ الدكتور نعيم الجعنيني ، والدكتور محمد الزيود لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الأطروحة .

كما وأتقدم بالشكر والتقدير لكل من قدم لي يدّ العون لإتمام هذه الدراسـة، سـواء أكان ذلك بكلمة تشجيع ، أو عبارة ، أو إرشاد إلى كتاب، وجزى ا الجميع خير الجزاء .

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
- قرار لجنة المناقشة	ب
- الاهداء	ج
- شكر وتقدير	د
- قائمة المحتويات	هـ
- ملخص الرسالة .	ط
الفصل الأول : الدراسة خلفيتها وأهميتها :	١-٢٠
أولاً : الإطار النظري للدراسة :	٢
- المقدمة	٢
- مشكلة الدراسة وأسئلتها	٧
- أهمية الدراسة	٧
- هدف الدراسة	٨
- تعريف المصطلحات	٨
- الدراسات السابقة	٨
- منهجية الدراسة وخطواتها	١٢
ثانياً : ترجمة الإمام ابن الجوزي	١٣
الفصل الثاني : الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي عاصرها ابن الجوزي	٢١-٥٢
- الظروف السياسية	٢٢
• انعكاس الظروف السياسية على فكر الإمام ابن الجوزي	٣٠
- الظروف الاجتماعية	٣٠
• انعكاس الظروف الاجتماعية على فكر الإمام ابن الجوزي	٣٩
- الظروف الاقتصادية	٤٣
• انعكاس الظروف الاقتصادية على فكر الإمام ابن الجوزي	٤٦

- الظروف الثقافية • انعكاس الظروف الثقافية على فكر الإمام ابن الجوزي	٤٧ ٥١
الفصل الثالث : الأسس الفلسفية لفكر ابن الجوزي التربوي ورأيه في التربية الخلقية	٥٣-٨٦
أولاً : الأسس الفلسفية التي قام عليها فكر ابن الجوزي التربوي :	٥٤
- نظرته إلى الخالق	٥٤
- نظرته إلى العقل	٥٤
أ : العلاقة بين العقل والذكاء عند ابن الجوزي	٥٨
ب: العلاقة بين العقل والحماقة عند ابن الجوزي	٦٠
- النظرة إلى الإنسان والطبيعة الإنسانية	٦٣
- نظرة ابن الجوزي للنفس	٦٤
- ابن الجوزي ونظرته للمجتمع	٦٧
ثانياً : التربية الخلقية عند ابن الجوزي :	٦٩
- تعريف الأخلاق عند ابن الجوزي	٦٩
- الطريق إلى تهذيب الأخلاق	٧٠
- علامات حسن الخلق	٧١
- الأخلاق المذمومة وطرق علاجها	٧١
الفصل الرابع : أساليب التربية ومبادؤها ووسائطها عند ابن الجوزي :	٨٧-١٢١
أولاً : أساليب التربية عند ابن الجوزي :	٨٨
١- الأساليب العامة	٨٨
أ : سن التعليم	٨٨
ب: رأيه في الأجرة على التعليم	٨٨
ج: الثواب والعقاب	٨٩
د: تربية الحكام	٩٠
هـ: تربية المرأة في فكر ابن الجوزي	٩٤

٢. الأساليب التعليمية	٩٨
أ : المجالس الوعظية	٩٨
ب: التعليم بالقصة واستخدام الأمثلة	٩٩
ج: التعليم عن طريق القدوة	٩٩
د: التعليم عن طريق إعداد التصانيف	٩٩
ثانياً : المبادئ التربوية عند ابن الجوزي	١٠١
ثالثاً : وسائط التربية عند ابن الجوزي	١١٧
الفصل الخامس : موقف ابن الجوزي من العلم والعلماء والمتعلمين ونظرته النقدية لعلماء عصره وفئات مجتمعه	١٢٢-١٤٩
- قيمة العلم والعلماء	١٢٣
- الغاية من طلب العلم	١٢٤
- أقسام العلوم	١٢٥
- المعلم في فكر ابن الجوزي	١٢٦
- أقسام العلماء	١٢٧
- آداب العالم	١٢٨
- أهمية التصنيف وأوقاته والمراحل التي يمر بها العالم	١٢٩
- المتعلم في فكر ابن الجوزي :	١٣٠
• أنواع الطلبة	١٣
• آداب طالب العلم	١٣١
• المراحل التي يمر بها المتعلم	١٣٣
- نظرة ابن الجوزي النقدية لعلماء عصره وفئات مجتمعه :	١٣٦
- نقده لعلماء عصره	١٣٧
• نقده للقراء	١٣٧
• نقده لأصحاب الحديث	١٣٨
• نقده للفقهاء	١٣٩
• نقده للوعاظ والقصّاص	١٤٠
• نقده لأهل اللغة والأدب	١٤١

• نقده للشعراء	١٤٢
• نقده للكاملين من العلماء	١٤٢
- نقده للولاة والسلاطين	١٤٣
- نقده للعوام	١٤٥
- نقده لأصحاب الأموال	١٤٧
- نقده للفقراء	١٤٨
- نقده لجمهور العوام	١٤٨
- نقده للنساء	١٤٩
الفصل السادس : **مقارنة الفكر التربوي عند ابن الجوزي والفكر التربوي الحديث** :	١٥٠-٢٠٠
أولاً : اوجه الشبه والاختلاف بين الفكر التربوي عند ابن الجوزي والفكر التربوي في العصر الحديث	١٥١
ثانياً: درجة تطبيق أفكار ابن الجوزي التربوية في العالم العربي في عصرنا الحالي	١٩٢
الفصل السابع : **الاستنتاجات والتوصيات** :	٢٠١-٢١١
أولاً : الاستنتاجات	٢٠٢
ثانياً : التوصيات	٢١١
- المراجع	٢١٢-٢٢٨
- الملاحق	٢٢٩-٢٣٢
- الملخص باللغة الإنجليزية	٢٣٣

الفكر التربوي عند الإمام ابن الجوزي

إعداد

فكرت إبراهيم احمد عوض

المشرف

الأستاذ الدكتور عبد ا زاهي الرشدان

ملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع الفكر التربوي عند الإمام ابن الجوزي . تهدف إلى إلقاء الضوء على جوانب الفكر التربوي لدى هذا العالم ، وإبراز الأسس الفلسفية والثقافية والاجتماعية التي قام عليها فكره التربوي . وذلك للمساهمة في الكشف عن إسهامات العلماء المسلمين في مجال التربية ، ومدى الاستفادة من تلك الأفكار في وقتنا الحاضر .

ولقد حاولت هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي : ما ملامح الفكر التربوي عند الإمام ابن الجوزي ؟ . وللإجابة عن هذا السؤال كان لا بد من الإجابة عن الأسئلة المتفرعة عنه التي تتمحور حول المبادئ والأفكار والأسس التربوية المتضمنة في مؤلفاته والطرق والأساليب المتعلقة بتحصيل العلوم في عصره ، موقفه من العلم والعلماء والمتعلمين ثم مقارنة تلك الأفكار مع الفكر التربوي في العصر الحديث ، والتعرف على مدى تطبيق تلك الأفكار في العالم العربي وفي وقتنا الراهن .

وللإجابة عن تلك الأسئلة استخدمت الباحثة المنهج التاريخي ، مستعينة بالوصف والتحليل للأفكار التربوية المتناثرة في كتب ابن الجوزي المختلفة والمتوفرة .

وقـد خلصـت هذه الدراسة إلى التعرف إلى نتائج منها أن فكر الإمام ابن الجوزي مسـتمد من عقيدته السلفية ، حيث ركز على التربية الدينية الخلقية . وظهر فكره المستمد من الكتاب والسنة من خلال رؤيته للغاية من العلم المتمثلة بمعرفة ا والعمل على طاعته. كمـا قدم ابن الجوزي رؤيته لكل من المعلم والمتعلم . وقدم العديد من الأساليب والمبادئ الـتربوية والوسـائط التربوية . ولم تتوقف تربيته عند حدود المسجد أو أماكن العلم ، بل تعدت ذلك إلى تربية المرأة ، وتربية الحكام . وكانت تربيته تربية خلقية إصلاحية مستمدة مـن الحاجـة إلى إصلاح الآفات الاجتماعية التي كانت موجودة في عصره نتيجة للظروف المختلفة .

وانتهـت الدراسة إلى التقاء بعض المبادئ التربوية في فكر ابن الجوزي مع الفكر التربوي الحديث ، ومن ذلك : مراعاة الفروق الفردية ، واستمرارية التعليم ، والدعوة إلى عـدم التقلـيد ، والـتعلم الذاتـي ، وربط العلم بالعمل ، والدعوة إلى المطالعة والثقافة ، واسـتغلال قيمة الوقت ، وتربية العقل وتدريبه ، وإثارة دافعية الطلبة ، والربط بين الحفظ والفهـم . كما اختلفت بعض مبادئه مع الفكر التربوي الحديث بتركيزه على الحفظ ، وعدم الجمـع بيـن علميـن ، وفي موضوع العقاب البدني ، حيث ترفض التربية الحديثة الحفظ والتلقين ، وتعلّم العلوم المختلفة ، وترفض العقاب البدني .

وقد توصلت الدراسة إلى توصيات متعددة منها :

١. الطلب من المعنيين بالعملية التربوية الاهتمام بالمعلم ، والمتعلم ، والتركيز على الـتعلم الذاتي ، والتربية المستمرة ، وربط العلم بالعمل . وتربية العقل وتدريبه من خلال التركيز على التفكير الناقد وأسلوب حل المشكلات .

٢. الطلب من الباحثين إجراء الدراسات التالية :
- دراسة مقارنة للتربية الخلقية عند ابن الجوزي والغزالي وابن سينا .
- تربية المرأة في الفكر التربوي الإسلامي عبر العصور .
- تربية الحكام في الفكر التربوي الإسلامي عبر العصور .

الفصل الأول

الدراسة خلفيتها وأهميتها

أولاً : الإطار النظري للدراسة

ثانياً : ترجمة الإمام ابن الجوزي

أولاً : الإطار النظري للدراسة

المقدمة

يُعدّ البحث في الفكر التربوي الإسلامي أحد المجالات التي نحن بأمس الحاجة إليها في وقتنا الحالي ، وذلك لما يحتويه هذا الفكر من قيم وأهداف عظيمة نحن بحاجة لتوظيفها في تصحيح بعض مسارات التربية والتعليم .

فهـذا الفكـر ينطلق من ثقافتنا وتراثنا ومجتمعنا وهو قادر على معالجة المشكلات التـي تواجهـنا ، والتي تنبع من واقعنا ، وهو يحمل إلى ذلك في ثناياه الكثير من المبادئ والأفكـار التربوية التي ينادي بها الفكر التربوي الحديث ، وعلى الرغم من ذلك ، فما زال هـناك نقـص كبير في مثل هذه الدراسات التي تدور حول الفكر التربوي الإسلامي إذا ما قورنت بالدراسات المقدمة في مجال الفكر التربوي الحديث والمعاصر .

ودراسـة الشـعوب لماضـيها ، وبحثها في تراثها وثقافتها ، حق مشروع لها . والشـعوب العربية الإسلامية بحاجة لمثل هذه العودة ، نظرا لما وصلت إليه من تأخر في كثـير من المجالات . حيث يتطلب ذلك من المفكرين والعلماء العرب أن يأخذوا العبرة من تجـارب أمـتهم السـابقة ، وأن يخففوا من مغالاتهم في تمجيد وتقليد النظريات والأفكار الوافـدة إليهم من العالم الغربي ، كما يتطلب ذلك منهم الاعتراف بما أنجزه الفكر الإسلامي في مجالات المعرفة المختلفة على مر العصور (العمايره ، ٢٠٠٠) .

وبمـا أن الفكر التربوي كائن حي ، لا يبدأ من نقطة الصفر وإنما متصل الوجود، حيـث يعتبـر وليـد مراحل سابقة ووالد لمراحل لاحقة في الوقت نفسه (علي ، ١٩٨٧)، فـإن الفكر التربوي الإسلامي تأثر بالأفكار التربوية التي سبقته كما أثّر بالمراحل اللاحقة. وبمـا أن هذا الفكر نابع من الثقافة العربية الإسلامية ، فإن هناك حاجة ملحة لدراسة هذا الفكر للاستفادة منه في مجالات حياتنا المختلفة .

والفكـر الـتربوي العربي الإسلامي يعدّ فكراً غنياً وخصباً منفتحاً على الحضارات الإنسـانية السابقة ، كما كان له كبير الأثر في الفكر اليهودي، والمسيحي، والأوروبي في عصر النهضة . (ناصر ، ١٩٧٧) .

والفكـر التربوي الإسلامي يتميز بأصالته وقدرته على تفسير الظواهر التربوية والعلاقات الإنسـانية . كمـا يهـدف إلـى المحافظة على التراث الإسلامي الروحي ، وتدعيم مبادئ

المجـتمع وأهدافـه ، كمـا يتمـيز بقدرته على التغيير والتجديد واستيعاب مطالب العصر وروحه. (الرشدان ، ٢٠٠٤) .

ولقـد اخـتارت الباحثة الفكر التربوي عند ابن الجوزي ليكون موضوع دراستها، وذلـك لإلقـاء الضـوء علـى جوانـب الفكر المتنوعة لدى هذا المفكر ، ولإبراز قيمتها والاستفادة منها في مجال التربية والتعليم .

هـذا ، وقد تميز ابن الجوزي بنظرة نقدية ثاقبة انتقد فيها فئات مجتمعه المختلفة. كما ركز على المجالات المختلفة في التربية ، حيث اهتم بالتربية العقلية وموضوع الذكاء، والحمـق ، كما اهتم بالتربية الأخلاقية ، والتربية السياسية . وركز على فترة الطفولة ، واهـتم بالنشـئ ومـراحل تعلـيمه . وكان له العديد من المبادئ والأساليب التربوية التي ستتناولها الباحثة في الفصول القادمة .

فابـن الجـوزي الـذي يعـد "شيخ وقته وإمام عصره" . (ابن رجب ، ١٩٥٢) . يستحق منا أن ننفض الغبار عن مؤلفاته ، للتعرف على تلك الأفكار الثمينة ، وتلك المبادئ الـتربوية التـي تعطيـنا فكرة واضحة عن القرن السادس الهجري الذي عاش فيه هـذا المفكـر ، وعـن مجـتمعه وحياته ، وتربيته ، والظروف المختلفة التي أثرت في الفكر الـتربوي فـي ذلك العصر . وقد تميز ابن الجوزي عن غيره من المفكرين التربويين في عصـره كونه برز في علوم كثيرة كالتفسير والحديث ، والفقه والزهد والوعظ ، والتاريخ والطـب وغـير ذلك . وقد ساعده عمله كمؤرخ في فهم الظروف المختلفة التي عاصرها والتـي كـان لها كبير الأثر على التربية في عصره ، مما ساعده على تكوين أفكار تربوية تهدف إلى اصلاح الفرد والمجتمع .

وللـتعريف بملامح الفكر التربوي عند هذا الإمام ، فقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى سبعة فصول تم توزيعها كالآتي :

الفصـل الأول يتـناول الإطـار الـنظري للدراسة ، من حيث التعريف بموضوع الدراسة وتقديمهـا ، والتعرف إلى مشكلة الدراسة المتمثلة بالتعرف على ملامح الفكر التربوي عند ابـن الجـوزي . والتعرف إلى الأسئلة المتفرعة عن السؤال الرئيس . كما تعرف بأهمية الدراسـة والهـدف مـنها ، حيـث تقـدم الفائدة للمعلمين والمربين والمفكرين التربويين

والمتعلمين ، وتوجههم إلى كتب الإمام التربوية ، والتعريف بمحددات الدراسة ، والدراسات السابقة ومنهجية البحث وخطواته .

ويضـم الفصـل الأول ترجمة الإمام ابن الجوزي ، والهدف من ذلك التعريف بهذا الإمام قبل التعرف إلى أفكاره التربوية .

الفصـل الثانـي يتعرض إلى الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التـي عاصـرها ابن الجوزي واثر تلك الظروف في فكره . وبالتعرف إلى تلك الظروف ، استطاعت الباحثة أن تربط بين تلك الظروف وبين الأفكار التربوية الناجمة عنها .

الفصـل الثالـث يتـناول الأسـس الفلسفية التي قام عليها فكر ابن الجوزي ، كما يتعرض لتربيته الخلقية . فالأسس الفلسفية تتضمن نظرته إلى الخالق والى العقل ، وربطه بالذكـاء والحمـق ، والنظرة إلى الإنسان والطبيعة الإنسانية ، ونظرته إلى النفس ، والى المجـتمع ، ومن خلال التعرف إلى تلك الأسس ، يلاحظ أن الأسس التي قام عليها فكر ابن الجوزي ، هي تلك الأسس التي تقوم عليها الفلسفة الإسلامية ، فنظرته للخالق ، والعقل ، والإنسـان ، والـنفس ، مستمدة من نظرة القرآن ، والسنة ، إلاّ أنه توسع في نظرته إلى الـنفس ، حيـث اعـتمد فـي تعريفه للنفس على الكتاب والسنة من جهة وعلى الفلسفة اليونانية من جهة أُخرى .

أمـا بالنسبة للمجتمع فقد قسمه إلى قسمين : العامة ، والخاصة ، وقد انتقد كافة فئات المجتمع ، والأمراض الاجتماعية الموجودة في ذلك المجتمع نتيجة للتمايز الطبقي من جهة ، وتردي الأوضاع الإقتصادية الناتجة عن تدهور الأوضاع السياسية من جهة أُخرى . ونتـيجة لتلك الظروف ، ظهرت آفات اللسان ، وظهر الحقد والحسد والرياء ، والغضب ، والغـرور ، والمـباهاة ... الخ . وقد حاول ابن الجوزي علاج تلك الأمراض عن طريق استخدامه للترهيب والترغيب ، وقد ظهر ذلك في كتابه مختصر منهاج القاصدين .

الفصـل الرابع يتناول أساليب التربية ومبادئها ووسائطها عند ابن الجوزي . فعند تناوله لأساليب التربية تحدث عن الأساليب التربوية العامة متعرضاً لسن التعليم حيث رأى أنه على المتعلم البدء بالتعليم منذ سن الخامسة ، كما طلب من المعلم عدم أخذ الأجرة من المـتعلم . وتعرض لطرق عقاب المتعلم متدرجاً ابتداءً بالتغافل ، وانتهاءً بالعقاب البدني . ونتيجة للظروف السياسية التي عاصرها ابن الجوزي ، من حيث عدم الاستقرار السياسي،

وانتشـار المجـون ، وشرب الخمر ، والظلم بين أفراد الطبقة الحاكمة ، أراد ابن الجوزي تربـية هـؤلاء الحكّـام ومعالجـتهم ، فوضع كتابه الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء ، موضـحاً الأمـور التي على الحاكم مراعاتها . كما أشار في كتابه صيد الخاطر إلى الطرق التي يمكن اتباعها لوعظ الحكام .

كما تعرض إلى تربية المرأة ، وظهرت من ثنايا تلك التربية النظرة الدونية للمرأة ، حيـث شبهها تارة بالصبي ناقص العقل ، واعتبرها تارة أُخرى من السفهاء . ومن ناحية أُخـرى ، فقـد نادى بتعليم المرأة ، ورأى أنها مكلفة كالرجل ، ولكنه اقتصر على تعليمها الأمور الدينية .

أمـا الأسـاليب التعليمـية عند ابن الجوزي فقد كانت تتمثل بالمجالس الوعظية ، والتعلـيم بالقصة واستخدام الأمثلة ، والتعليم عن طريق القدوة ، والتعليم عن طريق إعداد التصانيف .

كما أن المبادئ التربوية عند ابن الجوزي كانت كما يلي :

مـراعاة الفـروق الفردية ، واستخدام أُسلوب الحفظ ، والربط بين العلم والعمل ، وعـدم الجمع بين اكثر من علم في آن واحد ، والدعوة إلى عدم التقليد ، والاهتمام بقيمة الزمـن واسـتغلاله ، والثقافة والمطالعة ، والتربية المستمرة ، والتعلم الذاتي ، والاهتمام بالعقل وتدريبه ، والعزله والاختلاط ، والربط بين الحفظ والفهم ، والدعوة إلى علو الهمة.

أمـا وسـائط التربـية في فكر ابن الجوزي فكانت تضم الأسرة وصحبة الرفاق ، والمعلـم . حيث تعرض ابن الجوزي لكل واحد من تلك الوسائط على حده ، موضحاً دوره في تربية النشئ .

وكـان الفصـل الخامس حول موقف ابن الجوزي من العلم والعلماء والمتعلمين ، وحـول نظـرته النقدية لعلماء عصره وفئات مجتمعه ، فقد تعرض لقيمة العلم والعلماء ، والغاية من طلب العلم ، كما تعرض لأقسام العلوم وأنواع العلماء والمتعلمين والآداب التي علـى المعلـم والمـتعلم التحلي بها ، كما تحدث عن المراحل التي يمر بها كل من العالم والمـتعلم ، ومـن ثـم أظهرت الدراسة الانتقادات التي قام بها ابن الجوزي لعلماء عصره وفـئات مجتمعه ، ونتيجة لوعيه بعيوب مجتمعه ظهرت تربيته الخلقية العلاجية الاصلاحية التي تهدف إلى إصلاح تلك العيوب .

الفصـل السـادس قارن الفكر التربوي عند ابن الجوزي والفكر التربوي الحديث ، حيـث تـم طرح المبادئ التي يقوم عليها الفكر التربوي الحديث ، وذلك من أجل التعريف بالتربـية فـي العصـر الحديـث ، ومن ثم مقارنة المبادئ والأفكار والأساليب التربوية ، والغايـات ، والأهداف ، وأقسام العلوم ، والنظرة إلى المعلم ، والمتعلم ، والمادة التعليمية في فكر ابن الجوزي والفكر التربوي الحديث .

وكذلك تم التعرف إلى درجة تطبيق تلك الأفكار في العالم العربي في العصر الحالي.

الفصـل السابع تعرض للاستنتاجات والتوصيات التي توصلت لها الدراسة ، وذلك مـن خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة بهدف التعرف إلى جوانب الفكر التربوي عند الإمام ابـن الجـوزي من خلال التوصل إلى نتائج منها ، أن فكر الإمام إبن الجوزي مستمد من عقـيدته السلفية ، حيث ركز على التربية الدينية الخلقية ، وظهر فكره المستمد من الكتاب والسـنة من خلال رؤيته للغاية من العلم المتمثلة بمعرفة ا والعمل على طاعته ، وكذلك فقد قدمت الدراسة رؤية ابن الجوزي للمعلم والمتعلم ، وأظهرت أساليبه ومبادئه التربوية ، ونظرته إلى تربية المرأة ، وتربية الحكام ، ونقده لعلماء عصره وفئات مجتمعه .

وانتهـت الدراسة إلى التقاء بعض المبادئ التربوية في فكر ابن الجوزي مع الفكر الـتربوي فـي العصر الحديث ، ومن هذه المبادئ : مراعاة الفروق الفردية ، واستمرارية التعلـيم ، والدعـوة إلى عدم التقليد ، والتعلم الذاتي ، وربط العلم بالعمل ، واستغلال قيمة الزمـن ، وتربـية العقل وتدريبه ، وإثارة دافعية لطلبته ، والربط بين الحفظ والفهم . كما اختلفـت بعـض مبادئه مع الفكر التربوي في العصر الحديث بتركيزه على الحفظ ، وعدم الجمـع بيـن علميـن ، وفـي موضوع العقاب البدني حيث ترفض التربية الحديثة الحفظ والتلقين ، وتدعو إلى تعليم العلوم المختلفة في آن واحد ، وترفض العقاب البدني .

وقـد توصـلت الدراسـة إلى توصيات متعددة منها الطلب من المعنيين والمهتمين بالعملـية التعليمـية الاهـتمام بالمعلم ، والمتعلم ، والتركيز على التعلم الذاتي ، والتربية المسـتمرة ، وربط العلم بالعمل ، والدعوة إلى عدم التقليد والتركيز على الإبداع ، وتربية العقـل وتدريبه من خلال التركيز على التفكير الناقد وأسلوب حل المشكلات ، وكذلك دعت الباحثـين إلـى إجراء الدراسات التالية : دراسة مقارنة للتربية الخلقية عند ابن الجوزي والغزالـي وابـن سينا ، وتربية المرأة في الفكر التربوي الإسلامي عبر العصور ، وتربية الحكام في الفكر التربوي الإسلامي عبر العصور .

مشكلة الدراسة وأسئلتها :

تتمثل مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيس التالي :

- ما ملامح الفكر التربوي عند الإمام ابن الجوزي ؟

وتتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية :

- ما المبادئ والأفكار والأسس التربوية المتضمنة في مؤلفات ابن الجوزي ؟
- ما الأساليب التربويه التي اتبعها ابن الجوزي في تحصيل طلابه للعلوم ؟
- مـا أوجـه الـنقد التـي وجهها ابن الجوزي إلى العلماء والفئات الأخرى من مجتمعه ؟
- ما أوجه الشبه والاختلاف بين الفكر التربوي عند ابن الجوزي والفكر التربوي في العصر الحديث ؟
- ما درجة تطبيق هذه الأفكار التربوية في العالم العربي في عصرنا الحالي ؟

أهمية الدراسة :

وتعود أهمية هذه الدراسة إلى أنها تتناول علماً من علماء المسلمين ، قضى معظم وقـته في الجمع والتصنيف والتأليف حتى تجاوزت كتبه الثلاثمائة ، والتي تدل مضامينها المخـتلفة من حديث ، وأدب ، وتفسير ، وتاريخ ، ووصايا ، ووعظ ٠٠٠ وغيرها ، على سعة علمه ، وتنوع معارفه ، ومع ذلك فهو لم يلق كبير عناية من الباحثين والدارسين في مجـال التربـية والفكر التربوي ، لبيان ما انطوت عليه تصانيفه المتعددة من اهتمام بهذا المجـال ، ولهذا فستحاول الدراسة إلقاء الضوء على فكر الإمام ابن الجوزي التربوي وما قدمـه مـن إسهامات كثيرة خدمة للإسلام والمسلمين ، من خلال استعراض المتوافر من مصنفاته ومؤلفاته ، ومقارنة أفكار ابن الجوزي مع الأفكار التربوية الحديثة . وكذلك تبرز أهمـية هذه الدراسة في الفائدة التي تقدمها للمربين والمفكرين ورجال العلم ، والمعلمين ، والمتعلميـن مـن خلال تعريفهم بأهم أفكار ابن الجوزي التربوية والتي يمكن تطبيقها في وقتنا الحاضر . كما توجه عنايتهم إلى أهم كتب الإمام التربوية .

هدف الدراسة :

تهـدف الدراسـة إلى إلقاء الضوء على جوانب الفكر التربوي عند ابن الجوزي ، وإبـراز الأسس الفلسفية والثقافية ، والاجتماعية التي قام عليها هذا الفكر ، للمساهمة في الكشف عن إسهامات العلماء المسلمين في مجال التربية والفكر التربوي .

تعريف المصطلحات :

رأت الباحثة تعريف المصطلح الوارد في العنوان وهو الفكر التربوي .

التعريف العلمي للفكر التربوي :

فقد عرّفه ناصر (١٩٩٦) بأنه جزء من الفكر العام وهو عبارة عن نوع من الفكر الإنسـاني يبحـث في النظام التربوي ويتكون من مجموعة من العناصر المختصة بالعملية الـتربوية التي تتمحور حول المعلم والمتعلم والمنهاج وطرق التدريس والإدارة التربوية ، وأماكن التعليم ... الخ . كما يعتبر الفكر التربوي نتاجاً عقلياً ، يستخدم العمليات العقلية الرئيسـية كالتصـور ، والتخـيل ، والاسـتنتاج والاستدلال القائم على الإدراك فالمعرفة، فالسلوك الناتج عن الخبرة المستخدمة في المجالات التربوية المختلفة .

التعريف الإجرائي للفكر التربوي في هذه الدراسة :

هـو مجموعة الآراء والأفكار التي انتجها عقل ابن الجوزي الموجهه نحو التربية والتعليم ويمكننا تتبعها في مؤلفاته المختلفة التي تتعلق بالعملية التعليمية التعلمية المتمثلة فـي الأهـداف التربوية ، والمجالات التربوية ، والتطبيقات التربوية من حيث النظرة إلى المعلم ، والمتعلم ، والمنهاج ، والمبادئ والأساليب التربوية .

الدراسات السابقة :

كـان هـناك بعـض الدراسات السابقة ذات العلاقة بالموضوع ، التي استعانت بها الباحـثة لتنـير لها الطريق في دراستها . حيث استطاعت من خلال هذه الدراسات التعرف علـى الجوانـب التي لم يتم التركيز عليها حيث قامت الباحثة بدراستها بعمق وشمولية ، ومن ثم عرضها ومن هذه الدراسات :

قـام علـي (١٩٨٩م) بدراسـة ، بعنوان : (نقد ابن الجوزي للعلماء) ، حيث اتبع الباحث المنهج الوصفي التفسيري ، وقد هدفت الدراسة إلى إبراز نقد ابن الجوزي للعلماء، الـذي يظهـر لـنا في كتابه نقد العلم والعلماء أو (تلبيس إبليس) ، حيث أظهرت الدراسة بعـض الـنماذج لبعض الأخطاء التي يقع فيها عدد من علماء المسلمين في ذلك الكتاب ، ومن هذه النماذج القراء ، وأصحاب الحديث والفقهاء .

وقـد خلـص الباحث إلى نتائج متعددة كالتركيز على أهمية المناقشة والحوار بين العلمـاء ، ودور ذلك في إثراء الفكر ، ودلالة النظرات النقدية على عمق الفكر والثقافة ، كما أظهرت الدراسة اهتمام ابن الجوزي بالعقل ، وعلاقته بالحواس ، وحدوده .

أمـا احمد (١٩٨٧م) فقد قام بدراسة بعنوان (الذكاء عند ابن الجوزي) ، وقد اتبع الباحث المنهج التاريخي التفسيري في دراسته ، حيث هدف إلى الكشف عن مدى مساهمة المسـلمين في بحوث الذكاء ، وانهم سبقوا أوروبا في ذلك بستة قرون ، حيث يظهر ذلك فـي كـتاب "الأذكـياء" لابن الجوزي، وقد استعرض الباحث كتاب "الأذكياء" بأبوابه الثلاثة والثلاثيـن التـي تتناول فضل العقل وماهيته ، والتعريف بمعنى الذهن ، والفهم والذكاء ، هـذا، وقـد اعتبر الباحث الكتاب بمنزلة بحث في سيكولوجية الذكاء ، حيث يتناول الذكاء بالتحديد النظري ، ثم يدرسه في علاماته ، ويتتبع مظاهره في الطوائف المختلفة من الناس والحيوان . كما توصل الباحث إلى أن ابن الجوزي يرى أن المظاهر العقلية في الإنسان لها مبادؤها في الحيوان ، وأن الحيوان لا يتعامل بالغريزة وحدها ولكن لديه بصيص من ذكاء، من نوع ما يختلف قوة وضعفاً باختلاف مكانة الحيوان من سلم الكائنات الحية .

هـذا ، وقـد قام عبد ا (١٩٨٦م) بدراسة بعنوان (ابن الجوزي وتربية العقل) ، حيـث اتبع الباحث المنهج الوصفي التفسيري ، كما هدف الباحث إلى معرفة مفهوم العقل عـند ابـن الجـوزي ، وقد توصل الباحث إلى أن ابن الجوزي يرى أن لفظة "عقل" تطلق للدلالـة علـى أربعة معان : حيث يتمثل المعنى الأول في الاستعداد الذي يمكن المرء من اكتسـاب العلـوم وهـو ما قصده آخرون عندما قالوا بأنه نور يقذف في القلب يستعد به لإدراك الأشـياء ، أما المعنى الثاني فهو الذي وضع في الطباع بجواز الجائزات واستحالة المسـتحيلات ، ومـثال ذلك أن يدرك المرء أن الاثنين اكثر من الواحد ، أما المعنى الثالث فهو العلوم التي تستفاد من التجارب والخبرات التي يمر بها المرء ، أما المعنى الرابع فهو معرفة عواقب الأمور التي تقود إلى قمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة .

هـذا ، وقد ربط ابن الجوزي بين كمال العقل وبين طاعة الله ، فالعقل ليس بالكيان المستقل ولا بالسيد المطلق الذي يحدد للإنسان تصرفاته دون الرجوع إلى أوامر الله ونواهيه ، فالوظيفة الحقيقية للعقل المسلم أن يدرك أن الله هو خالقه ، أما وظيفة العقل فيما يتعلق بأمور الحياة فهو إدراكها على الوجه السليم واختيار الحل المناسب .

كما قام الفالح (١٩٧٩م) بدراسة بعنوان (ابن الجوزي ونظراته في التربية والتعليم) ، وهدفت الدراسة إلى التعريف بابن الجوزي ووجهة نظره في التربية والتعليم ، وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي في هذه الدراسة حيث لم يقدم الباحث تحليلاً لتلك الآراء في العصر التي ظهرت فيه ، وقد أظهرت الدراسة أهمية العقل ودوره في التربية والتعليم، وأهمية البعد النفسي في التربية والتعليم ، كما خاص الباحث إلى ضرورة الاستزادة من العلم وبذل الهمة في طلبه ، واقتران العلم والعمل ، والتركيز على الجانب العقائدي في التعليم ، واعتباره الأساس الذي يقوم عليه التعليم ، كما توصل إلى أهم طرائق التعلم والتعليم عند ابن الجوزي كالصبر في طلب العلم ، ووسائل حفظ العلم وأوقات الحفظ .

كما قام عبد العال (١٩٨٤ م) بدراسة بعنوان "من ملامح الفكر التربوي عند الإمام أبي الفرج بن الجوزي (تربية الطفل) " ، حيث اتبع الباحث المنهج الوصفي التفسيري ، وهدفت الدراسة إلى إبراز اهتمام ابن الجوزي بمرحلة الطفولة ، وذلك لأهميتها في بناء أساس شخصية الإنسان ، ذلك أنه في هذه المرحلة تُرسى أُسس الأخلاق الفاضلة ، وهي مرحلة المرونة والقابلية للتعلم ، كما ابرز الباحث مفهوم الذكاء عند ابن الجوزي وعلاقته بالسلوك والتحصيل والأخلاق ، كما تعرض الباحث لمفهوم التنشئة الاجتماعية عند ابن الجوزي والعوامل التي تحدد عملية التنشئة ومؤسسات التنشئة الاجتماعية وأساليبها .

وقد توصل الباحث إلى أن ابن الجوزي قد ربط بين الذكاء والتحصيل من جهة ، والذكاء والسلوك من جهة أُخرى ، وأبرز أن العوامل التي تحدد عملية التنشئة الاجتماعية في نظر ابن الجوزي تتمثل في الميراث البيولوجي للطفل ، وقابليته للتعلم ومرونة طبيعتة الإنسانية ، كما رأى بأن مؤسسات التنشئة الاجتماعية عند ابن الجوزي تتمثل في الأسرة وجماعة الرفاق ، وكبار الراشدين وأن أساليب التنشئة الاجتماعية تتمثل في الثواب والعقاب ، والتوجيه والنصيحة .

أما الخولي (١٩٩٠م) فقد قام بدراسة بعنوان "التربية والتعليم عند ابن الجوزي" .

وقد اتبع الباحث المنهج التاريخي مستعيناً بالتفسير والتحليل ، وهدفت الدراسة إلى التعريف بابن الجوزي ، ومجتمعه ، ورؤيته لمجتمع بغداد، كما هدفت إلى التعريف بالنفس، والقلـب ، والعقـل ، والـروح عند ابن الجوزي ، ومفهومه للتربية الأسرية وللمعرفة ، والـتعرف علـى الشروط الواجب مراعاتها من قبل طالب العلم ، والتعرف على مؤسسات التربية .

وقد خلصت الدراسة إلى إعطاء صورة عامة عن التربية والتعليم عند ابن الجوزي مـن حيـث الأسس الفلسفية التي قامت عليها أفكاره التربوية ، وقد تم التعرض لذلك في الدراسـات السـابقة ، كما أعطتنا صورة عامة عن مؤسسات التربية ، وشروط طلب العلم ومفهوم التربية الأسرية .

ممـا سـبق رأت الباحثة أن الدراسات السابقة وإن كانت أفادت الباحثة في بعض جوانـب دراستها إلاّ أنها تختلف عنها في مناح متعددة ، إذ إن بعضها اقتصر على جانب واحد من جوانب الفكر التربوي عند ابن الجوزي فمثلاً ركزت الدراسة الأولى على نقد العلم والعلمـاء ، بيـنما ركزت دراسة كل من احمد وصالح على الجانب العقلي ، وقد ركز عبد العال في دراسته على التنشئة الاجتماعية للطفل .

أما دراسة الخولي – وهي الأكثر اتصالا بدراسة الباحثة ، والأكثر نفعاً - فقد غطت عـدة جوانب من فكر ابن الجوزي إلاّ أنها كانت تميل إلى الإيجاز والاختصار لضيق المقام الذي كتبت فيه.

وبعد استعراض تلك الدراسات فإن هذه الدراسة تتميز بما يلي :

- تتتبع الأفكار التربوية للإمام في سائر كتبه ومصنفاته ، وبحيث لا تقتصر على كتاب واحد ، أو مجال واحد بعينه كما في الدراسات السابقة .
- تتناول تلك الأفكار التربوية بصورة اكثر شمولاً وأبعد عمقاً مما هي عليه الدراسات السابقة التي تسنى النظر فيها ، إذ وجد أنها لم تُستوفِ فيها دراسة الأفكار التربوية للإمام ، فقد كانت محكومة بضيق المجال الذي كتبت فيه .
- تنظر في مدى ملاءمة الأفكار التربوية التي تضمنتها كتب ابن الجوزي للعصر الذي عاش فيه ، وأثر هذه الأفكار في العملية التربوية في ذلك الزمن.
- تعمـل علـى إجراء مقارنة الأفكار التربوية الأساسية عند ابن الجوزي وتلك التي تقابلها في الفكر التربوي الحديث لمعرفة مدى الاتفاق أو الاختلاف بينها.

- تـنظر في قابلية توظيف أفكار الإمام التربوية ، في العملية التربوية في العصر الحديث ، في العالم العربي .

منهجية الدراسة وخطواتها :

تعـتمد هـذه الدراسة المنهج التاريخي ، مستعينة بالوصف والتحليل وذلك باتباع الخطوات التالية :

- تحديد مصادر الدراسة ومراجعها الأولية والثانوية .
- تحديد المفاهيم والمصطلحات الواردة في الدراسة .
- تحديـد العصـر ، والفـترة الزمنية ، مع إعطاء لمحة تاريخية ، وسياسية ، وثقافية، واقتصادية ، واجتماعية ، عن عصر هذا العالم .
- محاولـة اسـتجلاء صورة العملية التربوية في عصر الإمام / ابن الجوزي من خـلال مـا ألـف مـن كتب أو وضع من دراسات قديمة أو حديثة تتعلق بذلك العصر.
- قـراءة تراث الإمام ابن الجوزي ، وما خلفه من كتب ومصنفات ، في محاولة لاستقصاء الأفكار التربوية التي تضمنتها .
- مقارنـة الأفكـار التربوية الواردة عند الإمام ابن الجوزي مع الأفكار التربوية الحديثة .
- النظر في إمكانية توظيف أفكار الإمام ابن الجوزي التربوية في العملية التربوية في العصر الحديث عربياً وإسلامياً .

ثانياً : ترجمة الإمام ابن الجوزي *:

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر ابن عبد الله ابن الفقيه عبد الرحمن ابن الفقيه بن محمد ابن خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق. القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي، صاحب التصانيف. (الذهبي، ١٩٩٦م).

وقد نُسِب جعفر الجوزي إلى فرضة من فرض البصرة تسمى جوزة (ابن رجب، ١٩٥٢م). كما ذكر الجوهري بأن فرضة النهر ثلمته التي يسقى منها، وفرضة البحر هي المكان التي تحُط فيه السفن وجمعها فراض (سبط الجوزي، ١٩٥٢م)، وذكّر الذهبي (د.ت)، بأن جدهم عرف بالجوزي لوجود شجرة جوز في داره لم يكن غيرها في واسط.

لقد ورد في كثير من كتب التراجم أن كُنيَته: (أبو الفرج)(أبو شامه ، ١٩٧٤) **، كما انفرد ابن جبير في تكنيَته بأبي الفضائل. (ابن جبير، ١٩٥٩) وكان يلقبه وهو صغير بالمبارك. (ابن رجب، ١٩٥٢) . وكان يلقب بـ (جمال الدين) . (ابن الساعي ، ١٩٣٤) . وعُرف أيضاً بالصفار ، وقد قال سبط ابن الجوزي في ذلك: "وكان له عمة صالحة، وكان أهلها تجاراً في النحاس، ولهذا رأيت في بعض سماعاته وكتب عبد الرحمن الصفار" (سبط ابن الجوزي، ١٩٥٢) .

وُلد ابن الجوزي في بغداد بدرب حبيب عام ٥١٠ هـ تقريباً، وقد كان أبو الفرج ابن الجوزي يقول: (لا أتحقق مولدي غير أن والدي مات سنة أربع عشرة، وقالت الوالدة: كان لك من العمر نحو ثلاث سنين) . (ابن خلكان، ١٩٧١) . وقد ذكّر الذهبي بأنه وُلد سنة عشر وخمسمائة أو قبلها(الذهبي،د.ت) ، كما ذكر في كتابه سير أعلام النبلاء أنه وُلد سنة تسع أو عشر وخمسمائة. (الذهبي، ١٩٩٦) .

---

* لمزيد من التفاصيل حول ترجمته انظر :
The New Encyclopedia Britannica (Volume 6, P 217)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الأصفهاني (٥: ٤٣٥ – ٤٥)، الإعلام ووفيات الأعلام للذهبي (ص ١٣٤٠) .
الوافي بالوفيات للصفدي ج ١٨ (ص ١٠٩ – ١١٧) .
تذكرة الحفّاظ للذهبي (ج٤ ص ١٣٤٢ – ١٣٤٧).
الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (ج١، ص٤٠٠).
وفيات الأعيان لابن خلكان (٣ : ١٤٢)، عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فأكثر لجميل بك العظم ص(٣٩ – ٤٥)

** انظر أيضاً ابن الفرات (التاريخ:٤ ،٢١٠/٢) ، وابن تغزي بردي (النجوم الزاهرة : ١٧٥/٦) ، وابن الوردي (التاريخ : ١٧٧/٢) .

توفـي والـد ابن الجوزي وله من العمر ثلاث سنوات. (سبط الجوزي، ١٩٥٢)، فكفلته عمته، فلما ترعرع أخذته عمته إلـى مسجد أبي الفضل بن ناصر، فاهتم به وأسمعه الحديـث. وحفـظ القرآن وقرأه على جماعة من أئمة القراء. (ابن رجب، ١٩٥٢) . وتعلم الوعظ واشتغل بفنون العِلم المختلفة، وصنف كُتباً كثيرة، وحضر مجالسه العلماء والخلفاء والوزراء، (ابن رجب، ١٩٥٢) .

هـذا ، وقد تميز ابن الجوزي بعلوم كثيرة حيث وضع تصانيفه فـي مناح مختلفة، ومـن هذه العلوم: علم التفسير، والحديث، وتواريخ السِيَر، وعلم العربية، وعِلم الأصول، وعِلـم الفقـه، وفي المناقب، وفي الرقائق، وفي الرياضيات *، وفي الطب، وفي الأشعار، وفي الوعظ.(سبط الجوزي، ١٩٥٢) .

وقد قال ابن الجوزي فـي ذلك: "إني رجلٌ حُبب إلي العِلم زمـن الطفولة فتشاغلت بـه، ثم لم يحبب إلي فنٌ واحد منه، بل فنونه كلها، ثم لا تقتصر همتي في فن على بعضه، بـل أروم استقصـاءه، والـزمان لا يتسع، والعمـر أضيـق، والشـوق يقوى، والعجـز يظهر، فيبقـى وقوف بعض المطلوبـات حسرات) (ابن الجوزي، ٢٠٠٤أ) .

أمـا أسـاتذته وشيوخه فقد ذكّر ابن الجوزي في مشيَخته (١٩٧٧م) ستة وثمانين شـيخاً، وثـلاث شَيخات وقال بعد أن فرغ من ذِكرهم: "وقد سمعت من جماعة غيرهم ولي إجازات من خَلق يطول ذِكرهم".

وقد أورد الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء بعضاً من هؤلاء الشيوخ قائلا: (سمع مـن أبي القاسم بن الحصين، وأبي عبد ا الحسين بن محمد البارع وعلي بن عبد الواحد الديـنوري، وأحمـد بـن أحمد المتوكلي، وإسماعيل بن أبي صالح المؤذن، والفقيه أبـي الحسـن بـن الزاغونـي وهبة ا بن الطبر الحريري، وأبي غالب ابن البناء، وأبي بكر محمد بن الحسين المزرفي ، وأبـي غالب محمد بـن الحسن الماوردي، وأبي القاسم عبد

* تلمس الباحثة بأن سبط الجوزي كان يعني بالرياضيات رياضة النفس ، لأن الكتب التي صنفها ضمن هذا التخصص مثل (تلبيس ابليس ، وذم الهوى ٠٠ الخ) كتب تختص برياضة النفس ، والحث على العلم ، والأخلاق .

ا بـن محمـد الأصبهاني الخطيب، والقاضي أبي بكـر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، وإسماعيل ابن السمرقندي، ويحيى ابن البناء، وعلي بن الموحد، وأبي منصور بن خيرون، وبـدر الشيخي، وأبي سعد أحمد بن محمد الزوزني، وأبي سعد أحمد بـن محمد البغدادي الحـافظ، وعـبد الوهاب بـن المبارك الأغاطي الحافظ، وأبي السعود أحمد بن علـي بن المُجلـي، وأبي منصور عبد الرحمن بن زريق القزاز، وأبي الوقت السخري، وابن ناصر، وابن البطي، وطائفة مجموعهم نيف وثمانون شيخاً). (الذهبي، ١٩٩٦).

أمـا بالنسـبة لتلامـيذه ، فقد حدث عن ابـن الجوزي ولده محيي الديـن يوسف أسـتاذ دار المعتصم با ، وولده الكبيـر علي الناسخ، وسبطه الواعظ شمس الدين يوسف بـن قزغلـي الحنفي صاحب (مرآة الزمان)، والحافظ عبد الغني، والشيخ موفق الدين بن قدامـة، وابـــن الدبيثـي، وابـن النجار، وابـن خليـل، والضياء، واليَلْداني، والنجيب الحراني، وابن عبد الدائم وآخرون. وبالإجازة الشيـخ شمس الديـن عبد الرحمن والخضر بن حمويه، والقطب بن عصرون، وابن البخاري، وأحمد بن أبي الخير. (الذهبي، ١٩٩٦).

وبالنسـبة لمؤلفاته فقد "قال الحافظ الذهبي: ما علمت أن أحداً صنف ما صنف هذا الـرجل". (ابـن العمـاد الحنبلي، ١٩٩٨) ، وذكر ابن كثيـر: "وجمـع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف". (ابن كثير، ١٩٧٧) .

ولقد أورد العلوجي ، (١٩٦٥) ٥٧٤ كتاباً للإمام ابن الجوزي *.

وذكر مقبل (١٩٩٧) الكتب المطبوعة التي توصل إليها في الملحق رقم (١) .

هذا وقد قـام سبط الجوزي بتصنيف مولفات ابن الجـوزي حسب موضوعاتهـا، وقـد بلغـت هـذه المولفـات (٢١٧) مؤلفـاً. (سـبط الجـوزي ، ١٩٥٢) كمـا ذكـر الصفـــدي (١٧) مؤلفاً (الصفدي، ١٩٩١) .

* أنظر أيضاً : ناجية عبد الله إبراهيم قراءة جديدة في مؤلفات ابن الجوزي /٢٠٠٢ م

أما كتب الإمام ابن الجوزي التي استعانت بها الباحثة في دراستها فتوجد في ملحق رقم (٢) .

كمـا كانت لابن الجوزي مكانـة رفيعة بيـن العلماء، فقد كان واعظاً بليغاً يحضر مجلسـه الخلفاء وكبار العلماء والمحدثين. كما كان عالماً في مختلف العلوم ، له تصانيف كثيرة في كل علم.

وستعرض الباحثة بعض الآراء والأقوال التي وصفت ابن الجوزي.

وَصَـفه ابن العماد بأنه: "الواعظ المتفنن وصاحب التصانيف الكثيـرة الشهيرة في أنـواع العِلـم مـن التفسير والحديث والفقـه والزهد والوعظ والأخبار والتاريـخ والطب وغيـر ذلـك" (ابن العماد، ١٩٩٨).

كمـا وصفه ابن خلكان بقوله: "كان علامة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، صنف في فنون عديدة". (ابن خلكان، ١٩٧١).

كمـا قـال عنه ابن كثير بأنه: " أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره". (ابن كثير، ١٩٧٧م).

أما ابن رجب فقد قـال عنـه: "شيـخ وقته وإمـام عصره". (ابن رجب، ١٩٥٢).

ومن ناحية أخرى فقد انتقده ابن رجب قائلاً : "نقم عليه جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمـتهم مـيله إلـى التأويل في بعض كلامه، واشتد نكيرهم عليه فـي ذلك، ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف، وهو وإن كان مطلعاً على الأحاديث والآثار فلم يكن خبيراً بحل شُبه المتكلمين وبيان فسادها. وكان معظماً لأبي الوفاء بن عقيل، متابعاً لأكثر ما يجده مـن كلامـه، وإن كان قد رد عليه في بعض المسائل، وكان ابن عقيل بارعاً فـي الكلام.

ولـم يكـن تام الخبرة بالحديث والآثار، فلهذا يضطرب فـي هذا الباب وتتلون فيه آراؤه، وأبو الفرج تابع له في هذا التلون". (ابن العماد، ١٩٩٨) .

وقـال الشـيخ موفـق الدين المقدسي: "كان ابن الجوزي إمام أهـل عصـره في الوعظ، وصنف في فنون العِلم تصانيف حسنة، وكـان صاحب فنون، وكـان يدرس الفقه ويصـنف فـيه،وكـان حافظاً للحديث، وصنف فيه، إلا أننا لم نرضَ عـن تصانيفه فـي السنة ولا طريقته فيهـا. (ابن العماد، ١٩٩٨).

وقـال الموفق عبد اللطيف: "كان ابـن الجوزي لطيف الصورة، حلو الشمائل رخيم الـنغمة، موزون الحركات والنغمات، لذيذ المفاكهة، يحضر مجلسه مائة ألف أو يزيدون *، لا يضيع من زمانه شيئاً، يكتب في اليوم أربعة كراريس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلداً إلى ستين ، وله في كل عِلم مشاركة، لكنه كان في التفسير من الأعيان، وفـي الحديـث مـن الحفاظ، وفي التاريخ من المتوسعين، ولديه فقه كافٍ، وأما السجـع الوعظـي فله فيه ملكة قوية، إن ارتجـل أجـاد، وإن روى أبدع". (ابن رجب، ١٩٥٢).

أما الذهبي فقد قال عنه: "وكان رأساً في التذكيـر بلا مدافعة، يقـول النظم الرائق، والنـثر الفائق بديهاً، ويُسهبُ، ويُعجِبُ، ويُطربُ، ويُطنِبُ، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حاملُ لواء الوعظ والقيّم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحُسـن السيرة، وكان بحراً في التفسير، علامة في السِيَر والتاريـخ، موصوفـاً بحُسـن الحديـث، ومعرفـة فنونـه، فقيهاً، عليماً بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة...، ذا تفنن وفهـم وذكـاء وحفـظ واستحضـار، وإكباب علـى الجمـع والتصنيف، مـع التصون والتجمل، وحسن الشارة، ورشاقـة العبارة، ولطف الشمائل، والأوصاف الحميدة، والحرمة الوافـرة عند الخاص والعام، ما عرفت أحداً صنف ما صنف". (الذهبي،١٩٩٦م).

وقـال فيه ابن جبير عندما حضر مجالس وعظه في بغداد: "... ما كنا نحسب أن مـتكلما في الدنيا يُعطى من ملكة النفوس والتلاعب بها ما أعطي هذا الرجل، فسبحان من يخص بالكمال من يشاء من عباده لا إله غيره". (ابن جبير، ١٩٥٩).

* ترى الباحثة أن هناك مبالغة كبيرة في عدد الحضور .

هـذا ، واشتهر العصر الذي عاش فيه ابـن الجوزي بانتشار المدارس – وسوف نوضـح ذلك عند الحديث عن الظروف الثقافية – حيث أنشأ نظام الملك المدارس النظامية في بغداد وغيرها من المدن الإسلامية.

ونظـراً لمكانـة ابـن الجـوزي العلمية واشتهاره بالوعظ، وتعدد تصانيفه فقد تم اختيـاره للعمـل فـي مـدارس بغـداد، حيـث درس فـي خمـس مـدارس (*The New Encyclopedia Britannica, Vol 6, 1995*).

وقـبل أن يعمل مدرساً عمل معيداً عند الشيـخ أبي حكيم النهرواني، وقد بنى تلك المدرسـة ابـن السمحل بالمأمونية وقد كان لابن حكيم مدرسة بباب الأزج، فلما احتضر أسندهـا إلى ابن الجوزي فدرس في كلتا المدرستين. (ابن رجب، ١٩٥٢) .

ثم بنى ابن الجوزي مدرسة بدرب دينار، ودرس فيها سنة سبعين، ودرس في أول يوم له في تلك المدرسة أربعة عشر درساً من فنون العلم المختلفة.

ثـم عمل في مدرسة "بنفشا" حيث قامت الجهة[1] "بنفشا" بتسليمها إلى ابن الجوزي، دون طلـب مـنه، وكتب في كتاب الوقف" أنها وقف على أصحاب أحمد" ، كما كتبت على حائطهـا اسـم الإمـام أحمـد وأوضحت بتفويضها إلى الإمام ابن الجوزي. وقد ألقى ابن الجـوزي فـي تلك المدرسـة دروساً كثيـرة في الأصول والفروع. وكان يحضر درسه أعداد كبيرة تصل إلى الألوف تقف علـى باب المدرسة. (ابن رجب، ١٩٥٢) .

أمـا المدرسة الخامسة التـي درس فيهـا ابن الجوزي فهـي مدرسة الشيخ عبد القـادر. وقـد أوضـح الذهبي (١٩٩٦) ذلك في كتابه سِيَر أعلام النبلاء قائلا: "درس ابن الجوزي بمدرسـة ابن السمحل، وبمدرسة الجهة بنفشا، وبمدرسة الشيخ عبد القادر. وبنى لنفسه مدرسة بدرب دينار ووقف عليها كتبه".

[1] الجهة : تعني زوجة الخليفة .

وقـد تحدث ابن الجوزي عن مدارسه قائلا: "وصار لي اليوم خمس مدارس ومائة وخمسون مصنفاً في كل فن وقد تاب على يدي أكثر من مائة ألف، وقطعت أكثر من عشرة آلاف طائلـة ، ولـم ير واعظ مثل جمعي، فقد حضر مجلسي الخليفة والوزيـر، وصاحب المخزن، وكبار العلماء، والحمد على نعمه" .(ابن رجب، ١٩٥٢) .

أما بالنسبة لمجالس وعظه فقد أُذِن لـه بالجلوس للوعظ في باب بدر فـي ساحة قصـور الخلـيفة، وبحضـرة الخليفـة. كما كان يتكلم في جامـع المنصور. (ابن رجب، ١٩٥٢) .

وكان لابن الجوزي ثلاثة أولاد ذكور: عبد العزيز، وقد مات شاباً فـي حياة والده، حيث كان أكبر أولاده، وتوفي سنة أربع وخمسين. (ابن كثير، ج ١٣ ، ١٩٧٧).

وقـد درس الفقـه على مذهب الإمام أحمد وسمع إلى طائفة من مشايخ والده، ثم انـتقل إلـى الموصل ووعظ فيها، ويُقال أن أبناء الشهرزوري حسدوه علـى موضعه في الموصل فدسوا لـه السم فمات. (سبط الجوزي، ١٩٥٢) .

أمـا ولـده محيـي الدين أبو محمد يوسف بـن عبد الرحمن فقد كـان محتسب بغـداد، وقـد درس فـي المدرسـة المستنصرية لطائفة من الحنابلة، ثم أصبح أستاذ دار الخلافة. (ابن خلكان، ١٩٧١).

أما ولده علي، فقد قام بأخذ مصنفات والده، وقام ببيعهـا بيـع العبيد، وذلك أثناء وجـود والـده في واسط، حيث أخذ من الكتب ما أراد، وباعها بثمن بخس لا يساوي ثمن المداد. (الذهبي، ١٩٩٦م). وتوفي أبوه ولم يشهده. (سبط الجوزي، ١٩٥٢).

وقـد كـان لابن الجوزي عدة بنات منهن رابعة أم سبطه أبـي المظفر بن مزعلي صـاحب مـرآة الـزمان (ابن كثير ، ١٩٧٧)، وشرف النساء، وزينب، وجوهـرة، وست

العلماء الكبـرى، وست العلماء الصغرى، وقد سمعت بناته الحديث منـه. (سبط الجوزي، ١٩٥٢).

وقد تعرض ابن الجوزي في أواخر حياته لمحنة شديدة، حيث وشى البعض به إلى الخليفة الناصر، فأرسل إليه من شتمه، وأهانه، وختم علـى داره، وشتت عياله، ثم أُرسِل في سفينة إلى مدينة واسط، حيث حُبِس فيها، في بيت حرج، وكان يقوم ابن الجوزي بغسل ثيابه، وطبخ طعامـه، وبقي على هذه الحالة مدة خمس سنوات (ابن رجب ، ١٩٥٢) ، ثم أُطلق سراحه، وعاد إلى بغداد، وقد كان السبب فـي خلاصه ولده يوسف الذي نشأ واشتغل فـي الوعـظ وهـو صبي ، حيث توصل إلى أم الخليفة التي قامت بدورها بالشفاعة لابن الجـوزي وأطلقت سراحه ، وكان ابن الجوزي حينها في نحو الثمانين من عمره (الذهبي، ١٩٩٦) .

هـذا ، وتوفي ابن الجوزي في الثالث عشر مـن رمضان سنة سبـع وتسعين وخمس مئة، بعـد أن مرض مدة خمسة أيام، وذلك ليلة الجمعة بين العشاء والمغرب فـي داره، وقد تمت الصلاة عليـه يوم الجمعة في جامع المنصور، وحضر تشييع جثمانـه خلقٌ كثير ، وقد دفن ابن الجوزي في باب حرب* عند أبيه بالقرب من الإمام أحمد.(ابن كثير، ١٩٧٧) **.

* باب حرب في بغداد .
** انظر أيضاً :
ابن الأثير، الكامل في التاريخ ص(١٧١).
الصفدي، الوافي بالوفيات ص (١١٣ ، ١١٤) .

الفصل الثاني

الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية

التي عاصرها ابن الجوزي

الظروف السياسيَّة:

عـاش ابـن الجوزي في القـرن السادس الهجري، فـي مدينة بغداد، في العصر العباسـي، حيـث عاصر ستة من الخلفاء الذين تولوا السلطة في ذلك القرن ، فقد بلغ سن الرشـد فـي عهد الخليفة المسترشد (٥١٢ – ٥٢٩ هـ ١١٣٤م). بدأ الوعظ في عهده ، ولـم يتجاوز التاسعة من عمره أي سنة (٥٢٠هـ - ١١٢٦م)، كما عاصر الخليفة الراشد إلى أن قُتل عام (٥٣٢ هـ - ١١٣٧م)، ثم الخليفة المقتضي با الذي تولى الخلافة حتى سنة (٥٥٥ هـ - ١١٦٠م)، ثم ابنـه الخليفة المستنجد، ثم الخليفة المستضاء الذي توفي عـام (٥٧٥هـ - ١١٩٧م)، ثم الخليفة الناصـر الذي توفـي ابن الجوزي في عهـده. (الدسوقـي، ٢٠٠٠).

وقد عاش ابن الجوزي فـي عصر السلاجقة وهو العصر الرابـع للدولة العباسية، التي تقسم إلى أربعة عصور (مهنا ، ١٩٧٠) :

(١) العصـر الأول: ويـبدأ هذا العصر بظهور الدولـة العباسية سنة (١٣٢ هـ) وينتهي بخلافة المتوكل سنة (٢٣٢ هـ).

(٢) العصر الثاني: وينحصر هذا العصر مـن خلافة المتوكل وحتى قيام حُكم البويهيين في الفترة الواقعة بين سنتي (٢٣٢ هـ - ٣٣٤هـ).

(٣) العصر الثالث: ويبدأ بقيام حُكم البويهيين وينتهي باستيلاء السلاجقة علـى بغداد من سنة (٣٣٤هـ - ٤٤٧ هـ).

(٤) العصر الرابع: ويبدأ بقيام دولة السلاجقة سنة (٤٤٧هـ) وحتى سقوط بغداد على أيدي التتار سنـة (٦٥٦هـ).

وهناك من يقسم العصر العباسي إلى عصرين:

(١) العصر الأول من سنة (١٣٢هـ – ٢٣٢هـ).
(٢) العصر الثاني من سنة (٢٣٢هـ - ٦٥٦هـ).

أمـا العصر الأول ، فقد كان الخليفة العباسي فيه مصدر القوة في الدولة العباسية، وكـان يُعدّ المرجع لجميع الأمور المتعلقة بإدارة الدولة.

أما العصر العباسي الثاني، فقد أصبحت الخلافة تعانـي الضعف والإنحلال، وأصبح الخلفـاء مسـلوبي الإرادة والسلطة، إذ ازداد نفوذ الأتراك في الدولـة ومـن ثم استحوذ سلاطيـن بني بويه ومن بعدهم السلاجقة على بغداد. (حسن ، ١٩٧٢) .

وكل ما يهم الباحثة من تلك التقسيمات هـو عصر الخلافة العباسية في الفترة التي عـاش فـيها ابـن الجوزي، وهي الفترة التـي وُجِد فيهـا السلاجقة، وذلك للتعرف إلى الظـروف السياسية التي عاصرها ابن الجوزي، ومدى انعكاسها على فكره التربوي والتي ستظهر لنا من خلال تحليل أفكاره التربوية في الفصول اللاحقة .

قيام دولة السلاجقة:

لقد أعلن طغرل بك قيام دولـة السلاجقة عام ٤٢٩هـ وبعد استقرارها اعترف بها الخليفة العباسي القائم سنة (٤٣٢هـ). (شلبي، ١٩٧٨) .

وبينما كان السلاجقة في ذروة القوة كان البويهيون فـي طريقهم إلى الهاوية، فقد كان السلطان البويهي (الملك الرحيم) ضعيفاً، وكـان أحد قادته مـن الأتراك – البساسيري – صـاحب السـلطة الحقيقـية فـي بغداد، الذي تمرد على السلطان البويهـي وعلـى الخليفة، فاستنجد الخليفة العباسـي القائم بطغرل بك زعيم السلاجقة، فلبى طغرل بك النداء وقَـدِم إلـى بغـداد سـنة (٤٤٧ هـ)، فأحسن الخليفة استقبالـه، ولقبه بيميـن أميـر المؤمنيـن، واستقر الأمر، على ذِكـر اسم القائد السلجوقـي بعد اسم الخليفة ثم يليه اسم الملـك الرحيم، وبعد ذلك قبض طغرل بك علـى الملك الرحيم وأرسله أسيراً إلى الري وتم حـذف اسـمه مـن الخطبة، وبذلك انتهى عهد البويهيين وبدأ عصر السلاجقة. (شلبي ، ١٩٧٨) .

أما بالنسبـة للبساسيري فقد هـرب إلـى دمشق، وعندما تمرد إبراهيم ينال (أخو السـلطان) علـى السلطان السلجوقي، لحق به طغرل بك وهزمه، وقتله سنة (٤٥١هـ)، فخلـت العـراق مـن السلاجقة في ذلك الوقت، فانتهز البساسيري ذلك وعاد إلـى بغداد فاسـتولى علـى السلطة، وأعلن تبعية بغداد للخليفة الفاطمي، فاستجار الخليفة العباسـي

بقـريش بـن بدران فأجاره ونجا الخليفة مــن القتـل ، وبذلـك ظلت بغــداد تابعـة للقاهــرة مــن عــام (٤٥٠هــ-٤٥١هـ)، وعندما عاد طغرل بك إلى بغداد، هزم البساسيري وقتله وأعاد للخليفة سلطانه. (الزهراني، ١٩٨٢) .

ولقد عاصر عدد من الخلفاء العباسيسن هذا العهد وهم:

(١) القـائم (٤٤٢هــ - ٤٦٧هـ) وقد عاصر آخر العهد البويهـي ومطلع العهد السلجوقي.
(٢) المقتدي (٤٦٧هـ - ٤٨٧هـ).
(٣) المستظهر (٤٨٧هـ - ٥١٢ هـ).
(٤) المسترشد (٥١٢ هـ - ٥٢٩ هـ) .
(٥) الراشد (٥٢٩هـ - ٥٣٠ هـ).
(٦) المقتفي (٥٣٠هـ - ٥٥٥هـ).
(٧) المستنجد (٥٥٥ هـ - ٥٦٦هـ) .
(٨) المستضيء (٥٦٦ هـ - ٥٧٥هـ).
(٩) الناصـر (٥٧٥هـ – ٦٢٢هـ) وقد عاصر نهاية العصر السلجوقي، ومن ثم استقل ببغداد وما حولها عام (٥٩٠هـ) (شلبي، ١٩٧٨) ، حيث تمتعت الخلافـة العباسـية بـبعض السـلطة المؤقـتة ، ومـن ثـم بـدأت الإمبراطوريـــــة الإسلاميـــة بالسقـــوط أمـــام المغـــول (The Encyclopedia Americana , 1989) .

حالة الخلفاء العباسيين في العهد السلجوقي:

عانـت بغداد من الاضطراب بيـن الطوائف المختلفة من السنة والشيعة من جهة ومن الحنابلة والشافعية من جهة أُخرى، فاستنجد الخليفـة بالقـوة السلجوقية التـي تدين بالمذهـب السني في مقاومة النفوذ الشيعي الذي كـان يهـدد الخلافـة تهديـداً خطيـراً. (الشريـف، ١٩٦٦ م) .

ولقـد قـاد الاتفاق المذهبـي بين الخلفاء والسلاجقة إلـى التعاون بينهم ، وإلى احـترام السـلاجقة للخلفاء احتراماً عظيماً(بارتولد ، ١٩٥٨) . ويقول الراوندي في تعليله لـولاء السلاجقة للخلفاء العباسيين: "أثرت بداوة السلاجقة في تعصبهم الشديد للإسلام بعد

اعتـناقهم المذهـب السـني، ومـن هنا كان تصرفهم تجاه الخلفاء، فكانـوا يُظهرون لهم الولاء، ويدينون لهم بالطاعـة والاحترام". (شلبي، ١٩٧٨) .

ولذا، كانت معاملة السلاجقة للخلفاء أفضل بكثيـر من معاملة البويهيين لهم، حيث تمثلت هذه المعاملة بما يلي:

(١) امـتازت معاملة السلاجقة للخليفة العباسي فـي المناسبات المختلفة بالاحترام والـتقدير اللائقيـن بـه، ونستدل على ذلك من خلال المقابلة التـي تمت بين طغـرل بـيك والخلـيفة القائم عام ٤٤٩هـ بعد عودة طغرل بيك من الموصل وإخضـاعها له "والخلـيفة على سرير عال من الأرض نحو سبعة أذرع وعليه بـردة النبي ﷺ وبيده القضيب الخيزران. فقبـل السلطـان الأرض وقبل يده، وأجلس علـى كرسي، فقال الخليفة لرئيس الرؤساء: "قل له إن أمير المؤمنين شـاكـر لسعيك، حامدٌ لفعلِك، مستأنس بقربك، وقد ولاك جميـع ما ولاك الله من عباد بلاده ، ورد عليك مراعاة عباده ، فاتق الله فيما ولاّك ، واعرف نعمته عليك في ذلك واجتهد في نشر العدل وكّف الظلم وإصلاح الرعية فقبل الأرض. وأمر الخليفة بإضافة الخلع عليه، فقام إلـى موضع لبسها فيه وعـاد وقبل يد الخلـيفة ووضـعها علـى عينـيه، وخاطبه الخليفة بملك المشرق والمغرب وأعطـى العهد وخرج"* (حسن ، ١٩٧٢) .

(٢) تجلـت تلـك العلاقـات الطيبة التي سادت بين الخلفاء العباسيين وسلاطيـن السلاجقة، في الخلع التي كانوا يتبادلونهـا، فقد كـان السلطان يبايـع الخليفة حيـن تولـيه الخلافـة، وكـان الخليفة يفوض السلطان بعد توليه السلطنة، بالإضافـة إلـى تبادل الهدايا بينهما.

(٣) كـان هـناك ارتباط بين البيت السلجوقي والعباسي عن طريق المصاهرة، فقد تـزوج طغرل بيك سنة ٤٥٤هـ ابنة القائم. كما تزوج المقتدي ابن القائم من ابنة السلطان ابن أرسلان سنة ٤٦٤هـ. (حسن ، ١٩٧٢) ، كما تزوج الخليفة المقـتدر بالخـاتون فاطمـة بنت محمد بن ملكشاه علـى مهر قيمته مئة ألف ديـنار، كمـا تـزوج المستظهر بالله من أخت زوجة أبيه بنت ملكشاه. وكان الخليفة المقتفي آخر مـن تزوج هذا الزواج السياسـي حيث عقد علـى أخت

* انظر أيضاً : عماد الدين الاصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ١٩٠٠ م ، ص ١٣،١٤) .

السـلطان مسعـود صاحب الأمـر فـي بغداد فـي ذلـك الوقت، حيث لم يعد الخلفـاء بعـده فـي حاجة لهذا الزواج، حيث اشتدت قوة الخلافة. (القزاز، ١٩٧١) .

(٤) ومما أدى إلى ازدياد العلاقات وثوقاً بيـن العبّاسييـن والسلاجقة، هـو أن كلا الطرفين كانا يعتنقان المذهب السني، وكذلك كـان السلاجقة يحترمون الخليفة، حيث كان السبب دينياً وليس سياسياً. (حسن ، ١٩٧٢) .

فـي فـترة العهد السلجوقـي كانت بغداد العاصمـة الروحية، حيث يعيش الخليفة المتمتع بالسلطات الدينية، أما السلطة السياسية فكانت فـي نيسابور، ثم في الري عاصمة السلاجقـة. (شلبـي، ١٩٧٨) ، أمـا الخليفـة فلـم تكـن لديـه أيـة سلطة سياسية (New Age Encyclopedia , 1977) .

ومـن ناحية أخرى، لم يكـن السلاجقة أقل سيطرة علـى الخلافة من البويهيين، وإن كـان هناك اختلاف في النظرة إلى الخلافة، حيث كـانت نظرة السلاجقة للخلفاء نظرة تقديـر واحترام، ولكن الخلفاء في تلك الفترة لم يستغلوا هذه النظرة الدينية لدى السلاجقة فـي تنظـيم علاقتهم مع السلاجقة واستعادة سُلطتهم ونفوذهم فـي البلاد، بل على العكس من ذلك فوض الخليفة القائم السلطة للسلطان طغرل بك، وبهذا التفويض جرد الخليفة نفسه من كل سُلطان. (القزاز، ١٩٧١).

وطغـت قـوة السلاجقة علـى الخلافة، وأصبح الخليفة العباسي تحت النفوذ الذي كـان للبويهييـن مـن قبل. فالسلاجقة جاملوا الخلافة فـي بادئ الأمـر، لكـن طموحهم دفعهـم إلى التدخل في شؤون الخلافة، حيث طلب ملكشاه من الخليفة المقتدر مغادرة بغداد إلـى أي بلد شاء، مما جعـل الخليفة يتوسـل للسلطان بأن يمهله شهـراً، ولكن السلطان رفـض، فوسـط الخليفة وزير السلطان فـي ذلـك فأمهله عشـرة أيام، ولم ينجُ الخليفة مـن هذه المحنة إلا بموت السلطان قبـل نهايـة المدة. (الشريف، ١٩٦٦) .

وقد كان نواب السلاجقة العسكريون يتحكمون في البلاد، أما الخلفاء فكانوا يعيشون فـي إقطاعات يديرها عمال وعلـى رأسهم الوزيـر وكاتب الإنشاء، ولم يكن الخليفة يملك من زمام الأمور سوى ذِكر اسمه في الخطبة.

وممـا يـدل علـى ضـعف الخلفاء العباسيين، قيام الناس بالاعتراض على كثرة المغنيات والخمور في عهد الخليفة القائم. فقام البعض بقطـع أوتار عـود إحدى المغنيات التـي كانـت عـند جندي، فثار الجندي، مما أدى إلـى استغاثة العامـة والأئمة بالخليفة، فطلبوا منه هدم الحانات وإغلاقها، فوعدهم بمكاتبة السلطان فـي ذلـك. (حسن، ١٩٧٢).

ولقد تمثلت النزاعات بين السلاجقة والخلفاء بما يلي:

أ. تعدي سلاطين السلاجقة على سُلطة الخلافة وانتهاك حرمتها.
ب. اتخـاذ سـلاطين السلاجقة لقب "ظل ا " وهذا اللقب كـان يُطلق على الخلفاء وكـانوا يحتفظون بـه لأنفسهم، كما لقب ملكشاه نفسه بلقب "أمير المؤمنين" وهذا اللقب لم يكن يُطلق إلا على الخلفاء فقط.
ج. قيام السلاجقة بأخذ بردة الرسول ﷺ مـن الخليفة المسترشد وقد كـان الخلفاء يلبسون تلك البردة عند توليتهم الخلافة أو حضورهم الحفلات الدينية. (حسن، ١٩٧٢) .

ونظـراً للظـروف السـابقة التي مرت بها حالة الخلفاء العباسين، حاول الخلفاء النهوض بالخلافة من جديد وتمثل هذا النهوض بالمحاولات التالية:

- لقـد حاول الخليفة المقتدي التدخل في شؤون الحكم (حسن ، ١٩٧٢) . ويذكر ابن خلكان هذه المحاولة إذ يقول: "كان للخليفة ولدان، أحدهما المستظهر با ، والآخـر أبـو الفضـل جعفر ابن بنت السلطان... وكان الخليفة قد بايع ولده المسـتظهر أكـبـر أولاده بولايـــة العهد، فألزم السلطان الخليفة أن يخلعه، ويجعـل جعفـراً ولـي العهد بدله، ويسلم بغداد إليه ويخرج هو إلى البصرة. فشـق ذلك على الخليفة، وبالغ في استنزال السلطان عن هذا الرأي فلم يفعل، وطلب المهلة عشرة أيام ليتجهز فأمهله، فقيـل إن الخليفة في تلك الأيام جعل يصـوم وإذا أفطر جلس على الرماد للإفطار، وهو يدعو ا سبحانه وتعالـى علـى السلطان فمرض السلطان في تلك الأيام ومات وكفى الخليفة أمره". (ابن خلكـان ، ١٩٧١). وبموته تولى السلطة محمود بن ملكشاه، وفي اليوم التالي توفي الخليفة المقتدي.

- قـد خاضـت الخلافة في الفترة المُمتدة من عام ٥١٢هـ وحتى عام ٥٥٥هـ معـارك طاحـنة، محاولـة إحياء سلطانها ، مستغلة ضعف السلاجقة فحاولت إصـلاح الأوضـاع الاقتصـادية وكسب الرأي العام في دار الخلافة، كما طلب الخلفـاء العَون والإغاثة مـن أمراء الأطراف للوقوف إلـى جانبهم في وجه السلاجقة. (القزاز ، ١٩٧١).

وخير مثـال علـى ذلك المحاولـة التي قـام بهـا الخليفـة المسترشد (٥١٢هـ - ٥٢٩هـ) لإعـادة النفوذ والقوة للخلافة العباسية. (حسن ، ١٩٧٢). وقد وصـفه السـيوطي قائلاً: "كـان ذا همة عالية وشهامة زائدة وإقدام ورأي وهيبة شديدة، ضـبط أموال الخلافة ورتبها أحسن ترتيب وأحيا رسم الخلافة ونشر عظامها وشيد أركان الشريعة وطرز أكمامها وباشر الحروب بنفسه". (السيوطي ، ٢٠٠٢). ولقد قاتل المسترشد سنة ٥٢٠هـ قوات السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه وهزمهـا. ولكن مساعدة زنكي والـي البصرة للسلطان منعت الخليفة من الاستقلال بأمور الخلافة. (حسن، ١٩٧٢) ولقد أثـر هذا الانتصار في السلاجقة وفي الرأي العام، وبدأ الخليفة بمباشـرة سُلطاته الدنيوية والروحية وبدأ في بناء سور بغداد (القزاز، ١٩٧١) *.

وعندما توفي السلطان محمود ، حرض المسترشد الأمراء السلاجقة علـى الخروج على السلطان الجديد، وحارب زنكي وفرق جيشه وطارده حتـى الموصل (٥٢٧هـ)، ومن ثـم حاصـره هـناك مـدة ثلاثـة أشهـر، وبعد ذلك خرج وبصحبته سلجوق أحد الأمراء السلاجقة، فالتقى جند مسعود، ولكنه هُـزم وأُسـر... ثم قتل. (حسن، ١٩٧٢) .

وحـاول الخليفة الراشد (٥٢٩ – ٥٣٠هـ) الثأر لأبيه الخليفة المسترشد، ولكـن السـلطان مسـعود حاصـره في بغداد وأرغمه على الهرب إلى الموصل والاحتماء بعماد الديـن زنكي، ولكن مسعود خلعه، ومن ثم قُتِل الراشد عام ٥٣٢هـ.

ومن ثم جاء الخليفة المقتفى (٥٣٠هـ – ٥٥٥هـ) وفيه قال السيوطي: "إنه قليل المـثل في الأئمة، لا يجري في دولته أمر وإن صغر إلا بتوقيعه، جدد معالم الإمامة، ومهد رسـوم الخلافـة، وباشـر الأمور بنفسه، وغزا غير مرة، ولم يرفع سماحته ولين جانبه ورأفته بعد المعتصم خليفة في شهامته وصرامته وشجاعته مـع ما خص بـه مـن زهده

* انظر أيضاً : ابن الجوزي ، المنتظم ج ٩ ، ص ٣٤٣ .

وورعـه وعبادته. فسار إليه السلطان مسعـود عام ٥٥١هـ إلـى بغداد وحاصرها ولكنه هُزم، وبهذا كانت نهاية العهد السلجوقي في العراق. (حسن، ١٩٧٢) .

وفـي عهد المستضيء با (٥٦٦ – ٥٧٥هـ) تمكن علاء الديـن من الاستيلاء على خوارزم والاستقلال بها، كما قضى على ملك السلاجقة في العراق.

ثم جاء الخليفة الناصر (٥٧٥هـ - ٦٢٢) حيث عاصـر آخـر عهـد السلاجقة، واستقل ببغداد وما حولها عام ٥٩٠هـ. (شلبـي، ١٩٧٨) ، وفي عهد هذا الخليفة توفي ابن الجوزي عام ٥٩٧هـ (حسن ، ١٩٧٢) .

وخلاصة القول بوجـه عام أن الخليفة العباسـي في العصر الثاني كان عاجزاً عن التصرف في أموره، لا يملك مـن زمام الأمـور شيئاً، فالأتـراك والبويهيون والسلاجقة، يعـزلونه ويسـجنونه أو يقـتلونه، فالخليفة لا يتمتع سـوى بالسلطات الدينيـة باعتباره خليفـة الرسول ﷺ. (حسن، ١٩٧٢) .

وقـد ضـعف السلاجقة في اواخر عهدهم وهناك عدة عوامل أدت إلـى ضعفهم ، وقد كانت هذه العوامـل تقسم إلى عوامل داخلية وأخرى خارجية:

وأما العوامل الداخلية فكانت تتمثل بما يلي:

* ثورة الإسماعيلية وتتمثّل هذه الثورة في الحشاشين.
* الانقسامات الداخلية التـي ظهرت نتيجة لاتساع ملك السلاجقة، حيث كانت حركة المواصلات بطيئة فـي ذلك الوقت، وكنتيجة طبيعية لحياة السلاجقة القبلية.
* قيام بعض الحُكام الذين كانوا عبيداً لسلاطين السلاجقة بالتمرد عليهم.
* قيام إمارات الأتابك.

أما العوامل الخارجية فكانت:

• تتمثل في الحروب الصليبية. (شلبي، ١٩٧٨) .

انعكاس الظروف السياسية على فكر الإمام ابن الجوزي :

لـم يكـن ابن الجوزي بعيداً عن الظروف التي تم عرضها ، حيث كان مؤرخاً ، يرصـد تلك الأحداث ويسجلها في كتابه المنتظم . فابن الجوزي لم يكن سياسياً يلعب دوراً فـي السياسـة أو فـي نظام الحكم ، ولكنه كان عالماً موسوعياً ، لديه القدرة التي تمنحه النظرة الثاقبة التي من خلالها يستطيع ادراك تلك الظروف السياسية الخطرة .

وقد تأثر ابن الجوزي بتلك الظروف السياسية ، حيث استفزت لديه تلك الظروف رغـبة ملحـة في محاولة إصلاحها ، فاتجه نحو التربية السياسية . فقد أراد ابن الجوزي تربية السلاطين والخلفاء والحكام لإصلاح هذا الوضع السياسي .

وقـد اتبع ابن الجوزي أساليب متعددة لإصلاح الحاكم حيث استغل دوره كمرب، وكواعظ ومعلم للوصول إلى غايته فاتجه نحو مجالسه الوعظية التي كانت تضم الالاف من العامة ، كما كانت تضم كبار الخاصة ، ومنهم الخلفاء الذين كانوا يستمعون إليه من وراء حجاب . وكان يتبع الأسلوب المباشر وغير المباشر في النصح والوعظ معتمداً على نفسية الخليفة الذي يعظه .

كمـا لم يكتفِ ابن الجوزي بالكلمة المسموعة ، بل اتجه نحو الكلمة المكتوبة ، ايمانـا مـنه بقـوة تأثـيرها عبر العصور ، فألف كتاباً اسماه الشفاء في مواعظ الملوك والخلفـاء حيـث أوضـح فيه الآداب التي على الحاكم أن يتأدب بها ، والأمور التي ينبغي للحـاكم فعلهـا ، والأمـور التـي عليه تجنبها . موضحاً انه على الحاكم أن يكون واجبه الأساسي إعلاء كلمة ا . كما أن عليه تفقد أحوال الرعية ، وأن يكون عادلاً ، وأن يكون له مجلس شورى من العلماء المخلصين ورسوله ، وأن يعمل بشريعة ا .

الظروف الاجتماعيَّة:

قبل البدء بالحديث عـن الحياة الاجتماعية في بغداد قصبة الخلافة الإسلامية، لا بـد من التعرض للحياة الاجتماعية للسلاجقة، حيث كان للسلاجقة تأثير في المسلمين في العـراق، وفـي بغداد خاصة، وذلك نتيجة للانتشار الثقافـي بيـن الطرفيـن (العـرب والسلاجقة).

لقـد تميز العصـر السلجوقـي بميزة اجتماعية ظاهـرة، وهـي عدم الاستقرار فـي الأوضـاع، ونتـيجـة لذلك سيطـر التشاؤم علـى نفوس العامة، وخصوصاً نفوس الشـعراء حيـث اشتكى الأدباء من الزمان، وكان محور شكواهم سيطرة الغلمان، وظهور العـوام وأدعـياء الديـن، وسيادة القبائل الوحشية الصفراء، وانتشار الأخلاق الاجتماعية السيئة كالكذب والتزوير والفساد، وظهور القتل والسلب، وانتشار الظلم والعدوان.

وقد أدى هذا التشاؤم إلى العزلة والانقطاع عن العالم، حيث أصبحت العزلة منتشرة في هذا العصر حتى أصبحت ميزة تميزه عـن العصور السابقة، ولقد كان التصوف نتيجة لهذه الأوضاع المضطربة دائماً بين أولئك الناقمين على الحياة.

ومن الظواهر الاجتماعية الخطيرة التـي ظهرت فـي هذا العصر انتشار المجـون والاستهتار بالأخلاق، وذلك عن طريق المجاهرة بشرب الخمر وعشق الغلمان، فقد كان لكل سـلطان وأمير ووزير من السلاجقة غلمان، وعبيد يحلون مكـان النساء في حياتهم، وقد كـان لبعض السلاطين آلاف من الغلمان، كما انتشر عشق الغلمان بيـن الأفراد العاديين، وخاصـة بعـد أن أفتى بعض الفقهاء بجواز ذلك خوفاً من حكامهم وإرضاءً لهم.(حلمي ، ١٩٨٧).

ومـن الظواهـر الاجتماعـية أيضاً السائدة فـي ذلك العهد شيوع الفقر بين أفراد الرعية والغِنى بين أفراد الطبقة الحاكمة.

ونتـيجة لـترف السـلاطيـن والأمــراء فقـد كانت قصورهم تتسم بالفخامـة والاتسـاع، وكانـت تُعقـد فيها مجالس الطرب والغناء والترف، وتقدم فيها ألوان الطعام المختلفة.

ونتيجة للاتصال بين العراقيين والإيرانييـن، تم تبادل العادات والتقاليد الاجتماعية بيـن كـلا الجانبيـن (حلمـي، ١٩٧٨) .

أمـا عـن التقسيمات الاجتماعية في العصر العباسي، فقد عبر الوزير الفضل بين يحـيـى البرمكي في كتاب "مختصر البلدان" لابن الفقيه الهمذاني عن الفرز الاجتماعي في العصر العباسي لقوله: "الناس أربع طبقات: ملوك قدمهم الاستحقاق، ووزراء فضلهم الرأي والفطـنة، وعلية أنهضهم اليسار، وأوساط ألحقهم التأدب، والناس بعدهم زبد جفاء وسيلٌ

غثاء لُكعٌ لُكعٌ (عبيد حمقـى لئام) وربيطة أخضاع (دواب مُدجنة) هم أحدهم طعمُه ونومُه". (علم الدين، ١٩٩٣).

أمـا زيـدان (١٩٥٨) فقـد قسم الناس في مدينة بغداد قصبة العالم الإسلامي إلى طبقتين هما الخاصة والعامة .

أما طبقة الخاصة فتقسم إلى خمس فئات :

(١) الخليفة.
(٢) أهله.
(٣) رجال دولته.
(٤) أرباب البيوتات.
(٥) توابع خاصة.

أما الخليفة فقد كـان يتمتع بالسلطتيـن الدينية والسياسية، وأهله بنو هاشم كانوا مـن أرفع الناس مستوى بعد الخليفة، وكان يُطلق عليهم الأشراف وأبناء الملوك، كانـوا يحظـون باحترام كبير من قِبَل الخليفة، وكانوا يرتزقون برواتب يتقاضونها من بيت المال، بالإضافة إلى هدايا الخليفة لهم، وكان الهاشميون في الغالب مـن أهـل الرخاء، منغمسين في الترف والشراب والغناء وبناء القصور والحدائق.

أما رجال الدولة فيقصد بهم الوزراء والكتّاب والقواد، وكـان أكثرهم فـي العصر العباسـي من الموالي، أما أهل البيوتات فهم الأشراف من غير الهاشميين، ويعود شرفهم إلى صلة قرباهم بالنسب النبـوي أو بقريش، وكـان الخلفـاء يهتمون بهم ويفرضون لهم الرواتب والهبات، ويقدمونهم في مجالسهم.

أمـا أتـباع الخاصـة فهم الجند، والأعـوان أو أصدقـاء الشخص، والموالـي، والخدم وتشمل هذه الطائفة أي الخدم (الأرقاء والخصيان والجواري).

أمـا طبقة العامة فتنقسم إلى فئتين : فئة المقربين من الخاصة ، وفئة الباعة وأهل الحرف والرعاع وغيرهم.

أمـا فـئة المقربين من الخاصة فكانت تشمل: المصورين ، والمغنين ، والعلماء والفقهاء والأدباء ، والتجار ، والصناع.

أما الفئة الثانية من العامة فكانت تضم :

(١) المزارعين أهل القرى.

(٢) العامة سكان المدن ويقسمون إلى:

(أ) المرتزقين بالصناعة والتجارة وهم طائفتان:

* الصناع أصحاب الصناعات اليدوية، كالحدادين والحياكين والخياطين.

* الباعة الذين يبيعون المأكولات والمنسوجات والسلع الصغيرة.

(ب) الفئة الثانية رعاع يرتزقون من النهب واللصوصية، فقد كان في بغداد طوائف كثيرة تسمى بالعيارين والشطار والصعاليك(زيدان ، ١٩٥٨).

أما الدكتور علم الدين (١٩٩٣) فقد قسم المجتمع العباسي إلى أربع طوائف كبيرة، وكل طائفة تحوي عدداً من الفئات:

(١) طائفة أرباب السلطة من خلفاء وأمراء ووزراء وكتاب وقادة جُند.

(٢) طائفة أرباب الثروة من كبار التجار وأصحاب الإقطاعات.

(٣) طائفة أرباب المهن والحِرَف.

(٤) طائفة العامة من الناس من عمال الأرض والتجارة ومن هم في حُكمهم من ذوي الدخل المحدود أو من العاطلين عن العمل.

كما يرى الدكتور علم الدين (١٩٩٣) ، أن الطائفتين الأوليين متقاربتان من حيث المستوى إلى حد كبير، حيث فخامة الإقطاعات الموهوبة للمقربين من أرباب السلطة، والأموال الطائلة التي كان يجنيها ملتزمو الخراج وكبار التجار*

فهاتان الطائفتان تكونان جماعة المترفين المتمتعين بخيرات النظام القائم، أما طائفة أرباب المهن والحرف والفقهاء والمؤدبين والمعلمين ورجال الأدب والشعر، فإنهم يشكلون جماعة متوسطي الدخل، وهذه الطائفة تتفاوت فئاتهم حسب المدخول المادي، أما طائفة العامة فقد كانت الأكثر عدداً والأقل قيمة اجتماعية، ولكنها كانت الأكثر أهمية من حيث دورها في الواقع السياسي والأمني .

* انظر الصابي : الوزراء ص (٢٩٢) .

وسيتم تناول كل طائفة بشيء من التفصيل.

(١) طائفة الميسورين:

كـان يمـثل الخلـيفة رأس الهرم في النظام السياسي، ولقد أُعطي حقوقاً خاصـة بـه، من حيث الأرض والمال ، فقد كان للخليفة بيت مالٍ خاص به يختلف عن بيت مال المسلمين.

وكـان أفـراد الأسـرة العباسية الهاشمية يتمتعون بمخصصات سنوية من الأموال، وإقطاعات كبيرة (علم الدين ، ١٩٩٣) *.

وكانـت الإقطاعـات مـن الأراضـي الزراعية تقدم لأصحابهـا الثروات الكبيرة، وكان القادة العسكريون أكثر الفئات انتفاعاً بتلك الإقطاعات، وقد أدت هذه الأمـوال الضخمة إلى مستوى معيشي راقٍ يتميز بالبذخ والتـرف. (عِلم الدين ، ١٩٩٣) .

وفـي عصـر سيطرة القادة الأتراك، انغمس الخلفاء فـي مجالس الشراب واللهو وذلك لأنهم كانوا بعيدين عن ممارسة دورهم السياسي.

أمـا أبـناء الموسـريـن فكانـوا يقضون أوقاتهم فـي أماكن اللهو حيث يـتوفر الغـناء والـرقص والشراب، حيث تحولت دور النخاسين إلى أماكن اللهو لشبيبة الخاصة.

وكانـت المناسـبات الاجتماعـية في حياة هذه الطائفة تظهر مقدار الثروة والجاه. (علم الدين، ١٩٩٣).

(٢) طائفة أهل المهن والحرف أو جماعة متوسطي الدخل:

كانت لهذه الطائفة أهمية كبيرة فـي حياة المجتمع العباسي في ذلك الوقت، وذلـك لأن عمل هذه الطائفة في حركـة الإنتاج هـو الذي يقـود المجتمع إلـى التطور والاستمرار. وتدخل أيضاً في هذه الطائفة جماعات المؤدبين لأبناء الطائفة

* انظر أيضاً الطبري ، تاريخ الامم والملوك ٣٢٧/٦ .

الميسـورة ومعلمي أبناء الطائفة المتوسطة، كما تشمـل الأدباء والشعراء الذيـن عاشوا فـي قصور الميسورين، واستفادوا مادياً من ذلك (عِلم الدين، ١٩٩٣) .

(٣) طائفة العامة من الناس:

العامة وتعني في اللغة خلاف الخاصة (الجوهري ، ١٩٥٧) .

أمـا سـبب تسميتهم بالعامة فيعود إلـى كثرتهم وعدم إحالة البصر بهم، حيث يشملون القطاع الأوسع من الشعب.

وتشمل طائفة العامة أهل المهـن والصنائـع والتجار والخدم والفلاحـين، والجند واللصوص والعيارين والشطار.

لقد كانت أصولهم متعددة فـي بغداد، فهم خليط من العرب والترك والفرس والنـبـط والأرمـــن ، والديلـــم والأكــراد، والجركـس والكـرج والبربر. (فهد ، ١٩٦٧) *.

ولقـد تمـيزت هذه الطائفة بالفقر والجهل (فهد، ١٩٦٧) وكانوا يوصفون بعـدم المعـرفة والبعد عـن التفكيـر فقد وصفهم التوحيدي بقولـه: "إن قُلتَ لا عقـول لهـم كنت صادقاً، وإن قُلت لـهم أشياء شبيهة بالعقول كنت صادقاً". وقد كـانوا يُنعـتون بصـفات تحقـيرية مثل "الرعاع" و"الهمج" و"الأوباش" و"السقَط" و"الدهمـاء". وعند تحليـل نظرة أصحاب الطوائف الأخرى إليهم نجد أن سبب ذلك يعـود إلـى طبيعة عملهم ومشاغلهم اليومية التي كانت تُبعدِهم عن أجواء المعرفة والعِلم في عصر كان فيه تقدير العِلم والثقافة كبيراً. (علم الدين، ١٩٩٣).

فئات العامة :

وقد قسمها فهد (١٩٦٧) إلى الفئات التالية :

---

* انظر أيضاً :
- الصفدي : نكت الهيمان في نكت العميان : ١٠
- الفيروز أبادي : القاموس المحيط ٤ : ١٥٤ .

(أ) **الخدم:**

شملت هذه الفئة الرقيق والأحرار نساءً ورجالاً، وكانوا يشتغلون في خدمة الخليفة وحاشيته وفي دُور الخلافة، كما كانوا يشتغلون في بيوت الناس وخدمتهم. أما الخدم الأحرار فالمعلومات عنهم نادرة جداً. وأما الخدم الرقيق فكانوا يقسمون إلى ثلاثة أصناف؛ الجواري، والرقيق، والخصيان الذين شاع استخدامهم في المجتمع البغدادي نتيجة لانتشار الحجاب.

(ب) **الجند:**

ويقسم الجند إلى نوعين؛ نوع يقيم في بغداد ثابت بها، وهم جند الخلافة، أما النوع الآخر فهم جند غير مقيمين في بغداد يأتونها لفترة طويلة من الزمن ثم يتركونها. هؤلاء هم جند البويهيين والسلاجقة *.

(ج) **العمال:**

وقد كان العمال يقسمون إلى قسمين: الأحرار والرقيق، أما الأحرار فكانوا أصحاب مهن وصنائع مختلفة، وبالرغم من أن تلك المهن كان يتوارثها الأبناء عن الآباء ، إلا أن الأفراد يتمتعون بحُرية اختيار المهنة التي يريدون مزاولتها.

أما العمال الرقيق فكان أصحاب المصانع والمزارع يقومون بشرائهم للاشتغال في مزارعهم ومساكنهم، وكان بعضهم يشتغل بدار الخلافة (الصابي ، ١٩٦٤) .

(د) **التجار:**

وهم الأشخاص الذي يقومون بمزاولة مهنة التجارة، حيث كانوا يتاجرون بأدوات الترف غالية الثمن كالمجوهرات، والثياب الفاخرة، والآنية، والرقيق، وكانوا يتعاملون مع الخلفاء، وكبار رجال الدولة والأغنياء، وهم بذلك يختلفون عن الباعة من حيث نوع البضاعة، ونوع الزبائن.

---

* انظر أيضاً :
- بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ٢ : ٩٤
- أبو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ٢٥/١ .

(هـ) الباعة:

وهم تلك الفئة التـي تتولى بيع المواد الاستهلاكية الضرورية لحياة الناس، وقد قسم هؤلاء إلى قسميـن: الباعـة الثابتون وهم أصحاب الدكاكيـن، والباعـة المتجولون وهم الذين لا يستقرون في مكان معين .

ونتيجة للظروف السياسية والاقتصادية التي كان يسودها القلق والاضطراب فـي القــرن الخـامس الهجـري نتيجة لضعف السلطة الشرعية أمام الجيوش البويهية والسلجوقية تعرضت الأسواق إلى السرقة والحرق نتيجة للاعتداءات التي كان يقوم بها العيارون والشطار، كما تعرّض التجار والباعـة إلـى دفع الضرائب التي كانت تُفرض أحياناً.

(و) الدلالون:

وهـؤلاء هـم السماسرة الذين يدلون المشتري على السلع، ويدلون البائع علـى الأثمان. وقد كانوا يقومون بدور الوسيط بيـن البائع والمشتري. ولم يكتف بعضهم بدور الوسيط بل كانوا يقومون بخداع المشتريـن والكذب عليهم في سبيل تصريف البضائع.

(ز) اللصوص :

وكانـت كـثرة اللصـوص نتيجة لضعف الدولـة العباسية وما رافقه من اضـطراب سياسي واجتماعي نتيجة لوجود الجيوش البويهية والسلجوقية، ونتيجة للصراع المذهبـي الذي استمر طيلة القرن الخامس.

(ح) الفلاحون:

هم سكان القرى المحيطة ببغداد، كانوا يسموْن بالسوادية أو أهل السواد.

وقـد كان الفلاحون يعانون مـن قـوة الجند والأعـراب من جهة، ومن قوة الطبيعة من جهة أخرى.

أما مـن ناحية الدين فقد كانت الغالبية العظمى من المسلمين على اختلاف مذاهبهم إضافة إلى أهل الذمة من اليهود والنصارى ، وقد كان أولئك يعيشون في بغداد (القدحات ، ١٩٩٦) .

وقـد كـان هناك حاجة للعيش بنوع من التسامح بين تلك الطوائف المختلفة، ومما يـدل على تسامح الخلفاء العباسيين مع غير المسلمين أن الدولـة الإسلامية لم تتدخل في شعائر أهل الذمة الدينية، فكانت أديِرَتهم منتشرة في بغداد.

وكان بعض الخلفاء يحضرون مواكب أهـل الذمة ويشاركونهم فـي إحياء أعيادهم ومواسمهم. كما لم تكن هناك أحياء مخصصة للمسلمين، وأخـرى لأهل الذمـة، وإن فضل أهـل كل دين العيش متقاربيـن (حسن ١٩٧٢)، وقد ألزمهم بعض الخلفاء بارتداء ملابس خاصّة يتميزون بها عن المسلمين (القدحات ، ١٩٩٦) . كما منعهم البعض الآخر من تعلية مـنازلهم على بيوت المسلميـن. ولم تكـن بين المسلمين وغيرهم مصاهرة. كما لم يكن لأي مـــن الطوائـف أن يرث أفرادهـا أفراد الطوائف الأخرى، وقد أمر الخليفة المقتدر بِـرَد تركـة من مات من أهـل الذمة وليس لـه وارث، إلى أهل ملته، في حين تُرَد تركة المسلم الذي لم يَخلِف وارثاً إلى بيت المال.

وانقسم المسلمون في هذا العصر إلى شِيَـع وطوائف: فمنهم السنيون وكانوا يمثلون غالبـية السـكان، وكانوا يتمتعون بقسط كبيـر مـن الحرية في عهد نفوذ الأتراك وعهـد إمـــرة الأمـــراء. وهنـاك الشيعـة وقد كانت هناك منازعات بين السنة والشيعة (حسن، ١٩٧٢) .

أما التيار الصوفي فقد جاء ردة فعل علـى حالـة البؤس والشقاء التي سادت في أوسـاط العامة، نتيجة لأزمات الغلاء التـي تكاثرت فـي هـذا العصر، والفتن العسكريَـة وموجـات التدنـي فـي أسـعار النقود، وموجات القحط والجفاف التـي كانت تعُم بعض أرجـــاء الدولـة بين الحين والآخر، مما أدى إلى تفاقم بعض الأوضاع المعيشية وازدياد الفقـراء فقراً، فجاءت الصوفية ردة فعل سلبية على ازدياد الفوارق الاجتماعية واتساعها في الفترة العباسية، وذلك عن طريق اللجوء إلى الزهد. (عِلم الدين، ١٩٩٣).

أمـا بالنسـبة لطبـيعة أهل بغداد في القرن السادس الهجري الذي عاش فيه ابن الجوزي فقد وصفها ابن جبير (١٩٥٩) أثناء رحلته بما يلي:

"وأمـا أهلهـا فـلا تكاد تلقـى منهم إلا من يتصنع بالتواضع رياء، ويذهب بنفسه عجـباً وكبرياء، يزدرون الغرباء، ويُظهرون لمن دونهم الأنفة والإباء، ويستصغرون عمن سـواهم الأحاديـث والأنباء، قد تصور كل منهم في معتقده وخلده أن الوجـود كله يصغر بالإضـافـة لـبلده، فهـم لا يستكرمون في معمور البسيطة مثوىً غير مثواهم، كأنهم لا يعتقدون أن بلاداً أو عباداً سواهم، يسحبون أذيالهم أشراً* وبطراً، ولا يغيرون فـي ذات منكراً، يظنون أن أسى الفخار في سحب الإزار، ولا يعلمون أن فضله، بمقتضى الحديث المـأثور، فـي النار، يتبايعون بينهم بالذهب قرضاً، وما منهم مـن يُحسن قرضاً، فلا نفقـة فـيهـا إلا من دينار تَقرضه، وعلـى يدي مخسِر للميـزان تعرضـه، لا تكاد تظفر مـن خواص أهلهـا بالورع العفيف، ولا تقع من أهل موازينها ومكاييلها إلا على من ثبت لـه الويـل فـي سورة التطفيف، لا يُبالون في ذلك بعيب، كأنهم مـن بقايا مَدْيَـن قـوم النبـي شعيب، فالغريب فيهم معدوم الإرفاق، متضاعف الإنفاق، لا يحب مـن أهله إلا من يعامـلـه بـنفاق، أو يَهَـش إليـه هَشاشة انتفاع واسترفاق، كأنهم مـن التزام هذه الخلة القبـيحة علـى شـرط اصطلاح بينهم واتفاق، فسوء معاشرة أبنائها يغلب علـى طبـع هوائهـا ومائهـا ويعلـل حسن المسموع من أحاديثها وأنبائها، أستغفر ا إلا فقهاءهم المُحدثيـن، ووُعـاظهم المذكريـن، لا جَرَم أن لهم في طريقة الوعظ والتذكير، ومداومة التنبـيه والتبصير، والمثابرة على الإنذار، مقامات تستنزل لهم من رحمة ا تعالى ما يحط كثـيراً مـن أوزارهم، ويسحب ذيـل العفو على سوء آثارهم، ويمنع القارعة الصماء أن تحـل بديارهم، لكنهم معهم يضربون فـي حديد بارد، ويرومون تفجير الجلامد، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جُمُعاتهم من واعظ يتكلم فيه، فالموفق فيهم لا يزال في مجلس ذِكر أيامه كلها، لهم في ذلك طريقة مباركة مُلتزمة".

انعكاس الظروف الاجتماعية على فكر الإمام ابن الجوزي :

الأوضـاع الاجتماعية في أي عصر من العصور لا تنفصل عن الأوضاع السياسية والاقتصـادية . بـل تؤثر كل منها في الأخرى . وكذلك الأوضاع الاجتماعية في عصر ابن الجوزي فقد تأثرت بالظروف السياسية ، حيث أفرزت تلك الظروف مجتمعاً يعاني من عدم الأمـن والاسـتقرار ، يترقب سطوة السلطان السلجوقي وجبروته في أي لحظة ، في ظل خليفة عاجز ، لا يمسك من زمام الأمور شيئاً ، كما لا يستطيع توفير الحماية لأفراد الرعية ، ولا يستطيع حفظ أملاكهم وأموالهم .

* أشراً : استكباراً .

وقد كان لتلك الظروف الآثار النفسية الاجتماعية ، حيث ظهرت الكثير من الأمراض الاجتماعـية ، التـي كان لها كبير الأثر في فكر ابن الجوزي التربوي ، وخصوصاً أن تلك الأمـراض جمـيعها تتناقض مع الدين الإسلامي الذي كان يعتمد عليه ابن الجوزي ، حيث كان حنبلي المذهب ، سلفي المنهج .

لـذا حـاول ابن الجوزي إصلاح ذلك المجتمع بطرق عديدة منها : طريقة الخطابة ومجـالس الوعـظ حيث تميز بأسلوب ساحر ، متميز ، وكان له الأثر الكبير في الأنفس ، والتأثير في الشباب ، وفي سلوكاتهم .

كمـا اسـتخدم الكلمـة المكتوبة لإصلاح المجتمع ، حيث تميز ُأسلوبه في الكتابة بطريقته النقدية ، حيث لم يترك فئة من فئات المجتمع دون نقدها ، وعرض عيوبها . وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على سعة ثقافة ابن الجوزي ، وإدراكه العميق لما يدور حوله، وقدرته على التحليل والدراسة النفسية الاجتماعية لهذا المجتمع . وخير كتاب يمثل نظرته النقدية العلاجية التربوية كتابه "تلبيس إبليس" وكذلك "الطب الروحاني" .

وقد ظهرت رؤيته لحال مجتمعه من خلال قوله التالي :

"تأملت الأرض ومن عليها بعين فكري ، فرأيت خرابها أكثر من عمرانها .

ثـم نظـرت في المعمور منها ، فوجدت الكفار مستولين على أكثره ، ووجدت أهل الإسـلام فـي الأرض قلـيلاً بالإضافة إلى الكفار . ثم تأملت المسلمين فرأيت الأكساب قد شـغلـت جمهورهـم عـن الرازق ، وأعرضت بهم عن العلم الدال عليه" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

وقد وصف السلطان قائلاً : "فالسلطان مشغول بالأمر والنهي واللذات العارضة له، ومـياه أغراضـه جارية لا شكر لها . ولا يتلقاه أحد بموعظة بل بالمدحة التي تقوي عنده هوى النفس .

وإنمـا ينبغـي أن تقاوم الأمراض بأضدادها . كما قال عمر بن المهاجر : قال لي عمـر بـن عبد العزيز : إذا رأيتني قد حِدْتُ عن الحق فخذ ثيابي وهُزّني ، وقل : ما لك يا عمر ؟ .

وقـال عمـر بـن الخطاب رضي ا عنه : رحم ا من أهدى إلينا عيوبنا فأحوج الخلق إلى النصائح والمواعظ ، السلطان "ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) *.

وأما الجنود فقد وصفهم قائلاً :

"وأمـا جـنوده فجمهورهـم في سكر الهوى ، وزينة الدنيا ، وقد انضاف إلى ذلك الجهـل، وعـدم العلم ، فلا يؤلمهم ذنب ، ولا ينزعجون من لبس حرير ، أو شرب خمر ، حـتى ربمـا قال بعضهم : إيش يعمل الجندي ، أيلبس القطن ؟ ثم أخذهم للأشياء من غير وجهها ، فالظلم معهم كالطبع" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

وبالإضافة لما سبق فقد وصف أرباب البوادي ، والتجار ، وأرباب المعاش والنساء قـائلاً : "وأربـاب البوادي قد غمرهم الجهل وكذلك أهل القرى ما أكثر تقلبهم في الأنجاس وتهوينهم لأمر الصلوات .

ثـم نظرت في التجار فرأيتهم قد غلب عليهم الحرص ، حتى لا يرون سوى وجوه الكسـب كيف كانت ، وصار الربا في معاملتهم فاشياً ، فلا يبالي أحدهم من أين تحصل له الدنيا ، وهم في باب الزكاة مفرطون ، ولا يستوحشون من تركها ، إلاّ من عصم ا .

ثـم نظـرت في أرباب المعاش ، فوجدت الغش في معاملاتهم والتطفيف والنجس ، وهـم مع هذا مغمورون بالجهل ، ورأيت عامة من له ولد يشغله ببعض هذه الأشغال طلباً للكسب قبل أن يعرف ما يجب عليه وما يتأدب به .

ثـم نظرت في أحوال النساء ، فرأيتهن قليلات الدين ، عظيمات الجهل ، ما عندهم من الآخرة خبر إلاّ من عصم ا " (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤) .

ووصف العلماء ، والمتعلمين ، والعباد والمتزهدين ، قائلاً :

"فتأملت العباد والمتزهدين فرأيت جمهورهم يتعبد بغير علم ، ويأنس إلى تعظيمه ، وتقبيل يده وكثرة اتباعه ، حتى إن أحدهم لو اضطر إلى أن يشتري حاجة من السوق لـم

---

* ملاحظة : كتب ابن الجوزي حسب ورودها في المتن :
الأذكـياء (٢٠٠٣ أ) ، التبصرة (٢٠٠٣ ب) ، تلبيس إبليس (٢٠٠٣ جـ) ، صيـد الخاطـر (٢٠٠٤ أ) ، مختصر منهاج القاصدين (٢٠٠٤ ب) .

يفعـل ، لئلا ينكسر جاهه ، ثم ترقى بهم رتبة الناموس إلى أن لا يعودوا مريضاً ، ولا يشهدوا جنازة ، إلاّ أن يكون عظيم القدر عندهم . ولا يتزاورون ، بل ربما منن بعضهم علـى بعض بلقاء ، فقد صارت النواميس والأوثان يعبدونها ولا يعلمون ، وفيهم من يقدم علـى الفتوى لجهل لئلا يخل بناموس التصدر ، ثم يعيبون العلماء لحرصهم على الدنيا ولا يعلمون أن المذموم من الدنيا ما هم فيه ، لا تناول المباحات .

ثم تأملت العلماء والمتعلمين ، فرأيت القليل من المتعلمين عليه أمارة النجابة . لأن أمـارة الـنجابة طلب العلم للعمل به ، وجمهورهم يطلب منه ما يصيُره شبكة للكسب ، إما لـيأخذ بـه قضـاء مكان أو ليصير به قاضي بلد ، أو قدر ما يتميز به عن أبناء جنسه ثم يكتفي.

ثم تأملت العلماء فرأيت أكثرهم يتلاعب به الهوى ويستخدمه ، فهو يؤثر ما يَصُده العلـم عنه ، ويُقبل على ما ينهاه ، ولا يكاد يجد ذوق معاملة سبحانه ، وإنما همتُه أن يقول وحسب" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

هذا ، وقد قسم ابن الجوزي المجتمع إلى فئتين الخاصة والعامة ، ويتضح ذلك في كـتابه المنـتظم . وكان لذلك أثر كبير في نظرته للعامة ، فابن الجوزي لم يكن من العامة حيـث كان مقرباً من الخلفاء (الخولي ، ١٩٩٠) ، وكذلك لم يكن من الزاهدين ، حيث كان أهلـه تجـاراً . وقد كان ميسور الحال . ويبدو انه قد تأثر بنظرة علية القوم إلى العامة . حيـث حذر من مخالطة العوام قائلاً : "وفي هذا الزمان إن وقعت المخالطة للعوام (عكرت الفـؤاد) فهـم ظلمـة مستحكمة ، فإذا ابتلى العالم بمخالطتهم فليشمر ثياب الحذر ، ولتكن مجالسته إياهم للتذكرة والتأديب فحسب" . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

كمـا كان للتنوع العرقي أثراً واضحاً في فكر ابن الجوزي ، حيث حاول كل عنصر مـن تلك العناصر أن يؤثر بثقافته في المجتمع ، مما دفع ابن الجوزي إلى التمسك بمذهبه السـلفي ويتضـح لنا ذلك من خلال قوله : تأملت قوله تعالى : " فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى" (سـورة طه : الآية ١٢٣) . قال المفسرون : هداي رسول ا وكتابي . فوجدته على الحقـيقة أن كـل من اتبع القرآن والسنة وعمل بما فيهما ، فقد سلم من الضلال بلا شك ، وارتفـع فـي حقه شقاء الآخرة بلا شك ، إذا مات على ذلك " . وقد اثر هذا المذهب في الأسس الفكرية ، والأهداف والغايات التربوية لدى هذا للإمام الجليل .

ونتـيجة للظـروف السـيئة التي مرّ بها المجتمع العباسي ، وكردة فعل على حالة الـبؤس والشقاء التي سادت في أوساط العامة ، نتيجة لأزمات الغلاء التي تكاثرت في هذا العصـر ، والفتـن العسـكرية ، وتفاقم الأوضاع المعيشية وازدياد الفوارق الاجتماعية ، ظهرت الصوفية التي تدعو إلى الزهد .

أمـا عـن موقـف ابن الجوزي من المتصوفة ، فقد اخذ عليهم عدة مآخذ منها : تكاسـلهم عن العمل وراحتهم في الأربطة التي بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة وشغلهم الشاغل الأكل والشرب والغناء والرقص (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ج) .

الظروف الاقتصاديَّة:

لقـد كانـت الدولة العباسية تسعى إلى تحقيق التوازن بين وارداتها ومصروفاتها (سـرور ، ١٩٧٦) ، وقد كانت الأموال تأتي إلى عاصمة الخلافة بغداد، من جميع الأقاليم فـي الدولـة الإسـلامية، وبقي الوضع على هذه الحالة إلى النصف الأول مـن القـرن الرابـع الهجري الوقت الذي استقلت فيه بعض الأقاليم في الدولة العباسيـة (الخالـدي ، ١٩٦٩) ، حيث أصبح دخل الدولة يتناقص شيئاً فشيئاً، وأصبحـت الحـروب عِبئاً ثقيلاً لا يمكــن تحملــه (حسن ، ١٩٧٢) . وقد أدى ضعف الخلافـة إلى سوء توزيع الثروة، وانتشـار الفسـاد بيـن العامـة، كما ظهرت طبقة الأغنياء مما أدى إلـى ظهور الشطار والعيارين في بغداد الذين حاولوا التخلص من هذا النظام (الدسوقي ، ٢٠٠٠) .

أمـا مـوارد الدولـة في العصر العباسي فقد ذكرها القاضي أبو يوسف في "كتاب الخراج" حيث قسم تلك الموارد إلى ثلاثة أقسام: خُمس غنائم الحرب، والصدقات، والخراج. ويدخل تحت الخراج ما يُطلق عليه وظيفة الأرض الخراجية، وجزيـة أهل الذمة، والعشر، وقـد أراد بأرض الخراج: "الأرض التي كانت للأعاجم ودخلهـا المسلمون عنوة فبقيت تلك الأرض بـأيدي أهلها أو صالحَهم عليها الإمام وصيرهم ذِمة، ويَخْرج مـن ذلك أنواعٌ من الأرض لا يوضـع عليها الخراج وإنما تكون أرضاً عشرية: وهي كل أرض العرب غير بني تغلـب ، وكـل أرض للأعـاجم أسلم عليها أهلها طوعاً، وكذلك كـل أرض من أراضـي الأعاجـم ظهـر عليهـا المسلمون عنوة فقسمها الإمام بين الفاتحين" (حسن ، ١٩٧٢) .

أمـا مصارف تلك الأموال فكانت تُنفق علـى أرزاق القضاة والولاة وأصحاب بيت المـال وغيرهم من الموظفين والجند، كما كانت تُنفق على إصلاح مجاري الأنهار والترع

لتوصـيلها المـاء إلـى الأراضـي البعيدة. والنفقة على المسجونين وأسرى المشركين، والمعدات الحربية والعطايا والهبات التي كانت تُمنح للأدباء والعلماء (حسن ، ١٩٧٢) .

وكذلك الجزية فقد كانت تؤخذ من أهل الذمة وكانت من أهم مصادر بيت المال.

وعند الحديث عن النظام الاقتصادي لا بد مـن الحديث عـن سياسة الأرض، وعن الصناعة والتجارة في تلك الفترة.

أما بالنسبة لسياسة الأرض، فقد اتسعت مساحة الأرض العباسية، حيث شملت بلاداً كثـيرة تقع ضمن القارات الثلاث، وكـانت معظم تلك الأراضـي أراضي زراعية، حيث قام العباسـيون باستصلاح تلك الأراضي وإقامـة شبكـات الري التـي أقيمت قرب الأنهار أو الينابـيع. كمـا تـم استقدام خبراء متخصصين فـي الزراعـة من مهندسي مياه وعلماء حراثة لاستخدامهم في الإدارة العباسية (علم الدين ، ١٩٩٣) .

كمـا أدت كـثرة الفيضـانات عند نهري دجلة والفرات إلى إجراء دراسة لمنسوب المياه في أواخر القرن الثالث الهجري.

وتشـير المـراجع التاريخـية إلـى استخدام العباسيين لآلات الري مثل الدواليب والنواعير، حيث كانت تعتمد على حركة المياه والريح. .

أمـا أنواع المزروعات التـي كانت تُزرع فـي بغداد فهـي كروم العنب، وأشجار الزيـتون والنخـيل، كمـا نشأ في بغداد فن البستنة، حيث كانت تتكون تلك البساتين من النخيل وأنواع الزهور المختلفة (علم الدين ، ١٩٩٣) .

أما بالنسبة للصناعة، فعندما بدأت حركة الانتشار العربي الإسلامي، ومن ثم حركة الفـتح، اهتم المسلمون بالأمور الإدارية. أما الصناعة فقد تركوها لسكان البلاد الأصليين، وقد كانت تلك البلاد غنية بالموارد الطبيعية والإنتاج الزراعي اللازمين للحركة الصناعية.

وقد اختصت كل مدينة بنوع معين من الصناعات، فقد انتشرت صناعة السكر فـي إقلـيم البصـرة والأندلـس، كمـا انتشرت صناعة الذهب في أسوان وبلاد السودان، بينما انتشرت صناعة الحديد في فارس وبيروت وصقلية وإفريقيا وأفغانستان، وانتشرت صناعة الورق في العراق وسمرقند ودمشق وطرابلس وطبرية .

أمـا بالنسبة للتجارة، فقد كانت التجارة مُزدهرة في العصر العباسي، وقد أسهم في هـذا الازدهـار نمو في حركة الملاحة البحرية والنهرية، وتطور حركـة القوافل التجارية الـبرية، كمـا سـاعد فـي ذلك مواكبة التشريع الإسلامي للعمليات التجارية. (علم الدين، ١٩٩٣) .

أما بالنسبة للخط البري فقد كـان العباسيون يعتنون بـه عناية خاصة، مـن حيث الاهتمام بتسهيل طرق تلك القوافل، وتأمين سلامة بضاعتهـا، كما أُقيمت استراحات عديدة تتوفر فيها المياه، وكان أشهرها رباطات للزهاد، حيث يجد فيهـا المسافـر الطعـام لنفسه ولدابته، كما يجد مكاناً للنوم إذا لزم الأمر، ولكـن هذا لا يمنـع تعرض القوافـل التجارية للمخاطر، حيث كان هناك الكثير من اللصوص والعيارين الذين كانوا يغيرون على القوافل، مما دعا الحكام المحليين إلى تسيير حراس مسلحين مع كل قافلة، كما أدى هذا الخطر إلى ظهـور المصـارف فـي الدولة العباسية، حيث كان هناك بعض المصارف فردياً، والبعض الآخر على شكل شركة، فكان الصيرفي يتعامل مع التجار الذين يضعون أموالهم عنده مقابل صكوك يعطونها لمن يشترون منه، حيث يعـود البائـع للصيرفـي لتحصيل تلك الأمـوال (علم الدين ، ١٩٩٣) .

أما بالنسبة للدولة الإسلامية في عصر السلاجقة فقد تدهورت الأوضاع الاقتصادية، ونتيجة لذلك عجزت الدولة عن دفع رواتب الجند، مما أدى إلى ازدياد شغبهم، وتدخلهم في شـؤون الحكـم حيث كانوا يناصرون أميراً علـى آخـر، كما أرغموا الدولة على إقطاع الأرض مقابل الخدمة العسكرية، فأدى ذلك إلى تحويل الأقاليم المتطرفة إلى كيانات إقطاعية عسـكرية. كمـا صـادر أمـراء الأطراف ضياعاً لأشراف العـرب طمعاً بهم وبأملاكهم ، وصادروا التركات، وقاسموا الورثة في ضياعهم (سليم ، ١٩٩٩) .

وقد كانت سياسة المصادرة تدل علـى عدم احترام الملكية الخاصة، بعيدة كل البعد عـن العدالة، لقد أدت إلى قلق الناس وخوفهم علـى أموالهم، ومن ثم توجههم إلى إخفاء أموالهـم خوفـاً من المصادرة، وهو ما قاد إلـى اضطراب الحالـة المالية، وتدهور حالة الدولـة الاقتصادية، مما أدى إلى علاج ذلك عن طريق الضرائب والإسهاب في المصادرات والنهب، ومع زيادة سوء الحال كثرت حركة العزل والتولية (أمين ، ١٩٦١).

وقد أدت هذه الأوضاع الاقتصادية السيئة إلــى قيام الثورات التي تنادي بالمساواة، وتحـتج على الأوضاع السيئة التي تتعرض لها البلاد مـن الناحية الاقتصاديَة، والراجح أن هذه الثورات وَجدت نجاحاً في الأوساط التي انطلقت منها (عبد الخالق ، ١٩٩٠) .

ونتيجة لهذه الثورات الاجتماعية والفتـن الصراعيه والاحتلال الأجنبي، فقد غمض على الناس في بعض المناطق نظام تملك الأرض، وهل هي خراجية أو عشرية، وقد رأى بعض الفقهاء أن تكون الأرض لمن وُجدت بيده وإن كـان لا يُعرف من أي وجه صارت إليه، وذلك حتى لا يكون للحكام حجة للمصادرة (سليم ، ١٩٩٩) .

كمـا أن الظروف الاقتصادية أسهمت في وجـود التخصص المهنـي، حيث وُجِدت طوائف متعددة من أصحاب المهن كالدكاكين والجزارين والخبازين والطباخين والحبوبيين والسمانين ، والبزازين ، والدلالين، ونخاسي العبيد (عبد الخالق،١٩٩٠) *.

وبعـد انهيار دولة السلاجقة استعادت الخلافة العباسية بعضاً من سُلطتها السياسية إلـى جانـب السـلطة الروحـية، كمـا استطاع الخلفاء زعزعة الإقطاع العسكري، كما اسـتطاعوا جباية الخراج من مناطق كثيرة كانت متمردة على سُلطان الدولة مثل منطقة البطائح بالعراق، وفي أواخر الدولة العباسية انهار الإقطاع العسكري، وتم الاستغناء عن معظم أفراد الجيش مما سهل فـي سقوط بغداد علـى يد التتار(سليم ، ١٩٩٩) .

انعكاس الظروف الاقتصادية على فكر ابن الجوزي :

ارتبطـت الظروف الاقتصادية بالظروف الاجتماعية والسياسية التي سادت المجتمع العباسي في القرن السادس الهجري .

حيـث أثـرت الظروف السياسية المتمثلة بسيطرة السلاجقة على ثروات المجتمع العباسـي ، وانتشـار أسـلوب المصادرات وعدم أمن أفراد المجتمع على ممتلكاتهم ، في أوضاع المجتمع ، وتفاقم الفروقات الاجتماعية ، وظهور الطبقات المتفاوته ، وانتشار الفقر ، والأمراض الاجتماعية الناجمة عنه . وقد أدت هذه الأحوال إلى ضيق الناس ، وشعورهم بالظلم والنقمة على السلطان ، كما أدت إلى انتشار الشطار والعيارين ، واللصوص .

* انظر حسن عبد العال ، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٨ ص (٦١) .

أمـا ابن الجوزي فلم يكن وسط تلك الظروف ، عالماً في الاقتصاد ولم يكن مصلحاً اقتصـادياً . بل كان مربياً ومعلماً يحاول علاج الآثار الناجمة عن تلك الظروف الاقتصادية المؤدية إلى الفوارق الطبقية ، حيث أدت تلك الفوارق إلى أمراض اخلاقية اجتماعية ترتبط بكل طبقة من طبقات المجتمع .

كمـا تأثـر ابن الجوزي بالتخصص المهني الناجم عن الظروف الاقتصادية ، حيث خاص إلى أن كل فرد من أفراد المجتمع له دور عليه القيام به ، حيث يقوم كل فرد بعمل مختلف عن الاخرين وذلك لكي يعمل المجتمع بطريقة متوازنة . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ).

كمـا حاول علاج الظروف الاقتصادية السيئة للأسرة ، وذلك عن طريق دعوته إلى تقليل حجم الأسرة ، وعدم إنجاب أعداد كبيرة . (ابن الجوزي ٢٠٠٤ أ) .

الظروف الثقافيَّة:

فـي نهايـة القـرن الخـامس الهجـري وطيلة القـرن السادس الهجري، كان الاهـتمام بإنشـاء المـدارس رائجاً، حيث يمكـن اعتبار تلـك الفتـرة الزمنيَّة مـن أهم عصور التمدن الإسلامي من حيث كثرة انتشار المدارس.

وعمـل إنتشـار تلـك المدارس على الحد مـن انتشار العلـوم العقلية، كما أدى انتشـارها إلـى رواج اللغة العربية، وقد كان المتدينون يقفون أموالهم على تلك المدارس طمعاً في الثواب، وكـان الدارسـون يتجهون نحـو المدارس الدينية لاعتقادهم بأن العلوم العقلية يكرهها العامة والخاصة. وإيماناً منهم بأن الدراسات الدينية تقودهم إلـى الوظيفـة والراتب والرفاهية.

وفـي المـدارس الدينية كان يُمنـع تناول العلوم العقلية والفلسفية والعلـوم التي تـتعلق بالهندسـة والنجوم، وكان التركيز علـى العلوم الدينية واللغوية والأدبية. (حلمي، ١٩٧٨) .

أمـا بالنسـبة لإنشاء المدارس فقد أجمع المؤرخون المسلمون على وجه التقريب على أن أول من بنى المدارس في الإسلام نظام الملك الطوسي ، وزيـر ملك شاه السلطان السـجلوقي فـي أواسـط القرن الخامس للهجرة، غير أن الإفرنج يذكرون أن أول مدرسة أنشـأها المسـلمون هي مدرسة في خراسان أنشأها المأمـون، وكذلك فقد أنشئت مدارس

متعددة في نيسابور عاصمة خراسان قبل زمن نظام الملك، مثل مدرسة ابن فورك المتوفى سنة ٤٠٦هـ، والمدرسة البيهقية نسبة إلى البيهقي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ... وغيرها، وكذلك نظام الملك نفسه بنى مدرسة بهذا الاسم في نيسابور قبل مدرسة بغداد. ولعل السبب في اشتهار أسبقية نظام الملك في بناء المدارس الإسلامية أنه أول من بنى مدرسة كبرى في بغداد. وقد كان التعليم مجاناً في تلك المدرسة، كما فرض نظام الملك لتلامذة المدرسة الأرزاق والمعاليم والجواري. (زيدان، ج٢ ، ١٩٥٨) .

وكان السبب في إكرام العلماء وارتفاع منزلتهم عند أمراء الأعاجم هو الحاجة إلى كسب قلوبهم وقلوب العامة، كما أنه من الأسباب التي دعت الأمراء الأعاجم إلى إنشاء المساجد والمدارس غير طلب الأجر والثواب، أن هؤلاء الأمراء يغلب أن يكونوا من موالي السلطان أو صنائعه، وله عليهم حق الولاء أو الرق . فإذا توفي الأمير وأراد السلطان قبض ما ترك الأمير من المال أو الضياع فعل ، وحرم أبناءه منها، فلقد كان الأمير يبني المدارس أو الزوايا أو الربط، ويقف عليها الأوقاف، ويجعل في شروط الأوقاف أن يتولاها بعض ولده وله نصيب منها، فيأمن بذلك على أولاده من الفقر.

وكان من أسباب إنشاء المدارس التأييد المذهبي للمذهب الذي يتبعه السلطان أو الأمير. (زيدان، ج٣، ١٩٥٨).

وقد وصف ابن جبير مدارس بغداد بقوله: "والمدارس بها نحو الثلاثين، وهي كلها بالشرقية، وما منها مدرسة إلا وهي يقصر القصر البديع عنها، وأعظمها وأشهرها النظامية، وهي التي ابتناها نظام الملك، وجددت سنة أربع وخمسمئة، ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات مُجلسة تتصير إلى الفقهاء المدرسين بها، ويُجْرُون لها على الطلبة ما يقوم بهم. ولهذه البلاد في أمر هذه المدارس والمارستانات شرف عظيم وفخر مخلد، فرحم ا واضعها الأول ورحم من تبع ذلك السنن الصالح". (ابن جبير، ١٩٥٩).

وقد كانت المدرسة النظامية ذات مكانة كبيرة في العالم الإسلامي، حيث تخرج منها مشاهير رجال العلم : الشيخ أبو إسحق الشيرازي، والإمام أبو نصر الصباغ صاحب الشامل، وأبو حامد الغزالي، وكمال الدين الأنباري وغيرهم. وكانت تعلم فيها العلوم الدينية والفقهية واللسانية . (زيدان، ج٣، ١٩٥٨).

وكـان للمـدارس أشـكـال عديدة ، فمنهـا حلقات الجوامـع والربط والزوايـا، ومـنهـا المارسـتانات للطـب والفلسـفـة، ومـنها المدارس المجانية الكبـرى للعلوم الإسلامية. وكذلـك مجالس العِلم التي كان يعقدهـا العلماء فـي منازلهم. وقد كان يختلف عـدد الطلـبة باخـتلاف شـهرة الأستاذ في فنه. ومن أكثر العلماء طلبة فـي ذلك الوقت الشـيرازي، والفارابـي، والرازي، وابن خطيب الري، وابن سينا، والغزالي. وكان التعليم شـامـلاً كـل طـبقـات النـاس حتى الجواري والمماليك والمخانيث والعبيد وغيرهم. (زيدان ، ج٣ ، ١٩٥٨) .

وقد وصف ابن بطوطـة مساجد بغداد ومدارسهـا عندما زارها فـي القرن الثامن الهجـري ، قـائلاً: "وبـبغداد مـن المساجد التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسـجداً، مـنها بالجانب الغربي ثمانيـة، وبالجانب الشرقي ثلاثة، والمساجد سواها كثيرة جـداً، وكذلـك المدارس، إلا أنهـا خربت... والجهـة الشرقية مـن بغداد حافلة الأسواق عظـيمة الترتيـب، وأعظم أسواقها سوق يُعرف بسوق الثلاثاء، كل صناعة فيه على حدة، وفي وسط هذا السوق المدرسة النظامية العجيبة، التـي صارت الأمثال تُضرب بحُسنهـا، وفـي آخرها المدرسة المستنصرية، ونسبتها إلى أميـر المؤمنيـن الناصر، وبها المذاهب الأربعة، لكل مذهب إيوان في المسجد وموضع التدريس، وجلوس المدرس فيـه قبة مـن خشـب صـغيرة علـى كرسي عليه البسط، ويقعد المدرس وعليه السكينة والوقار، لابساً السواد معتماً، وعلى يمينه ويساره معيدان يعيدان كل ما يقوله وهذا ترتيب كل مجلس من هذه المجالس الأربعة، وفي داخل هذه المدرسة الحمام للطلبة ودار للوضوء". (ابن بطوطة، ١٩٨٥).

وقـد كانت المدارس في عصر السلاجقـة متخصصة بالمذاهـب، حيث كانت كـل مدرسـة مـن المـدارس تختص بفرقة من الفِرَق المذهبية دون غيرها. كما كان الغنـي يوقِف ماله يَشترط ألا يدرس فيها سوى أهل مذهبه. (حلمي ، ١٩٧٨).

مما تقدم نلاحظ أن العصر السلجوقي كـان عصر انتشار العلوم المذهبية والأدبية، كما كان عصر انطلاق الحركة المدرسية فـي الإسلام، وقد كانت الظروف السياسية تتطلب هذه السياسة التعليمية. (حلمي ، ١٩٧٨) .

وكـان الأمراء والخلفاء والسلاطيـن والحكام يقومـون بإدارة المدارس. أما أوقاف المـدارس فكـان يعيـن لهـا (مـتول) أو (ناظر). أما المدرسون فكانوا مدرسين ومعيدين متخصصين، وقد يتم اختيار نائب للتدريس في حالة عدم توفر المدرس الكفء.(حلمي،د٠ت).

وكانت في معظم المساجد الكبرى والمدارس مكتبات وفـي معظم المدن دُور عامة للكتب مفتوحة الأبواب لطلاب العلم ليلاً ونهاراً. (تقي الدين، ١٩٧٥) .

وقـد كـان يدرس علم الطب والحساب بالإضافة إلـى العلوم الدينية والأدبية، كما كـان يـدرس مقدمـات علـم الحسـاب لاحتـياج الفقه له. أما تدريس الطب فكان في المستشـفيات، أمـا العلـوم العقلية فكانت مكروهة لدى العلماء المسلميـن... وقد كانوا يُحرمون تدريسهـا. فكانت تدرس الفلسفة والعلوم العقلية خارج المساجد والمدارس.

أمـا الربط والخوانق فقد كانت مجال تعليم الصوفية، وكـان في كل مدينة أكثر من خانقاه (رباط) ولكل خانقاه الأوقافُ والخدمُ الخاصون به. ولم تكن تلك الأماكن تقتصر على العبادة والزهد، بل كانت أماكن للتأليف والتصنيف والقـراءة والتثقيف. ومنها كانت تؤخذ الإجازات، وقد كانت أيضاً مكاناً لإلقاء المحاضرات، وألحق بها مكتبات يرتادها المتصوفة، فيدرسون، ويؤلفون ويصنفون (حلمي ، ١٩٧٨) .

وكانت تقسم العلوم في ذلك العصر إلى:

أولا: العلوم الشرعية:

(١) علم القراءة.
(٢) علم التفسير.
(٣) علم الحديث.
(٤) علم الفقه.
(٥) علم الكلام

ثانيا: العلوم العقلية:

من المعروف أن العلوم العقلية قوبلت بتعصب ومقاومـة شديدة ، وتشمل:

(١) علوم الحكمة.

(٢) العلوم الرياضية والفلكية (حلمي ، ١٩٧٨) .

أمـا بالنسبـة لعوامـل الازدهـار العلمـي في ذلك العصر فقد صنفها عبد الخالق (١٩٩٠) كما يلي:

(١) تنافس أمراء الدويلات الإسلامية على احتضان العلم والعلماء.
(٢) سياسة السلاجقة التي تقتضي تشجيع العلم والعلماء.
(٣) كفاءة وزراء السلاجقة العلمية.
(٤) نشاطات الجماعات الفكرية والمذهبية.
(٥) تعدد الأجناس في الدولة الإسلامية.
(٦) رباط اللغة والدين.
(٧) حركة الترجمة ونتائج الانفتاح الثقافي.
(٨) وفرة وسائل البحث من مكتبات وأوراق ومناظرات.
(٩) الدعم المادي للمؤسسات الثقافية وطلابها.
(١٠) حرية الرحلة في طلب العلم.

انعكاس الظروف الثقافية على فكر ابن الجوزي :

على الرغم من تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية في القرن السادس الهجري في الدولة العباسية ، وتسلط السلاطين السلاجقة على الحكم وتمزيقهم للدولة الإسلامية إلى إمارات ودويلات ، على الرغم من ذلك كله انتشرت الثقافة الإسلامية ، وكان هناك ازدهارٌ علميٌ واسعٌ . وقد تعرضت الباحثة للعوامل التي أدت إلى ذلك الازدهار العلمي الواسع .

كمـا تمـيزت تلـك الحقبة بانتشار المدارس بمختلف أنواعها . والاهتمام بالعلوم الدينـية والأدبـية ، والابتعاد عن العلوم العقلية والفلسفية ، كما تميزت بظهور المدارس المذهبية .

وقد تأثر ابن الجوزي بتلك الظروف الثقافية مستفيداً من الانفتاح الثقافي ، وحركات الـترجمة الواسعة ، وبناء المدارس ، حيث كانت الثقافة اليونانية إحدى مصادر معرفته . كمـا كان ابن الجوزي عالماً موسوعياً ، ألفّ في علوم كثيرة . ولكنه كان متعصباً لمذهبه السـلفي الحنبلـي معتمداً على الكتاب والسنة . كما كان موقفه موافقاً لعلماء عصره حول مقاومة العلوم العقلية والفلسفية على الرغم من اهتمامه بالعقل والذكاء، والتربية العقلية ،

إلاّ أن نظرته للعقل اعتمدت على ثقافته الإسلامية ، وعلى مذهبه الحنبلي ، حيث لم تخضع نظـرته إلـى العقـل إلـى الآراء الفلسفية المختلفة على الرغم من اطلاعه على الفلسفة اليونانية .

كما أثرت الظروف الثقافية على ابن الجوزي فجعلت منه عالماً موسوعياً ، واعظاً، يسـتمع له الآلاف أسـبوعياً ، وجعلـت مـنه مدرساً في خمس مدارس ، حيث انتشرت المـدارس ، وكان الاهتمام بها كبيراً . كما جعلت تلك الظروف منه مؤلفاً ، مهتماً بالكلمة المكـتوبة ، وفـي موضـوعات مختلفة ، كما جعلت منه مربياً يركز على التربية الخلقية والسياسـية والعقلـية ، يهـتم بتربية النشئ والراشد . وقد أدى ذلك إلى ظهور المبادئ والأسس التربوية في فكره . كما ظهرت في ثنايا العديد من كتبه نظرته للطالب ، والمعلم، والمنهاج .

نسـتخلص ممـا سـبق أن الظـروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية ظروف متداخلة تؤثر كل منها في الأخرى كما كان لتلك الظروف الأثر الكبير في فكر ابن الجوزي.

ففـي المجال السياسي ، نتيجة لوجود الفتن والصراعات وضعف الخليفة ، وتجبر السلطان ، رأى ابن الجوزي انه لا بد من تربية الحكام ووعظهم .

أمـا مـن الناحـية الاجتماعـية والاقتصـادية ونتـيجة لتدهور الوضع السياسي والاقتصادي، فقد ظهرت طبقتان ، طبقة الخاصة والعامة .

ونشـأ نتيجة لذلك الكثير من الأمراض الاجتماعية كالغيبة والنميمة والحقد والحسد والـنفاق والمداهنة والمراءاة وغيرها من الأمراض . أثرت هذه الظروف في ابن الجوزي حيث حاول إصلاح كل من الفرد والمجتمع ، وركز على القيم والأخلاق الاجتماعية والدينية لمعالجة تلك الأمراض .

أمـا من الناحية الثقافية فقد كان لانتشار المدارس كبير الأثر في ابن الجوزي حيث درّس فـي خمـس مدراس . كما ظهر العداء للعلوم العقلية حيث أثر ذلك في ابن الجوزي وموقفه الذي لم يكن مخالفاً لعلماء عصره حول هذا الموضوع .

كما أعطى أهمية كبيرة للنشئ وتربيته منذ فترة ما قبل الولادة وحتى نهاية العمر. وركـز علـى المعلم والمتعلم والمنهاج ، والأساليب والمبادئ التربوية ، كما سيتضح في الفصول القادمة .

الفصل الثالث

الأسس الفلسفية لفكر ابن الجوزي
التربوي ورأيه في التربية الخلقية :

أولاً : الأسس الفلسفية التي قام عليها فكر ابن الجوزي التربوي .

ثانياً : التربية الخلقية عند ابن الجوزي .

أولاً : الأسس الفلسفية التي قام عليها فكر ابن الجوزي التربوي :

اعـتمدت الأسـس الفلسفية التي قام عليها فكر ابن الجوزي التربوي على الفلسفة الإسـلامية التي مصدرها كتاب ا وسنة رسوله ، حيث لم يتعمق في الفلسفات الأخرى ، وذلك لان الفلسفة في عصره لم تكن تحظى بمكانة عظيمة بل رفضت وحوربت .

وبمـا أن ابن الجوزي كان حنبلي المذهب ، فهذا يعني انه كان سني المذهب يعتمد على كتاب ا وسنة رسوله في نظرته إلى الخالق ، العقل ، والنفس والطبيعة الإنسانية .

نظرته إلى الخالق :

يـرى ابن الجوزي في نظرته نحو الخالق عز وجل أنه "ينبغي أن يوقف في إثباته علـى دليل وجوده ، ثم يستدل على جواز بعثه رسله ، ثم تتلقى أوصافه من كتبه ورسله ، ولا يزداد على ذلك" .(ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

كما دعا ابن الجوزي إلى عدم البحث في صفات ا ويكفينا معرفة وجوده ، وبعض الصفات التي يمكننا التوصل إليها من خلال كلامه كالسميع ، البصير ، الحي ، القادر .

ممـا سبق ترى الباحثة أن ابن الجوزي التزم في نظرته للخالق عز وجل في اطار النقل عن القرآن والسنة حيث ركز على قضية وجود الخالق سبحانه وتعالى ، وعلى عدم الخوض في صفاته إلاّ من خلال الكتاب والسنة .

نظرته إلى العقل :

ميز ا تعالى الإنسان عن سائر مخلوقاته بالعقل وبه صار الإنسان مكلفاً بالالتزام بأوامـر ا سـبحانه ومنتهـياً عـن نواهيه ، ومن هنا إذا سلب الإنسان نعمة العقل بطل تكليفه.

وقد أعطى ا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم العقل اهتماماً كبيراً لا نجد له مثيلاً في الكتب السماوية الأخرى ، وهذا دليل على اهتمام الإسلام بالعقل .

العقل عند ابن الجوزي :

وقـبل الـتعرف إلـى العقـل عـند ابن الجوزي ، سيتم التعرف إلى مفهوم العقل اصطلاحاً، من خلال التعريفات التالية :

١٠ هـو القوة التي تميز الخير من الشر ، فتدفع إلى الخير وتمنع من الشر ، وقيل أن العقل هو القوة المتهيئة بقبول العلم . (المنجد ، ١٩٧٤) .

٢٠ العقـل هـو أداة المعـرفة وأداة الفهـم والإدراك واستنباط الحقائق الكونية . (الجوزو، ١٩٨٠) *.

٣٠ هـو نورٌ وضعه الله طبعاً وغريزة ، يعبر به ، نور في القلب كالنور في العين وهو البصر (المحاسبي والغزالي ، ١٩٨٦م) .

٤٠ انه نور كاشف للإنسان يعرف به ما هو حق وما هو باطل ، وما هو حسن وما هو جميل ، كما يستطيع به التمييز بين الخير والشر ، ودون هذا العقل لا تكون هناك حياة إنسانية حكيمة بأي حال من الأحوال (يالجن ، ١٩٩٠) .

أما ابن الجوزي فقد اعتبر العقل آلة يستخدمها الإنسان للتعرف إلى الله عز وجل، وبهـا يـتم تصديق الرسل ، واتباع الشرائع والالتزام بها . كما أنها تقوم بالتحريض على طلـب الفضـائل، والتخويف من القيام بالرذائل . وبالعقل يستطيع الإنسان معرفة المصالح وعواقـب الأمور . فالعقل ليس فقط آلة ، بل يعتبر مدبراً عن طريقه يستطيع الإنسان تدبر الدار الدنيا والدار الآخرة .

وقد أوضح ابن الجوزي ذلك بقوله : " العقل هو الآلة التي عرف بها الله ، وحصل تصـديق الرسل والتزام الشرائع ، وانه المحرض على طلب الفضائل والمخوف من ركوب الرذائل، والناظر في المصالح والعواقب ، فهو مدبر أمر الدارين" (ابن الجوزي ، ١٩٨٦).

كمـا أوضـح ابـن الجـوزي أن مـا يميز الآدمي عن سواه هو العقل حيث يعمل بمقتضـاه، ويـتعلم الإنسان باستخدام الدليل بأنه مخلوق مكلف وعليه فرائض يجب القيام بها. (ابن الجوزي ، ١٩٨٧) .

* انظر أيضاً : قدري حافظ طوقان ، مقام العقل عند العرب ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٠ ، ص ١٠

كما يتوصل إلى معرفة الله عز وجل عن طريق الدليل وقد أوضح ابن الجوزي ذلك بقوله : "ومعلوم أن من رأى السماء مرفوعة ، والأرض موضوعة ، وشاهد الأبنية المحكمة خصوصاً في جسد نفسه ، علم أنه لا بد للصنعة من صانع ، وللمبنى من بان" (ابن الجوزي ١٩٨٧) .

ثم يتأمل دليل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فيرى أن أكبر الدلائل على صدقه هو القرآن الذي اعجز البشر على أن يأتوا بسورة من مثله. (ابن الجوزي، ١٩٨٧).

أما عن فضل العقل فقد قال ابن الجوزي في ذلك : " إنما يعرف فضل الشيء بثمرته ومن ثمرات العقل معرفة الخالق سبحانه فإنه استدل عليه حتى عرفه وعلى صدق الأنبياء حتى علمه وحث على طاعة الله وطاعة رسله ودبر في نيل كل صعب حتى ذلّل البهائم وعلمه صناعة السفن التي يتوصل إلى ما حال بيننا وبينه للبحر واحتال على طير الماء حتى صيدت وعينه أبداً تراقب العواقب وتعمل بمقتضى السلامة فيها والعوز ويترك العاجل للآجل وبه فضل الآدمي لخطاب الله سبحانه وتكليفه وبه يبلغ الإنسان غاية ما في جوهر مثله إن يبلغه من خير الدنيا والآخرة من العلم والعمل وكفى بهذه الأشياء فضيلة لا ببعضها فليكتفي بهذه الجملة عن الإطالة " . (ابن الجوزي ، ١٩٨١) .

أما بالنسبة لماهية العقل فقد اخبرنا ابن الجوزي بانه ينطبق على أربعة معانٍ :

المعنى الأول : " الوصف الذي يفارق به الإنسان البهائم ، وهو الذي استعد لقبول العلوم النظرية وتدبر الصناعات الخفية الفكرية ، وهو الذي أراده من قال غريزة، وكأنه نور يقذف في القلب يستعد به لإدراك الأشياء " .

المعنى الثاني : " ما وضع في الطباع من العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات " .

المعنى الثالث : "علوم تستفاد من التجارب تسمى عقلاً " .

المعنى الرابع : "أن منتهى قوته الغريزية إلى أن تقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة . والناس يتفاوتون في هذه الأحوال إلاّ في القسم الثاني وهو العلم الضروري " . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ أ) .

كما استشهد ابن الجوزي بقول أحمد والمحاسبي بأن العقل غريزة .

ثم عاد وعرف العقل بانه " غريزة ، كأنه نور يُقذف في القلب فيستعد لإدراك الأشياء، فـيعلم جواز الجائزات ، واستحالة المستحـيلات ، ويتلمح عواقب الأمور" . (ابن الجوزي، ١٩٩٩) .

أمـا بالنسـبة لحـدود العقـل ، يُشير ابن الجوزي أن هناك حدوداً للعقل لا يمكنه تجاوزها ، وإذا تجاوزها قد تقوده إلى الهلاك .

كمـا يرى أنه على الإنسان أن يحترز بعقله حتى لا يهلك بعقله ، كما عليه التسليم بـبعض الأمـور التـي لا يستطيع العقل تفسيرها أو معرفة الحكمة منها . وقد أوضح ابن الجوزي ذلك بقوله : "إذا طلبت معرفة ذات الخالق سبحانه من العقل فزع إلى الحس فوقع التشبيه فالاحتراز من العقل بالعقل هو أن ينظر فيعلم أنه لا يجوز أن يكون جسماً ولا شبهاً لشيء .

وإذا نظر العاقل إلى أفعال الباري سبحانه رأى أشياء لا يقتضيها العقل ، مثل الآلام والذبح للحيوان ، وتسليط الأعداء على الأولياء مع القدرة على المنع ، والابتلاء بالمجاعة للصـالحين ، والمعاقبة على الذنب بعد البعد بزلة ، وأشياء كثيرة من هذا الجنس، يعرضها العقل على العادات في تدبيره ، فيرى انه لا حكمة تظهر لها فيها .

فالاحتراز من العقل به أنه يقال : أليس قد ثبت عندي انه مالك ، وانه حكيم ، وأنه لا يفعـل شيئاً عبثاً ؟ فيقول : بلى . فيقال : فنحن نحترز من تدبيرك الثاني بما ثبت عندك في الأول ، فلم يبق إلاّ أنه خفي عليك وجه الحكمة في فعله ، فيجب التسليم له ، لعلمنا أنه حكيم . حينئذ يذعن ويقول : قد سلمت ؟؟" . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

ويذكـر ابن الجوزي أن بعض الأصحاب يرون أن محل العقل القلب ، ويوضح بأن هـذا الرأي مروي عن الشافعي ، ويذكر بأن دليل هؤلاء على ذلك قوله تعالى " فتكون لهم قلوب يعقلون بها " (سورة الحج : الآية ٤٦) .

وقوله تعالى "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب " (سورة ق : الآية ٣٧) ، حيث رأى أولئك أن المراد هنا ، لمن له عقل ، ولقد تم التعبير عن العقل بالقلب لأنه محل العقل .

كما ذكر ابن الجوزي أن أحمد رضي ا عنه ذكر أن محله الدماغ . وكذلك أصحاب أبي حنيفة . (ابن الجوزي ، ١٩٩٩) .

ذكر ابن الجوزي هذه الآراء ، ولكنه لم يذكر رأيه الشخصي حول هذا الموضوع ، أو أي الآراء يرجح .

أ : العلاقة بين العقل والذكاء عند ابن الجوزي :

ميز ابن الجوزي بين ثلاثة مفاهيم وهي الذهن ، والفهم والذكاء وقد قال في ذلك: "حد الذهن : قوة النفس المهيأة المستعدة لاكتساب الآراء .

وحد الفهم : جودة التهيوء لهذه القوة .

وحد الذكاء : جودة حدس من هذه القوة التي تقع في زمان قصير غير ممهل ، فيعلم الذكي معنى القول عند سماعه " .

وقد استشهد ابن الجوزي بآراء الاخرين حول حد الذكاء نورد بعضها .

قال بعضهم : "حد الذكاء : سرعة الفهم وحدته ، والبلادة : جموده " .

وقال الزجّاج : "الذكاء في اللغة تمام الشيء ، ومنه الذكاء في السن وهو تمام السن ومنه الذكاء في الفهم وهو أن يكون فهماً تاماً ، سريع القبول ، وذكّيت النار : إذا أتممت إشعالها" . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ أ) .

من هنا يمكن القول إن ابن الجوزي يرى أن الذكاء هو القدرة على الفهم التام للأحوال فور سماعها .

أما بالنسبة للعلامات التي يستدل بها على عقل العاقل وذكاء الذكي . فقد قسمها ابن الجوزي إلى قسمين :

القسم الأول : من حيث الصورة .

القسم الثاني : من حيث المعنى والأحوال والأفعال .

أما القسم الأول : فيتمثل في الصفات التالية :

استشـهد ابـن الجوزي : بقول الحكماء " الخلق المعتدل ، والبنية المتناسبة دليل علـى قـوة العقل وجودة الفطنة ، وإذا غلظت الرقبة دلت على قوة الدماغ ووفوره ، ومن كانـت عيـنه تتحرك بسرعة وحدة فهو مكّار محتال لص ، وأحمد العيون الشهل ، وإذا لـم تكن الشهلاء شديدة البريق ولا يظهر عليها صفرة ولا حمرة دلت على طبع جيد ، وإذا كانـت العيـن صغيرة غائرة فصاحبها مكّار حسود ومن كان نحيف الوجه ، فهو فهم مهـتم بالأمور ، واللطف في النحاف القصار أظهر ، والمعتدلون في الطول صالحو الحال" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ أ) .

تخلـص الباحـثة من هذا القول إلى أن الإنسان الذكي تتمثل فيه الصفات الصورية التالية :

١. اعتدال الخلق .
٢. تناسب البنية .
٣. غلظ الرقبة .
٤. العيون الشهل .
٥. النحافة مع القصر وتدل على اللطف والاهتمام بالأمور .
٦. الاعتدال في الطول ويدل على أن هؤلاء الأشخاص صالحو الحال .

أما بالنسبة للقسم الثاني وهو الاستدلال على عقل العاقل بالأفعال والأقوال .

فقـد قـال ابـن الجوزي في ذلك "يستدل على عقل العاقل ، بسكوته ، وسكونه ، وخفـض بصره ، وحركاته في أماكنها اللائقة بها ، ومراقبته للعواقب ، فلا تستفزه شهوة عاجلـة عقـباها ضرر ، وتراه ينظر في الفضاء ، فيتخير الأعلى والأحمد عاقبة من مطعم ومشرب وقول وفعل ، ويترك ما يخاف ضرره ، ويستعد لما يجوز وقوعه" . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣أ) .

مما تقدم نستطيع القول إن العاقل عند ابن الجوزي من توافرت فيه الصفات التالية:

أ : السكوت والسكون .
ب : غض البصر .
ج : مراعاته لعواقب الأمور .

ومن خلال استشهاده بالأقوال الأخرى أن هناك صفات أخرى للعقال منها :

- التواضع لمن هم أعلى منه .
- عدم ازدراء من هم أدنى منه .
- الإيمان با .
- طلب تعلم الفقه .
- استكثار قليل المعروف من غيره ، واستقلال كثير المعروف من نفسه .
- يرى أن الناس خيراً منه وأنه شرهم .
- أن يكون عقله زائداً على لسانه . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ أ) .

أمـا بالنسـبة لصـفات العاقل المرتبطة بأفعاله وأقواله فإنه من السهل الاستدلال علـيها، وكذلـك ربطها بالعقل . أما الصفات المرتبطة بالخلق ، والصفات الجسمية فليس هناك دليلٌ على صحتها وستتم مناقشة ذلك لاحقاً .

ب: العلاقة بين العقل والحماقة عند ابن الجوزي :

وكعادتـه يـبدأ ابـن الجوزي بالاستشهاد بأقوال الاخرين عن الموضوع الذي هو بصدده ، فيبدأ ابن الجوزي مستشهداً بقول ابن الأعرابي حول الحماقة "الحماقة مأخوذة من حمقـت السـوق إذا كسدت ، فكأنه كاسد العقل والرأي ، فلا يشاور ولا يلتفت إليه في أمر حـرب ، وقـال أبـو بكر المكارم : "إنما سميت البقلة الحمقاء لأنها تنبت في سبيل الماء وطريق الإبل " .

قال ابن الأعرابي : "وبها سمي الرجل أحمق لأنه لا يميز كلامه من رعونته" .

ثـم يميز ابن الجوزي بين الحماقة والجنون بقوله : "وقد ذكرنا ما يتعلق باللغة في هذا الإسم ولا يظهر المقصود إلاّ بكشف المعنى فنقول : معنى الحمق والتغفل هو الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة المقصود بخلاف الجنون ، فإنه عبارة عن الخلل فـي الوسـيله والمقصود جميعاً ، فالأحمق مقصوده صحيح ، ولكن سلوكه الطريق فاسد

ورويـته فـي الطريق الوصال إلى الغرض غير صحيحة ، والمجنون أصل إشارته فاسد ، فهو يختار ما لا يُختار " . (ابن الجوزي ، ١٩٩٤) .

ويمكن القول أن ابن الجوزي يرى الأحمق يخطئ في استخدام الوسيلة للوصول إلى الهدف ، وإن كان هدفه سليماً . أما المجنون فإنه يخطئ في الوسيلة والهدف معاً .

هـذا ، وقـد ربط ابن الجوزي بين الحمق والفساد في العقل قائلاً : "وقد ذكرنا أن الحمق فساد في العقل أو في الذهن . وما كان موضوعاً في أصل الجوهر ، فهو غريزة لا يـنفعها التأديـب ، وإنما ينتفع بالرياضة والتأديب من أصل جوهره سليم ، فتدفع الرياضة العـوارض المفسـدة ، وبعد فالناس يتفاوتون في العقل وجوهره ومقدار ما أعطوا منه ، فلهـذا يتفاوت الحمق قيل لإبراهيم النظام "ما حد الحمق ؟" فقال : سألتني عما ليس له حد" (ابن الجوزي ، ١٩٩٤) .

من هنا نستطيع القول بأن الحمق هو عبارة عن فساد في العقل أو في الذهن. وأن الحمـق صـفة موجـودة فـي جوهر الإنسان ، وهو غريزة ، لذا لا ينفع فيه التهذيب أو الرياضة ، وأن الناس يتفاوتون في درجة الحمق .

وقسـم ابن الجوزي صفات الأحمق إلى قسمين؛ أما القسم الأول فيتعلق بالصورة، وأما الثاني فيتعلق بالخصال والأفعال .

أما ما يتعلق بالقسم الأول فقد استشهد بقول الحكماء "إذا كان الرأس صغيراً رديء الشـكل دل علـى رداءة في هيئة الدماغ . قال جالينوس : لا يخلو صغر الرأس البتة من دلالـة علـى رداءة هيئة الدماغ وقلته ، ومن كانت بنيته غير متناسبة كان رديئاً في همته وعقله مثل الرجل العظيم البطن ، القصير الأصابع ، المستدير الوجه العظيم القامة الصغير الهامـة ، اللحـيم الجبهة والوجه والعنق والرجلين ، فكأنما وجهه نصف دائرة ، كذلك إذا كـان مسـتدير الـرأس واللحـية ، ولكن وجهه شديد الغلظ وفي عينيه بلادة ..". (ابن الجوزي، ١٩٩٤) .

أمـا بالنسـبة للقسم الثاني ، فيرى ابن الجوزي أن الأحمق لا يستفيد من التجارب التي يمر بها ، حيث يستصوب ما يفعله ويصر عليه . كما يوضح أن الأحمق يمتاز بصفات مـنها : الإفراط في الضحك ، وسرعة الغضب ، والغرور ، وإفشاء السر . وهذه الصفات

صفات نفسية ترتبط بحالة الشخص الانفعالية مما يدل على إدراك ابن الجوزي للعلاقة بين الجانب العقلي والجانب السلوكي .

كما يتصف الأحمق بالغفلة ، والخلط بين المواقف التي لا يوجد بينها تشابه حقيقي حيـث يضـع الشيء في غير محله ، ظناً منه أن ما يحدث في موقف ينطبق على مواقف أُخرى . كما يتصف الأحمق بضحالة المعلومات . (ابن الجوزي ، ١٩٩٤) .

وبعـد اسـتعراض رأي ابـن الجوزي في العقل ، وتوضيح رؤيته للذكاء تستطيع الباحـثة التوصل إلى أن ابن الجوزي اعتبر الذكاء قوة غريزية تعني سرعة الفهم وحدته ، حيـث يعلـم الذكـي معنى القول عند سماعه "ويقع ذلك في زمان قصير غير ممهل" (ابن الجـوزي ، ٢٠٠٣أ) . وبالـرغم من ذلك ، لم يغفل ابن الجوزي أثر التجارب والتعليم في كمـال العقل حيث قال في موضع آخر في كتاب الأذكياء "وأرى أن الذكاء علوم تستفاد من التجارب" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣أ) .

كمـا أوضـح ابـن الجـوزي أن الأطفال يتفاوتون في مقدار ذكائهم حيث يقول : "يـتفاوت الصـبيان بعـد ذلـك ... منهم من تنبهه بأيسر تنبيه ، ومنهم من يتعب معه الرائض وجبلته لا تقبل الرياضة .." (ابن الجوزي ، ١٩٨٣) .

وربـط ابـن الجوزي بين الذكاء والسلوك ، حيث أوضح أن الإنسان الذكي يتصف باعـتدال المـزاج وكمال العقل وعلو الهمة ، وقد أوضح ذلك بقوله : "متى اعتدل المزاج وتكـامل العقـل أوجب ذلك يقظة الصبي من حال صغره ، فتراه يطلب معالي الأمور ، فإن طلـب رفعـة الدنيا دل على قصور فهمه ، لأن من استحضر عقله ، دله على خالق وجبت طاعته وامتثال أوامره ، فطلب التقرب إليه ، وعلم أنه لا يقرب إلاّ بالعلم والعمل ، فجد في تحصيل ذلك من غير آمر" (ابن الجوزي ، ١٩٨٣) .

كمـا أكد تأثر سلوك الأطفال بالمستوى العام للذكاء ، حيث أوضح أن الطفل الذكي "تـراه فـي طفولته ... كأنه في الصبا شيخ ينبو عن الرذائل ويفزع عن النقائص، ثم لا تـزال شجرة همته تنمو حتى يرى نموها مهتدلاً على أغصان الشباب ، فهو حريص على العلـم منكمش على العمل ، محافظ للزمان ، مراع للأوقات ساع في طلب الفضائل ، خائف من النقائص" . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

وربـط ابن الجوزي الذكاء بالقدرة على التعلم والتحصيل حيث أوضح ذلك بقولـه: " أمـارة فلاح الصبي وفساده تبين من طفولته ، فالنجيب منهم يتنبه بالتعلم ، والذي ليس بنجيب لا ينفعه التعلم" . (ابن الجوزي ، ١٩٨١) .

ولم يربط ابن الجوزي الذكاء بجنس معين ، أو فئة معينة ، حيث ذكر فئات مختلفة تتمـتع بالذكـاء كالسلاطين ، والأمراء ، والشعراء ، والوزراء ، والنساء . كما لم يقصر الذكـاء علـى المجـتمع الإسلامي وحده ، بل ذكر أفراداً من الأمم الأخرى ممن يتمتعون بالذكاء ، كما أوضح في الباب الثاني والثلاثين من كتاب الأذكياء أن الحيوانات لديها بعض التصرفات التي تظهر تمتعها ببعض الذكاء . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ أ) .

كذلك الحمق لم يحصره ابن الجوزي بفئة معينة وإنما ذكر بعضاً من أخبار المغفلين من القضاة والأمراء والقراء والمعلمين والأمراء والحاكة . (ابن الجوزي ، ١٩٩٤) .

كما أوضح ابن الجوزي أنه بالرغم من توزيع الذكاء والحمق على كل الفئات ، فإن الـناس يتفاوتون في درجات الذكاء والحمق ، حيث توجد فروق فردية عقلية بينهم ، وقد أوضـح ذلك بقوله : "وبعد فإن الناس يتفاوتون في العقل وجوهره ومقدار ما أعطوا منه ، فلهذا يتفاوت الحمقى" . (ابن الجوزي ، ١٩٩٤) .

النظرة إلى الإنسان والطبيعة الإنسانية :

يـرى ابـن الجوزي أن الإنسان عبارة عن مركب يتكون من الجسد والنفس، فأما الجسد فيستطيع الإنسان إدراكه بالبصر ، وأما النفس فيستطيع إدراكها من خلال البصيرة. ولكـل واحد منهما هيئة وصورة إما جميلة أو قبيحة ، والنفس التي يتم إدراكها بالبصيرة اعظم قدراً من الجسد التي نستطيع إدراكه بالبصر . ويستشهد على ذلك ابن الجوزي بقوله تعـالى : "اني خالقٌ بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي" (سورة ص: أية ٧١-٧٢) ، حيـث توضح الآية أن الجسد منسوب إلى الطين والروح منسوبة إلى الله سبحانه وتعالى. (ابن الجوزي، ٢٠٠٤ب).

ويهـتم ابن الجوزي بالبدن ، ويدعو إلى عدم إهماله ويستشهد بأمر الشرع بقص الأظافـر ، ونـتف الإبط ، وحلق العانة ، ونهيه عن أكل الثوم والبصل النيء بسبب سوء الرائحة ، فدعا إلى الاهتمام بنظافة البدن وزينته ، مقتدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم الـذي كـان يعرف مجيئه من رائحة الطيب ، وكان نظيفاً في غاية النظافة ، كما دعا إلى

الـرفق بالـبدن واعتبره راحلة الإنسان الذي يعتمد عليها ، لذلك عليه أن يحافظ على هذه الراحلة ولا ينقص قوتها حتى لا تنقص من قوته. (ابن الجوزي، ٢٠٠٤ أ) .

أمـا بالنسـبة للطبيعة الإنسانية فيرى ابن الجوزي أن الإنسان يولد على الفطرة . (ابن الجوزي ، ١٩٨١) .

وقد أوضح ذلك بقوله : "اعلم أن الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه جوهرة ساذجة، وهـي قابلة لكل نقش ، فإن عود الخير نشأ عليه ، وشاركه أبواه ومؤدبه في ثوابه ، وإن عوّد الشر نشأ عليه وكان الوزر في عنق وليه" . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ب) .

فـرؤية ابن الجوزي إلى الطبيعة الإنسانية تتفق مع الإسلام الذي ينظر إلى الطبيعة البشرية نظرة وسطا . حيث يولد الإنسان ولديه استعدادات أو إمكانات لكل من الخير والشر معاً وسيره في أيهما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتربيته وطرق تنشئته.(النوري وعبود ،١٩٧٩).

نظرة ابن الجوزي للنفس

اختلفـت آراء الباحثيـن في دلالة مفهوم النفس البشرية ، معتمدين في تفسيراتهم على دلالات النفس التي وردت في القرآن الكريم ، وتندرج هذه الآراء تحت ثلاثة أقسام :

الأول : يـرى أن دلالـة الـنفس ، تقتصر على الجانب المعنوي من الإنسان ، وان النفس عـبارة عـن دائرة كبرى تتضمن ثلاث دوائر صغرى هي القلب والصدر والفؤاد . فهـي تعبر عن ماهية الإنسان دون جسده " ويظهر من متابعة النصوص القرآنية أن الـنفس قد أطلقت في القرآن الكريم ، على شيء هو في داخل كيان الإنسان ، يشتمل على الصفات والخصائص ، التي تكونت منها ماهيته دون النظر إلى الهيكل الجسدي الذي هو وعاء لها" (الميداني ،١٩٧٩) .

والثانـي : يرى أن دلالة النفس في القرآن الكريم تعني التقاء الروح مع الجسد ، ولا تعني روح الإنسـان أو جسـده . "والفهم الذي استريح إليه في شأن النفس ، أنها مما يـتخلق مـن التقاء الروح بالجسد في الإنسان ، وأنها هي التركيبة التي تخلق في الإنسـان ذاتـيةً ، يعـرف بها انه ذلك الإنسان ، بأحاسيسه ووجدانه ومدركاته" . (الخطيب ، ١٩٧١) .

والثالث : يرى أن مفهوم النفس في القرآن ، يدل على الإنسان بعنصريه الروحي والمادي. إذ إن الإنسان كل واحد حيث "لم يفصل الإسلام في تناوله للطبيعة الإنسانية بين ما هـو جسمي ، وما هو نفسي ، فحين أطلق القرآن الكريم لفظ النفس ، أكد في هذا الإطـلاق على أنها هي والجسم مظهران لشيء واحد ، هو الإنسان ، فلفظ النفس في الآيات الكريمة ، دل على الإنسان ككل ، أو الذات الإنسانية بعنصريها : المادي والمعنوي " (عبد العال ، ١٩٨٥)

أما بالنسبة لنظرة ابن الجوزي للنفس فقد رأى أنها إشكالية للناس من حيث معرفة ماهيـتها ، بالـرغم من إجماعهم على وجودها وإثباتها . كما أن هناك إشكالية في معرفة مصيرها بعد الموت .

أمـا بالنسـبة لماهيـتها فإن ابن الجوزي يرى أنه ليس هناك أية ضرورة لمعرفة ماهيـتها ، ولكـن المهم هو إثباتها والاعتراف بوجودها . وأما بالنسبة لمصير تلك النفس فـيرى بـأن الـنفس لها وجود بعد موتها ، فهي تعذب وتنعم وقد استشهد ببعض الأقوال والأحاديث النبوية في ذلك .

فقد استشهد بقول أحمد بن حنبل : " أرواح المؤمنين في الجنة ، وأرواح الكفار في النار" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

كمـا استشهد بالحديث عن الشهداء :"أنها في حواصل طير خضر تعلق في شجر الجنة" .

كمـا يرى أن "النفس تخرج بعد الموت إلى نعيم أو عذاب ، وأنها تجد ذلك إلى يوم القـيامة . فـإذا كانـت القيامة ، أعيدت إلى الجسد ليتكامل لها التنعم بالوسائط وقوله في حواصـل طـير خضر" دليل على أن النفوس لا تنال لذة إلاّ بواسطة . إلاّ أن تلك اللذة لذة مطعـم أو مشرب فأما لذات المعارف والعلوم فيجوز أن تنالها بذاتها، مع عدم الوسائط" . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ).

ويـرى ابـن الجوزي أن مجاهدة النفس تحتاج إلى صناعة عجيبة ، وقد استخدم بعض الناس طرقاً مختلفة في سياسة النفس منها :

- قـام البعض بالمبالغة في مخالفة النفس وقاموا بظلمها ، ومنعها حقوقها . وقد أثر هذا الظلم للنفس في العبادة ، حيث أدت الإساءة في غذاء النفس إلى ضعف البدن، ومما أدى بدوره إلى عدم القدرة على أداء واجبها .

- كمـا قـام البعض بإفراد النفس في خلوة مما يؤدي إلى الوحشة من الناس أو إلى ترك فرض ، أو فضل عيادة مريض ، أو البر بالوالدين .

- يـرى ابـن الجوزي أن الشخص الحازم هو الذي يستطيع تعليم نفسه الجد وحفظ الأصـول ، يفسـح لهـا المجـال في المباحات دون أن تتعدى ذلك ، يعطيها حقها ويستوفي منها ما عليها . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

ويقسم ابن الجوزي النفس إلى ثلاثة أجزاء :

١. جزء عقلي وتتمثل فضيلة هذا الجزء بالحكمة أما رذيلته فتتمثل بالجهل .
٢. جزء شهواني وتتمثل فضيلته بالعفة ورذيلته بإطلاق الهوى .
٣. جزء غضبي وتتمل فضيلة هذا الجزء بالحدة ورذيلته بالجبن .

وقد تحدث عن أقسام النفس بقوله :

"واعلم أن في الإنسان قوى ثلاث قوة ناطقة وقوة شهوانيه ، وقوة غضبية فينبغي لمـن شرّفه ا تعالى بحب العلم أن يعتني بتكميل النفس الناطقة التي فضّله ا تعالى بها على سائر الحيوانات وشارك بها الملائكة فيجعلها هي السلطة على القوتين الاخريين أعني الشهوانية والغضبية لتكون منزلتها بمنزلة الراكب للفرس فإن الفارس ينبغي أن يكون هو المسلط على الفرس لاستعلائه فيمضي بها أين يشاء ويعقها إذا شاء فكذلك ينبغي أن تكون القـوة الـناطقة هي المتعلية على باقي القوى تستعملها كما تحب وتكفيها حيث تحب ومن كان كذلك استحق أن يسمى انساناً حقيقة" (ابن الجوزي ، ١٩٨١) .

أمـا فضـيلة النفس فتتمثل بالصبر على الرذائل حيث عن طريقها يستطيع الإنسان تحمل الخير والشر .

وتـرى الباحـثة أن ابن الجوزي قد تأثر بأفلاطون في تقسيمه للنفس ، حيث قسم أفلاطون النفس إلى ثلاث قوى : هي القوة الشهوية ومقرها أسفل البطن ، والقوة الغضبية ومكانها القلب ، والقوة العاملة أو الناطقة ومكانها الرأس . كما يرى بأنه لكل قوة فضيلة ،

ففضـيلة القوة الشهوية تتمثل في العفة ، وفضيلة القوة الغضبية تتمثل في الشجاعة ، أما القوة العاقلة ففضيلتها تتمثل في الحكمة . (كرم ، ١٩٧٦) .*

أمـا بالنسـبة لتهذيـب النفس ورياضتها فيرى ابن الجوزي أن هناك طرقاً عديدة لتربية النفس وتهذيبها :

١. التلطف والتنقل من حال لآخر .
٢. عدم البدء باستخدام العنف وإنما يجب البدء بالتلطف ثم مزج الرغبة بالرهبة.
٣. صحبة الأخيار والابتعاد عن رفقاء السوء .
٤. دراسة القرآن وأخبار السابقين .
٥. التفكر في الجنة والنار .
٦. مطالعة سير الحكماء والزهاد .
٧. محاسبة النفس على كل فعل تفعله أو قول تقوله . (ابن الجوزي ، ١٩٨١) .

ابن الجوزي ونظرته للمجتمع :

قسـم ابن الجوزي المجتمع إلى قسمين : خواص وعوام . (ابن الجوزي،١٩٨٥).

وقـد تعرضت الباحثة إلى رؤية ابن الجوزي لفئات مجتمعة وانتقاده لتلك الفئات ، في نهاية الفصل الثاني .

من ناحية أُخرى ، فقد رأى ابن الجوزي أن كل فرد في المجتمع لا بد أن يكون له دور ، ولا بدّ أن يقوم بعمل يختلف به عن الآخرين كي يعمل هذا المجتمع بطريقة متوازنة، وقد قال في ذلك : "سبحان من شغل كل شخص بفن لتنام العيون في الدنيا ، فأما في العلوم فحبـب إلـى هـذا القـرآن ، والى هذا النحو ، إذ لولا ذلك ما حفظت العلوم . وألهم هذا المتعـيش أن يكون خبازاً ، وهذا أن يكون هراساً ، وهذا أن ينقل الشوك في الصحراء، أن ينقي البثار ليلتئم الخلق . ولو ألهم اكثر الناس أن يكونوا خبازين مثلاً بات الخبز وهلك، أو هراسـين جفت الهرايس ، بل يلهم هذا وذاك بقدر لينتظم أمر الدنيا وأمر الآخرة ويندر في الخلق من يلهمه الكمال وطلب الأفضل ، والجمع بين العلوم والأعمال، ومعاملات القلوب ، وتتفاوت أرباب هذه الحالة " . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

* انظر أيضاً أفلاطون ، الجمهورية ، ترجمة ودراسة : د. فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ٣٣٦ – ٣٤٠ .

وتـرى الباحـثة أن أصحاب النظرية الوظيفية *Functionalism* يلتقون مع ابن الجـوزي فـي نظرته حول توزيع الأعمال ، حيث تنطلق الوظيفية من وجود نظام أو نسق يـتكون مـن مجموعـة مـن الأجزاء ، يكون لكل جزء فيها وظيفة يؤديها من اجل بقاء واسـتمرار البناء الكلي ، لذلك تعمل الأجزاء بصورة تكاملية ويحقق النسق التوازن عندما تـؤدي الأجـزاء وظائفها بفاعلية وإلاّ حدث لا توازن في النسق لأن الجزء معوق وظيفي ولـه دور فـي تغييـر التناسـق (علي ، ١٩٨٢) .

وكذلـك فقـد اهـتم ابن الجوزي بالأسرة المكونة لهذا المجتمع ، ودرس ظروفها الاقتصادية السيئة ، وخلص إلى أنه هناك حاجة للتقليل من حجم الأسرة وذلك لحل الضائقة الاقتصادية التي يتعرض لها المجتمع . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

ثانياً : التربية الخلقية عند ابن الجوزي :*

لم يكتف ابن الجوزي بتربية النشئ فقط ، بل يرى عملية التربية عملية متكاملة تبدأ بالفرد وتنتهي بالمجتمع . فبدأ بالطفل والاهتمام به قبل مجيئه حيث اهتم بوالديه ، واختيار الزوجة ، كما اهتم باسمه ورضاعته ، وتربيته في نطاق أسرته ، ومكان تعليمه ، والاهتمام برفاقه ، وبعد ذلك ينطلق ابن الجوزي إلى المجتمع ، قاصداً تربيته بأسره، وذلك للقضاء على الأمراض الاجتماعية ، والأخلاق الاجتماعية الرديئة ، وذلك من أجل إيجاد بيئة اجتماعية نظيفة تصلح لمعيشة الإنسان .

ونتيجة للظروف الاجتماعية التي عاش فيها ابن الجوزي ، وكثرة الفتن وتدهور الأحوال الاجتماعية والاقتصادية ، والسياسية ، وظهور الكثير من الأخلاق الاجتماعية السيئة برزت تربيته الخلقية لتكون نبراساً يضيء ذلك المجتمع ، وعلاجاً لمختلف الأمراض المتفشية فيه .

يبدأ ابن الجوزي باستخدام أُسلوبه المتكرر الظهور بين الفينة والأخرى في مواطن كثيرة في ثنايا كتبه ، حيث يستخدم أسلوب القدوة ، والقصة والاعتبار بالسابقين ، ويستخدم أسلوب الترغيب والترهيب ، حيث يوضح بأن الأخلاق الحسنة من الصفات التي يتصف بها الأنبياء والصديقين ، أما الأخلاق السيئة فيعتبرها سموماً قاتلة تقود صاحبها لاتباع الشيطان .

تعريف الأخلاق عند ابن الجوزي :

يرى ابن الجوزي أن الناس لا يتحدثون عن ماهية حسن الخلق وإنما يتحدثون عن ثمراته .

ثم يقول في الأخلاق ما يلي " المراد بالخَلق الصورة الظاهرة والمراد بالخُلق الصورة الباطنة ، وذلك لأن الإنسان مركب من جسد ونفس فالجسد مدرك بالبصر ، والنفس مدركة بالبصيرة ، ولكل واحدة منها هيئة وصورة إما جميلة أو قبيحة ، والنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدراً من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم سبحانه وتعالى أمره فقال "إني خالقٌ بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي" (سورة ص ، آيه ٧١-٧٢) ،

* اعتمدت الباحثة في موضوع التربية الخلقية على كتاب ابن الجوزي مختصر منهاج القاصدين .

فنبه علـى أن الجسـد منسـوب إلى الطين والروح منسوبة إليه سبحانه وتعالى (ابن الجوزي، ٢٠٠٤ب) .

ممـا سبق يُستنتج أن ابن الجوزي ربط بين النفس والخلق ، ويظهر ذلك جلياً من خـلال تعريفه للأخلاق بقوله : "عبارة عن هيأة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسـر من غير حاجة إلى فكر وروية فإن كانت الأفعال جميلة سميت خلقاً حسناً وإن كانت قبيحة سميت خلقاً سيئاً " .

ويرى ابن الجوزي أن الأخلاق قابلة للتغيير والتعديل ، والدليل على ذلك أننا نحتاج إلـى الوصايا والمواعظ ، فلو كانت الأخلاق غير قابلة للتغير ، فلا معنى لوجود المواعظ . وبالـرغم من ذلك فإنه يصعب قمع الصفات المراد تغييرها كلياً ، لذا فإن المطلوب رياضة النفس وذلك برد الشهوة إلى الاعتدال دون تفريط . ويرى ابن الجوزي أن الاعتدال يحصل بطريقتين هما طريق الفطرة أي أن هناك أطفالاً يخلقون صادقين ، أسخياء حلماء ، وطريق الاكتسـاب ، وذلـك عن طريق الرياضة وذلك من خلال تدريب النفس على الأعمال الجالبة للخلق المطلوب . وحتى يصبح الخلق المراد عادة لا بد من تكرار ذلك الخلق .

الطريق إلى تهذيب الأخلاق :

وربط ابن الجوزي بين الاعتدال في الأخلاق وصحة النفس واعتبر أن النفس تحتاج إلـى العلاج كما يحتاج البدن إلى ذلك فالبدن "لا يُخلق كاملاً وإنما يكمل بالتربية بالغذاء " . وكذلك النفس فإنها عندما تخلق تخلق ناقصة ولكنها تكون قابلة للكمال ، ويأتي هذا الكمال عن طريق التربية وتهذيب الأخلاق ، وعن طريق تغذيتها بالعلم . كما اعتبر الأخلاق السيئة مرضـاً للقلـب ، ويكـون علاجهـا ضدها ، فعلاج الجهل العلم ، والبخل السخاء ، والكبر التواضـع والشـره الكف عن المشتهى ، وعلى المداوي أن يعرف طبيعة المرض الخلقي لمعرفة العلاج فالأمراض مختلفة ، وكذلك العلاج يختلف من مرض لآخر .

كمـا يرى ابن الجوزي أن الله إذا أراد بعبد خيراً عرّفه بعيوب نفسه ، وإذا عرفت العيوب سهلت المعالجة ، واهم الطرق للتعرف على تلك العيوب هي :

١. اللجـوء إلى شيخ عالم بعيوب النفس لتعريف الشخص بعيوبه وطرق علاجها. واعتبر ابن الجوزي هذا النوع من الأطباء نادراً وجوده في ذلك الزمن .

٠٢ اللجـوء إلى صديق متدين صدوق ، يجعل منه رقيباً على نفسه ، يقوم بتنبيهه إذا قام بفعل مكروه .

٠٣ أن يـتعرف إلـى عـيوب نفسـه عن طريق أعدائه ، حيث تبدي عين السخط المساوئ ، وقد ينتفع الإنسان بعدو يذكر عيوبه أكثر من صديق يداهنه ويخفى عيوبه .

٠٤ الاختلاط بالناس ، والابتعاد عن كل ما يراه مذموماً بينهم .

علامات حسن الخلق :

- اعتبر ابن الجوزي أن حسن الخلق هو مجموع صفات المؤمنين . وقد تم ذكرهم في القـرآن حيـث وصـفهم الخالق سبحانه وتعالى "إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم" إلى قوله "أولئك هم المؤمنون حقاً " (سورة الأنفال ، أية ٢-٤) . وقال تعالى "التائبون العابدون" إلـى قولـه "وبشر المؤمنين" (سورة التوبة ، أية ١١٢) ٠٠٠٠ وقوله تعالى " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا" (سورة الفرقان ، أية ٦٣) .

وكذلـك استشـهد بالأحاديـث الشريفة كقوله عليه الصلاة والسلام " والذي نفسـي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه* . وقوله : "من كان يؤمن بـا والـيوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن با واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومـن كـان يؤمـن بـا واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"* ، وقوله : "أكمل المؤمنيـن إيماناً أحسنهم أخلاقاً ** ، كما اعتبر من حسن الخلق احتمال الأذى ، فقد كـان عليـه الصلاة والسـلام إذا آذاه قومـه قـال : "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" *** ، كما دعا إلى تذليل النفوس عن طريق الرياضة مما يؤدي إلى اعتدال الأخلاق .

الأخلاق المذمومة وطرق علاجها :

يرى ابن الجوزي أن الأخلاق المذمومة تتمثل بما يلي :

أ : آفات الكلام :

* رواه البخاري برقم (١٣) ، رواه الترمذي برقم (٢٥١٥) ، رواه مسلم برقم (٤٥) ، رواه النسائي برقم (٥٠٣١) .

* اخرجه البخاري برقم (٦١٣٨) ، رواه الترمذي برقم (٢٥٠٠) ، رواه مسلم برقم (٤٨) بلفظ قريب .

** رواه الترمذي برقم (١١١٦٢) ، رواه أبو داود برقم (٤٦٨٢) .

*** اخرجه البخاري برقم (٣٤٧٧) .

١. الكلام فيما لا يعني، قال عليه الصلاة والسلام: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" **** .
٢. الخوض في الباطل وهو الحديث في المعاصي كذلك مجالس الخمر والفسق. قال عليه الصلاة والسلام : "إن العبد ليتكلم بالكلمة يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب"***** .
٣. التقعر في الكلام ، واستخدام التشدق والتكلف والسجع، قال عليه الصلاة والسلام : " إن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة مساويكم اخلاقاً الثرثارون المتشدقون المتفيقهون"****** .
٤. فحش السب والبذاء ، قال عليه السلام : "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء"******* ، كما قال : "الجنة حرام على كل فاحش"******** .
٥. المزاح ، وهذا لا يشمل المزاح الصادق فقد كان عليه الصلاة والسلام يمزح ولكن لا يقول إلاّ صدقاً . ولكن الإفراط في المزاح والمداومة عليه منهي عنه لأنه يسقط الوقار ويثير الأحقاد .
٦. السخرية والاستهزاء .
٧. إفشاء السر والكذب في القول واليمين وإخلاف الوعد .
٨. الغيبة ، وقد بين ابن الجوزي أن أهم الأسباب المؤدية إلى الغيبة هي :

لإشفاء الغيظ من الشخص المستغاب ، وموافقة الأقران ومجاملة الأصدقاء وذلك بموافقتهم على أقوالهم كي لا يستثقلوه وينفروا منه ، ولرفع النفس والحط من قدر الاخرين ، والحسد والهزل بقصد إضحاك الناس ، واللعب .

ويرى ابن الجوزي أن كيفية علاج أسباب الغيبة هي كما يلي :

- " فليعلم المغتاب انه بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى ومقته وأن حسناته تنقل إلى المغتاب إليه وإن لم يكن لديه حسنات نقل إليه من سيئات خصمه فمن استحضر ذلك لم يطلق لسانه بالغيبة وينبغي إذا عرضت له الغيبة أن يتفكر في عيوب نفسه ويشتغل بإصلاحها ويستحي أن يعيب وهو معيب " .
- إذا أحس الإنسان بأنه خالٍ من العيوب عليه التأمل وشكر الله على نعمه .

**** رواه الترمذي برقم (٢٣١٨) ، رواه أحمد برقم (١٧٣٢) تحقيق أحمد محمد شاكر ، رواه مالك برقم (١٦٢٢) الموطأ .
***** رواه البخاري برقم (٦٤٧٧) رواه مسلم برقم (٢٩٨٨) .
****** رواه أحمد برقم (١٧٣٢) تحقيق شعيب الارنؤوط وزملاؤه .
******* رواه الترمذي برقم (١٩٧٧) .
******** رواه الالباني في ضعيف الجامع برقم (٢٦٧٧) .

- أن يعالج العيوب التي تدفع غيره لاستغابته حتى لا يوقع غيره في الاستغابة .

أما بالنسبة للأعذار المرخصة في الغيبة فتتمثل بما يلي :

التظلم ، كأن يذكر المظلوم الظالم لمن أراد أن يستوفي له حقه ، والإستعانة على تغيير المنكر ورد الظالم إلى الصواب ، والاستفتاء كأن يذكر الشخص للمفتي اسم الشخص الذي ظلمه ليحكم في الموضوع ، وتحذير المسلمين ، فمثلاً إذا زار فقيهاً فاسقاً وهو لا يعلم بفسقه ، فذكر ذلك فهذا جائز ، وذكر اللقب ، إذا كان الشخص معروفاً بلقب معين مثل الأعرج أو الأعمش ، ومجاهرة الشخص المستغاب بالفسق .

ويرتكب المغتاب جنايتين :

الأولى : بحق الله سبحانه وتعالى لأن الإنسان فعل ما نهاه الله تعالى عنه وكفارة ذلك تكون بالتوبة والندم .

الثانية : بحق المخلوق . وعلاج ذلك أنه إذا بلغت للشخص المستغاب الاستغابة ، على المستغيب أن يأتيه ويستحلها ويظهر له الندم على ذلك . أما إذا لم تبلغ الشخص المستغاب فعلى المستغيب أن يستغفر للمستغاب ويدعو له دون إعلامه بذلك .

٩. النميمة :

قال عليه الصلاة والسلام "لا يدخل الجنة قتّات وهو النمام"* . وقد عرفها ابن الجوزي بأنها " تطلق في الغالب على نقل قول إنسان " .

فعلى الشخص المنقول له القول فعل ستة أشياء وهي :

عدم تصديق الناقل لأن النمام فاسق لا تقبل شهادته ، وأن ينهي النمام عن ذلك ويقدم النصح له ، وأن يبغض النمام في الله لأنه بغيض عند الله ، كما عليه أن لا يظن بالشخص الغائب السوء ، وأن لا يقوم بالتجسس ، وأن لا يقول نميمة .

* رواه البخاري برقم (٦٠٥٦) ، اخرجه الترمذي برقم (٢٠٢٦) .

١٠. كلام ذي اللسانين وهو الشخص الذي ينقل الكلام بين المتعادين ويمدح الشخص في وجهه ويذمه عند الآخر .

قال عليه السلام " إن شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه" **

إلاّ أن ابـن الجوزي أجاز ذلك في حالة الاضطرار إلى مداراة الأمراء مستنداً إلى قول أبي الدرداء " أنا لنشكر في وجه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم " ومتى قدر أن لا يظهر موافقتهم لم يجز له" .

١١. المدح – وللمدح آفات تتعلق بالمادح وأخرى تتعلق بالممدوح .

أما المتعلقة بالمادح :
قد تقوده كثرة المدح إلى الكذب .

أما الممدوح فعليه :
١. أن يكون محترزاً من آفة الكبر والعجب والفتور عن العمل .
٢. التفكر في نفسه .

١٢. الخطأ في فحوى الكلام فيما يرتبط في أمور الدين .

ب : الغضب والحقد والحسد :

عـرّف ابن الجوزي الغضب بأنه "غليان دم القلب لطلب الإنتقام فمتى غضب الإنسـان ثـارت نار الغضب ثوراناً يغلي به دم القلب وينتشر في العروق ويرفع إلى أعالي البدن كما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر ولذلك يحمر الوجه والعين والبشرة وكل ذلك يحكي لون ما وراءه من حمرة الدم " .

ويرى ابن الجوزي أن الأسباب المهيجة للغضب هي :

العجب ، والمزاح ، والمماراة ، والمضادة ، وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهذه أخلاق رديئة فعلاج كل واحدة بما يضادها .

** رواه البخاري برقم (٧١٧٩) ، رواه الترمذي برقم (٢٠٢٥) ، رواه مسلم برقم (٢٥٢٦) .

أما علاج الغضب إذا هاج فيكون بما يلي :

التفكر في الأخبار الواردة عن فضل العفو والحلم ، وتخويف النفس بعقاب الله عز وجل ، وتحذير النفس من عاقبة العداوة والانتقام وتفكير الإنسان في صورته أثناء الغضـب ، حيث يشبه الكلب أو السبع ، لذا عليه أن يجانب الغضب مقتدياً بأخلاق الأنبياء والعلماء ، التفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام .

ويسـتحب الوضوء عند الغضب حيث قال عليه السلام " إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تُطفأ بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ" * .

أمـا الحسد فيعرفه ابن الجوزي "بأن يكره الإنسان النعمة التي تصيب أخاه الإنسان فيتمـنى زوالهـا" ، ويـرى ابن الجوزي أن علاج الحسد يكون برضا الإنسان بالقضاء ، وزهده في الدنيا ، ونظره في هموم الدنيا وحساب الآخرة .

ويرى ابن الجوزي أن الأسباب التي تؤدي إلى الحسد هي :

العـداوة والتكـبر والعجـب وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها واشدها العداوة والبغضاء . والحقد والتشفي والانتقام ، ويكثر بين الأقران والأمثال والأخوة وبني العم لأن سبب الحسد توارد الأعراض على مقاصد يحصل التناقض فيها فيثور التنافر والتباغض . واعتبر ابن الجوزي "الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا تـداوى أمراض القلوب إلاّ بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو أن تعرف حقـيقة أن للحسد ضرراً عليك في الدين والدنيا ، أما العمل فيقضي تكليف النفس بفعل النقيض مما يأمرها به الحسد".

ج : الحرص والطمع :

يعتـبر ابـن الجـوزي الفقر من الأمور المحمودة ، وعلى الفقير أن يكون قـنوعاً ، لا يلتفـت إلى ما في أيدي الآخرين ، وأن لا يكون حريصاً على اكتساب المال ، وان يقتنع بما هو ضروري من المطعم والملبس . قال عليه الصلاة والسلام " قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافاً ، وقنعه الله بما أتاه" * .

* رواه أبو داود برقم (٤٧٨٤) ، رواه الالباني في ضعيف الجامع برقم (١٥١٠) .
* رواه الترمذي برقم (٣٣٤٨) ، رواه مسلم برقم (١٠٥٤) .

أما الحرص ، فمنهي عنه ، وكذلك الطمع فقال عليه الصلاة والسلام " اجمع اليأس مما في أيدي الناس"** .

علاج الحرص والطمع :

يـتكون العـلاج مـن ثلاثة أركان : الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك يكون في خمسة أُمور :

١. الاقتصاد في المعيشة والرفق في الإنفاق .
٢. أن لا يضطرب من اجل المستقبل إذا توفر ما يكفيه في حاضره .
٣. علـيه أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء وما في الحرص والطمع من الذل. وتكون القناعة بالصبر .
٤. التفكر في تنعم اليهود والنصارى وأراذل القوم والحمقى من جهة ، والنظر في أحـوال الأنبـياء والصالحين من جهة أُخرى . وأن يعمل عقله في ذلك وعليه اختيار التشبه بصفوة الخلق ، لا أراذل العالمين .
٥. عليه التفكر في الآفات التي قد يجرها المال والنظر في ثواب الفقر . وعليه أن ينظر إلى من هم دونه في الدنيا ومن هم فوقه في الدين .

د : البخل :

أظهـر ابن الجوزي رأيه في البخل من خلال استشهاده بقوله عليه الصلاة والسلام "خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق"* ، أما سبب البخل فهو حب المال . أما سبب حب المال فهو كما يلي :

١. حب الشهوات التي لا يتم الوصول إليها إلاّ بالمال مع طول الأمل .
٢. أن يحب المال نفسه .

ويـتم عـلاج الـبخل كعلة من العلل بضدها . فعلاج حب الشهوات يكون بالقناعة والصبر وعلاج طول الأمل يكون بكثرة ذكر الموت ، وكذلك علاج البخل يكون بضده.

** رواه ابن ماجه برقم (٤١٧١) ، رواه الالباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٤٠١) .
* رواه الترمذي برقم (١٩٦٢) ، رواه الالباني في ضعيف الجامع برقم (٢٨٣٣) ، رواه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان برقـــم (١٠٣٣٦) .

هـ : الجاه والرياء :

يـرى ابـن الجـوزي أن أصل الجاه هو حب انتشار الصيت والاشتهار مستشهداً بقوـله عليه الصلاة والسلام " إن ا يحب العبد التقي الغني الخفي "** . وقوله " إن أغبط أوليائي عندي المؤمن خفيف الحاذ *** ذو حظ من الصلاة ، أحسن عبادة ربه وأطاعه في السـر ، وكـان غامضاً في الناس ، لا يُشار إليه بالأصابع ، وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك، ثم نقر بيده فقال : عجّلت منيته قلت بواكيه قل تراثه"**** .

اعتبر ا بن الجوزي الجاه والمال ركنين من أركان الدنيا .

وعـرّف المـال بأنـه "ملك الأعيان ، المنتفع بها . كما عرّف الجاه " ملك القلوب المطلوب تعظيمها والتصرف فيها " .

علاج حب الجاه :

يرى ابن الجوزي أن حب الجاه يقود إلى النفاق ، أما علاجه فيكون بما يلي :

١. علـى الشـخص أن يعلم أن السبب الذي أحب من أجله الجاه هو كمال قدرته على الأشخاص الآخرين وقلوبهم . والإنسان آخرته الموت فعليه أن يفكر في ذلك ، وأن يفكر بالأخطار اللاحقة بحب الجاه من التعرض للحسد والإيذاء من قبل الاخرين ، والخوف من فقدان الجاه ، ومحاولة الحفاظ عليه مما يشغله عن اُمور الآخرة .
٢. مـن حيث العمل : على الشخص أن يقوم بأفعال تسقط الجاه من قلوب الناس .

و : عدم الاكتراث بذم الناس :

سـبب هـلاك أكـثر الناس هو سعيهم لمرضاة الناس ، وذلك كي يقوموا بمدحهم ويعرضوا عن ذمهم ، وعلاج ذلك باتباع ما يلي :

** رواه مسلم برقم (٢٩٦٥) .

*** خفيف الحاذ : أي قليل المال والأهل .

**** رواه الترمذي برقم (٢٣٤٧) ، رواه ابن ماجه برقم (٤١١٧) ، رواه الالباني في ضعيف الجامع برقم (١٣٩٧) .

١. أن يحـذر الإنسـان من الخاتمة ، وان يكون فرح الإنسان بفضل الله عليه بالعلم والتقوى لا بمدح الناس .
٢. المدح إذا كان بما ليس في الإنسان ، ففرح الإنسان به غاية في الجنون .

أما الذم فإذا قصد الآخر به النصح ، فيكون أهدى للشخص المذموم عيوبه ، قاصداً نصحه ولذا عليه تقبل ذلك ، وإذا كان لم يقصد ذلك ، فإنه يكون قد ظلمه ، وأفاد المذموم لأنه عرفه بأشياء لم يكن يعرفها .

فعلى الإنسان في هذه الحالة التفكر في ثلاثة أمور :

١. إن خلا الإنسان من ذلك العيب ، فإن لديه عيوباً أُخرى ، سترها الله ولهذا عليه شكره لأنه لم يقد الشخص الناقد إلى هذه العيوب .

٢. أن ذكر الشخص لذاك كفارة لذنوب المذموم .

٣. أن الـذّام جـنى على دينه وتعرض لغضب الله ، فينبغي للمذموم أن يسأل الله العفو عنه .

ز : الرياء وحقيقته وأقسامه وذمه :

يـرى ابن الجوزي أن الرياء "مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع فالمرائي يري الناس ما يطلب به الحظوة عندهم " .

وقد قسم ابن الجوزي الرياء إلى خمسة أقسام :

١. الرياء في الدين وهو أنواع :

١. أن يكـون مـن ناحية البدن بإظهار النحول والصفار وعدم الاهتمام بتسريح الشعر ، وذلك لإظهار الانشغال بالعبادات .
٢. عـدم الاهتمام بالزي ، ولبس الصوف ، وتقصير الأكمام ، وترك الثوب غير نظـيف ، ولـبس المرقع ، والثياب الزرق تشبها بالصوفية ، وذلك لإظهار الـزهد، والـبعض الآخـر يلـبس الثياب الفاخرة للقاء القبول عند الملوك

والأغنـياء، أمـا أهـل الدنـيا : فيراءون بالثياب النفيسة ، والأثاث الفاخر والمسكن الجميل .

٠٣ ريـاء أهل الدين عن طريق الوعظ والتذكير وحفظ الأخبار لأجل المحاورة ، وإظهار غزارة العلم .

٠٤ الرياء بالعمل ، كأن يرائي المصلي بطول الركوع والسجود .

٠٥ المـراءاة بالأصـحاب والزائرين . كزيارة العلماء والعابدين كي يقولوا زار فلان فلاناً والمراءاة بكثرة الشيوخ .

وهناك طريقان لعلاج الرياء :

٠١ قلع عروقه وأصوله .

٠٢ دفع ما يخطر منه في الحال .

المقـام الأول : أصـل الجـاه يعود إلى حب المنزلة والجاه، وهو يعود إلى ثلاثة أصـول ، وهـي حب لذة الحمد ، والفرار من الذم ، والطمع فيما في أيدي الآخرين . ومن المعـروف أن الحمد محبوب في الحال ، وإن به لذة ، فعليه أن يعرف مخاطره، وأنه ضار للإنسـان في الآخرة، وكذلك في الدنيا ، لأن الإنسان يكون هدفه مرضاة الناس ، ومرضاة الـناس غاية لا تدرك، لأنه إذا أرضى فرقه ستغضب الفرقة الأخرى. وما الفائدة من رضى الناس إذا سخط الله على الإنسان . وما فائدة مدحهم له إذا ذمه الله عز وجل ، وما يضره ذمهم، إذا رضي الله عنه ، فالناس لا يرزقونه وليس بيدهم أجله .

أما بالنسبة للطمع فيما في أيدى الناس فعلى الإنسان معرفة أن الله سبحانه وتعالى هـو الـرزاق ولا يوجـد رازق سواه والشخص الذي يطمع في الخلق لم يخل من الخيبة والمذلـة، وإذا وصـل إلـى ما يريد لم يخل من المهانة والمنة ، وعلاج ذلك يكون بتعويد الشـخص نفسه إخفاء العبادات ، لأن علاج الرياء إخفاء الأعمال . وهناك صعوبة في ذلك في البداية إلاّ أن الأمر يحتاج إلى الجهاد والصبر .

المقام الثاني : " في دفع العارض من الرياء في أثناء العبادة " . ويكون علاج ذلك بـأن يعرف الإنسان أن لا فائدة من معرفة العبادة أو عدم معرفتهم بعبادته ، فالله هو العالم وهذه هي الغاية من العبادة .

الرخصة في هذا إظهار الطاعات :

١٠ القدوة :

الرخصة في كتمان الذنوب :

١٠ على الشخص ستر المعصية لأن ا يكره ظهور المعاصي ويحب سترها .

٢٠ حتى لا يتعرض للذم .

ح : الكبر والعجب :

عرف ابن الجوزي الكبر بأنه "خلق باطن تصدر عنه أعمال هي ثمرته فيظهر على الجـوارح وذلـك الخلق هو رؤية النفس على المتكبر عليه يعني يرى نفسه فوق الغير في صـفات الكمال فعند ذلك يكون متكبراً وبهذا ينفصل عن العجب فإن العجب لا يستدعي غير المعجـب حتى لو قدر أن يخلق الإنسان وحده تصور أن يكون معجباً ولا يتصور أن يكون متكـبراً إلاّ أن يكـون مع غيره وهو يرى نفسه فوقه ، فإن الإنسان متى رأى نفسه بعين الاستعظام حقر من دونه وازدراها وصفة المتكبر أن ينظر إلى العامة كأنه ينظر إلى الحمير استحقاراً" .

"وآفة الكبر عظيمة وفيه يهلك الخواص، وقل ما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء ".

واعتبر ابن الجوزي الكبر من أخطر الأمراض وذلك لأن الإنسان المتكبر لا يستطيع التواضـع ولا يستطيع ترك الحقد والغضب والحسد أو قبول النصيحة ، أو كظم الغيظ ، ولا يستطيع الابتعاد عن ازدراء الاخرين .

ويـرى ابـن الجوزي أن أخطر أنواع الكبر تلك التي تمنع من الاستفادة من العلم وقـبول الحـق واتباعه ، فالشخص المتكبر قد يحصل على المعرفة ، لكن تمنعه نفسه من اتباع الحق. قال تعالى: " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً " .(سورة النمل : أية ١٤) .

وقد قسم ابن الجوزي العلماء والعباد إلى ثلاث درجات في الكبر :

١٠ الكبر موجود في قلب الشخص ولكنه يجتهد في التواضع ، فهذا الشخص توجد في قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أعضاءها .

٢. إظهـار ذلـك من خلال سلوك الشخص وأفعاله من خلال التكبر على الأفراد ، والترفع في المجالس ، وتظهر جلياً عند بعض العلماء والعباد .

٣. إظهار ذلك عن طريق اللسان وذلك بالمفاخرة ومدح النفس .

هـذا ويرى ابن الجوزي أن الكبر قد يكون بالمال ، ويكون هذا النوع أشهر ما يكـون بيـن الملوك والتجار ، وقد يكون الكبر بالجمال وهذا النوع منتشر بين النسـاء ممـا يقودهن إلى الغيبة وذكر العيوب والانتقاص ، وقد يكون التكبر بالأتـباع والأنصـار ، ويكون هذا النوع بين الملوك عن طريق المكاثرة بكثرة الجنود ، وبين العلماء عن طريق المكاثرة بكثرة المستفيدين .

ويتصف المتكبر بعدد من الصفات منها :

١. يحب أن يقوم له الناس ، والقيام يكون على طريقتين الأولى : "قيام على رأسه وهـو قـاعد فهذا منهي عنه حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار"* . حيث تعتبر هذه العادة عادة الأعاجم والمتكبرين .

أمـا الطريقة الثانية فهي قيام الشخص عند مجيء الإنسان . قال أنس : " لم يكن شخص أحب إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك" ** .

٢. لا يمشي وحيداً بل يجب أن يمشي أحد خلفه .

٣. لا يزور أحداً تكبرا على الاخرين .

٤. لا يسمح بالجلوس بجانبه أو مرافقته .

ويعالج الكبر بما يلي :

١. التواضع .

* رواه الترمذي برقم (٢٧٥٥) ، رواه الالباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٣٥٧) .

** رواه الترمذي برقم (٢٧٥٤) ، رواه الالباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٣٥٨) .

٢. العودة إلى سيرة الرسول صلى ا عليه وسلم .
وقـد اعتـبر ابن الجوزي الكبر من الأمراض المهلكة ، ودعا إلى معالجته ، حتى أنه اعتبر معالجة الكبر فرض عين :

المقـام الأول : يكون باستئصاله من أصله وذلك من خلال معرفة الإنسان لنفسه ومعرفته لخالقه .

أما معرفته بنفسه فتتجلى بأنه :

١. خلق من العدم ثم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة .
٢. لا يملك لنفسه ضراً أو نفعاً .
٣. مصيره إلى الموت ، والبعث والحساب .

أمـا بالنسـبة لمعرفة ربه فعليه النظر بآثار قدرته تعالى مما يقوده إلى العلاج العملي للكبر وهو التواضع ولعباده .

المقام الثاني : فـيما يعـرف من التكبر بالأنساب على الشخص أن يعلم أن أباه وجده من تـراب . وإذا كان الكبر من ناحية القوة فعليه أن يعلم أن الشخص لو آلمه أي شيء يكون عاجـزاً . ومن كان كبره بسبب الغنى فليعلم أن اليهود أغنى منه والسارق إذا استلب مالاً أغنى منه ، ومن كان كبره بسبب العلم ليعلم أن علمه حجة عليه .

- الكبر لا يليق إلاّ بالخالق .
- بالتكبر يصبح الإنسان بغيضاً عند ا .
- علاج الكبر التواضع .

ط: الغرور :

أمـا بالنسـبة للغرور فقد قال فيه ابن الجوزي : "من رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه ، ومن رجا الغفران مع الإصرار فهو مغرور ، وليعلم أن ا تعالى مع سعة رحمته شديد العقاب " .

والعجـب " أن القرون الأولى عملوا وخافوا ثم أهل هذا الزمان آمنوا مع التقصير واطمأنوا أتراهم عرفوا من كرم ا تعالى ما لم يعرف الأنبياء والصالحون ؟ ولو كان هـذا الأمـر يـدرك بالمنى فلم تعب أولئك وكثر بكاؤهم ؟ وهل ذم أهل الكتاب بقوله :

"يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا " ، إلاّ لمثل هذه الحال . وأما من اغتر بصلاح آبائه فهو يذكر قصة نوح عليه السلام مع ابنه وإبراهيم عليه السلام مع أبيه ومحمد صلى الله عليه الصلاة والسلام مع أمه ، ويقرب من هذا الغرور غرور أقوام لهم طاعات ومعاصٍ إلاّ أن معاصيهم اكثر وهم يظنون أن حسناتهم ترجح ... " .

ويصنف ابن الجوزي الاغترار ضمن أربع فئات : العلماء ، والعباد والمتصوفة والأغنياء .

الفئة الأولى : العلماء :

فأما أهل العلم فالمغترون منهم فرق :

"فرقة أحكموا العلوم الشرعية والعقلية وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا أنهم من الله بمكان ، ولو نظر هؤلاء بعين البصيرة علموا أن علم المعاملة لا يراد به إلاّ العمل ولولا العمل لم يكن له قدر قال تعالى " قد افلح من زكاها " (سورة الشمس ، أية ٢٩) .

وفرقة "احكموا العلم والعمل الظاهر ولم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا الصفات المذمومة منها كالكبر والحسد والرياء وطلب العلو وطلب الشهرة فهؤلاء زينوا ظاهرهم ، وأهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم : "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " *.

وفرقة "علموا أن هذه الأخلاق الباطنة مذمومة إلاّ أنهم بعجبهم بأنفسهم يظنون انهم منفكون عنها ، وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك وإنما يُبتلى بذلك العوام دون من بلغ مبلغهم من العلم ، فإذا ظهر عليهم مخائل الكبر والرياسة قال أحدهم ما هذا بكبر وإنما هو طلب عز الدين وإظهار شرف العلم وإرغام المبتدعين فإني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجالس شمت بي أعداء الدين وفرحوا بذلي وفي ذلي ذل الإسلام وينسى الغرور وأن إبليس هو الذي سوّل له هذا بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يؤثرن الفقر والمسكنة " (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ب) .

---

* رواه مسلم برقم (٢٥٦٣) وابن ماجه برقم (٤١٤٣) .

وفـرقة "أحكمـوا العلـم وطهـروا جوارحهـم وزينوها بالطاعات وتفقدوا قلوبهم بتصفيتها من الرياء والحسد والكبر ونحو ذلك ولكن بقيت في زوايا القلب خفايا من مكائد الشيطان وخدع النفس" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ب) .

وقد تميزوا بما يلي :

- تزكية النفس والثناء عليها .
- الطعن في الاخرين .
- الغيبة .
- الغرور من حيث العلم والعمل .
- استخدام أسلوب المجادلة .

وفـرقة اشـتغلوا بعلـم الكلام والمجادلة في الأهواء والرد على المخالفين ويقسم هـؤلاء إلـى فرقتين : فرقة ضالة تدعو إلى غير السنة ، وفرقة محقة تدعو إلى السنة ، وكلـتا الفرقتين فيهما غرور . أما الضالة فاغترارها ظاهر . وأما المحقة فيظهر غرورها من خلال استخدامها للجدل واعتباره أفضل الأمور .

وفـرقه اشـتغلوا بـالوعظ ويتكلمون في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر ... وهم يظنون بأنهم من خلال الدعوة إلى هذه الصفات انهم يتصفون بها.

وفرقة استمعوا إلى الحديث وجمع رواياته وأسانيده الغريبة والعالية ليقال عنهم أن لهم ما ليس لغيرهم من الإسناد.

وفـرقة اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر واعتبروا أنفسهم علماء الأمة وضيعوا وقتهم في التعمق في اللغة .

وفـرقة وضـعوا الحـيل في دفع الحقوق ، كأن يدفع الزوج في نهاية السنة إلى زوجته زكاة أمواله أو العكس حيلة لإسقاط الزكاة (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ب) .

الفئة الثانية : أرباب التعبد والعمل وهم فرق :

فرقة اهتموا بالنوافل والفضائل وأهملوا الفرائض . وفرقة تقرأ القرآن دون التفكر فـي معانـيه . وفـرقة اغـتروا بالصوم وأكثروا منه وهم لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة والفضـول ولا بطونهم عن الحرام عند الإفطار ولا خواطرهم عن الرياء ، ومنهم من اغتر بالحج فيخرج للحج دون أن يترك المظالم أو يقضي الدين . وفرقة أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ونسوا أنفسهم ومنهم من يؤم في مسجد ولو تقدم من هو أورع منه لأثقل عليه ذلـك . وفـرقة زهدت بالمال وقنعت بالدون من اللباس والطعام وقنعت بالسكن بالمساجد وظـنوا أنهـم وصلوا رتبة الزهاد وهم مع ذلك شديدو الرغبة في الرياسة والجاه. وفرقة حرصت على النوافل ولم تعن بالفرائض مثل الفرح بصلاة الضحى ولا تجد للفريضة لذة .

الفئة الثالثة : المتصوفة :

والغرور عندهم في فرق :

فـرقة مـنهم اغتروا بالزي والنطق والهيئة فتشبهوا بالصادقين من الصوفية في الظاهـر، ولم يتعبوا أنفسهم في المجاهدة والرياضة ثم هم يتكالبون على الحرام والشبهات وأمـوال السـلاطين ويمزق بعضهم أعراض بعض إذا اختلفوا في غرض . وفرقة أُخرى ادعت علم ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والأحوال والوصول إلى القريب ولا يعرفون مـن تلـك الأمـور إلاّ الأسماء فترى أحدهم يرددها ويظن أنه أعلم ممن علم من الأولين والآخريـن فهـو يـنظر إلى الفقهاء والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلاً عن العوام .

وفـرقة رفضـوا الأحكام وسووّا بين الحلال والحرام وبعضهم يقول إن الله مستغن عـن عملـي فلِـمَ أتعب نفسي ، وبعضهم يقول لا قدر للأعمال بالجوارح وإنما النظر إلى القلـوب وقلوبـنا والهة بحب الله تعالى وواصلة إلى معرفته . ويزعمون بأنهم ترقوا عن رتـبة العـوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالأعمال البدائية ، ويرفعون أنفسهم إلى مرتبة الأنبـياء . وفـرقة اشتغلوا بالمجاهدة ابتدأوا بسلوك الطريق وانفتح لهم باب المعرفة فلما استنشـقوا مبادئ ريح المعرفة تعجبوا منها وفرحوا بها وأعجبهم غريبها فتقيدت قلوبهم بالالـتفات إلـيها والـتفكـر فيها وكيفية انفتاح بابها عليهم وانسداده عن غيرهم (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ب) .

الفئة الرابعة : أرباب الأموال وهم فرق :

فرقة يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس ويكتـبون أسـماؤهم علـيها ليتخلد ذكرهم . وفرقة يحفظون الأموال ويمسكونها بخلاً ثم يشـتغلون بالعـبادات البدنية التي لا تحتاج إلى نفقة المال كالصيام والصلاة ٠٠٠ فالبخل مهلـك . وفـرقة اغتروا بحضور مجالس الذكر وظنوا أن نفس الحضور يغنيهم عن العمل والاتعاظ .

ويتم التخلص من الغرور بثلاثة أشياء : العقل ، والمعرفة ، والعلم . (ابـــــن الجوزي ، ٢٠٠٤ ب) .

الفصل الرابع

أساليب التربية ومبادئها ووسائطها عند ابن الجوزي

أولاً : أساليب التربية عند ابن الجوزي .

ثانياً : المبادئ التربوية عند ابن الجوزي .

ثالثاً : وسائط التربية عند ابن الجوزي .

تحاول الباحثة في هذا الفصل الإجابة عن الأسئلة التالية :

١. ما الأساليب التربوية التي اتبعها ابن الجوزي ؟
٢. ما المبادئ التربوية عند ابن الجوزي ؟
٣. ما وسائط التربية عند ابن الجوزي؟

أولاً : أساليب التربية عند ابن الجوزي :

وتقسم الأساليب التربوية عند ابن الجوزي إلى قسمين :

١. الأساليب العامة : وتشمل سن التعليم عند ابن الجوزي ، ورأيه في الأجرة على التعليم ورأيه في الثواب والعقاب ، كما تشمل رأيه في تربية الحكام ، وتربية المرأة .
٢. الأساليب التعليمية : وتشمل المجالس الوعظية ، والتعليم بالقصة واستخدام الأمثلة ، والتعليم عن طريق القدوة ، والتعليم عن طريق إعداد التصانيف .

١. الأساليب العامة :

تشمل الأساليب العامة ما يلي :

أ: سن التعليم :

يرى ابن الجوزي أن السن المناسب للبدء بالتعليم هو سن الخامسة وقد أوضح ذلك بقوله : "فأما تدبير العلم فينبغي أن يحمل الصبي من حين يبلغ خمس سنين على التشاغل بالقرآن والفقه وسماع الحديث" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

ب: رأيه في الأجرة على التعليم :

رأى ابن الجوزي أنه على المعلم أن لا يطلب أجراً مقابل تعليمه للمتعلم ، وعليه أن يطلب الأجر من الله سبحانه وتعالى . وقد قال في ذلك : "ولا يطلب على إفاضة العلم أجراً ولا يطلب به جزاءً ولا شكراً بل يعلم لوجه الله تعالى". (ابن الجوزي ٢٠٠٤ ب) .

كما حث العلماء على العمل من أجل كسب العيش في مجالات أخرى غير التعليم قائلاً : "وإني تأملت أكثر أهل الدين والعلم ... ، فوجدت العلم شغلهم عن المكاسب في بداياتهم ، فلما احتاجوا إلى قوام نفوسهم ذلوا ، وهم أحق بالعز . وقد كانوا قديماً يكفيهم بيت المال فضلات الأخوان ، فلما عدمت في هذا الأوان ، لم

يقـدر متديـن على شيء إلاّ ببذل شيء من دينه . وليته قدّر فربما تلف الدين ولم يحصل له شيء .

فالواجب على العاقل أن يحفظ ما معه ، وأن يجتهد في الكسب ليربح مداراة ظـالم أو مداهـنة جـاهل ، ولا يلتفت تُرّهات المتصوفة الذي يدّعون في الفقر ما يدعـون . فمـا الفقـر إلاّ مرض العجزة ، وللصابر على الفقر ثواب الصابر على المـرض . اللهم إلاّ أن يكون جباناً عن التصرف ، مقتنعاً بالكفاف ، فليس ذلك من مراتب الأبطال ، بل هو من مقامات الجبناء الزهاد .
وأمـا الكاسب ليكون المعطي لا المُعطى ، والمتصدق لا المتصدق عليه ، فهي من مراتب الشجعان الفضلاء . ومن تأمل هذا علم شرف الغنى ومخاطرة الفقر" . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

ج : الثواب والعقاب :

أما بالنسبة للثواب والعقاب فيقول ابن الجوزي في ذلك :

"فـإن أسـاء تغافل عن إساءته ولا يهتك مؤدبه ما بينه وبينه من الستر ولا يوبخ إلاّ سراً ويمنع كثرة الأكل والنوم . ويعود الخشونة في المطعم والمفرش فإنه أصـح لـبدنه ويعـالج بالرياضيات الجسمانية كالمشي ويؤدب بالنهي عن استدبار الناس والامتخاط بينهم والتثاؤب فإذا علقت به خله قبيحة بولغ في ردعه عنها قبل أن تتمكـن ولا بـأس بضربه إذا لم ينفع اللطف فقد قال لقمان لابنه يا بني ضرب الوالد للولد مثل السماد للزرع وإذا رآه عرما في صغره فليتلطف به" (ابن الجوزي، ١٩٨١) .

ممـا تقدم يظهر لنا أن ابن الجوزي يرى أنه على المربي التغافل عن إساءة التلميذ في بادئ الأمر . كما عليه أن يبقي حاجزاً بينه وبين المتعلم . وإذا لم ينفع الـتغافل عن الإساءة ، يقوم المعلم بتوبيخه سراً . وتلاحظ الباحثة أن ابن الجوزي ربما أراد التوبيخ سراً للمتعلم منعاً من إحراجه أمام الآخرين ، وكذلك حتى لا يهون عليه الأمر ويعتاد على التوبيخ أمام الآخرين مما يؤدي إلى عدم تأثره بذلك .

كذلك يركز ابن الجوزي على تقويم أخطاء المتعلم في المراحل المبكرة ، وذلك لأن الصـفات القبـيحة التي يكتسبها الفرد يصعب التخلي عنها فيما بعد . وقد دعا

إلـى تأديـب المـتعلم عن طريق النهي ، وإذا لم ينفع هذا الأسلوب فلا بأس من استخدام الضرب كعلاج أخير وبعد فشل الأساليب الأخرى .

كمـا قـال : "وكان الحكماء يقولون ابنك ريحانتك سبع سنين وخادمك سبع سنين فان صار ابن أربع عشرة سنة فإن أحسنت إليه فهو شريكك وإن أسأت إليه فهو عدوك ولا ينبغي أن يضرب بعد بلوغه ولا أن يساء إليه لأنه حينئذ يتمنى فقد الوالـد يسـتبد برأي نفسه ومن بلغ عشرين سنة ولم يصلح فبعيد صلاحه إلاّ أن الرفق متعين بالكل". (ابن الجوزي ، ١٩٨١) .

ومن خلال قول ابن الجوزي يظهر لنا اهتمامه البالغ بفترة المراهقة وبنفسية المـراهق، حيث يرى انه على الوالد أن يراعي نفسية ولده ، لأن أسلوب المعاملة يؤثـر في سلوك المتعلم ، فإن عامله الوالد بأسلوب حسن يكون شريكاً لوالده وإن عاملـه والـده بطريقة سيئة فإنه سيكون عدواً لوالده ، كما دعا إلى عدم استخدام أسـلوب الضـرب فـي تلك المرحلة . أما إذا بلغ الفرد سن العشرين فمن الصعب إصلاحه وذلك لأن شخصيته تكون قد تكونت ، إلاّ أن ابن الجوزي يعود ويركز على اسـتخدام أسـلوب الرفق في جميع المراحل التي يمر بها المتعلم ، لما لها من اثر بالغ فيه .

د : تربية الحكام :

مـن خـلال التعرف إلى الظروف السياسية التي عاش فيها ابن الجوزي ، خلصت الباحـثة إلى أن تلك الفترة كانت فترة فتن وعدم استقرار سياسي ، وسيطرة للسلاجقة على الخلفاء ، وانتشار للمجون والاستهتار ، وشرب للخمر . وقد أدى ذلك برجل عالم كابن الجوزي إلى محاولة الإصلاح ، وحين فكر ابن الجوزي في الإصلاح لم يترك أية فـئة مـن فئات المجتمع إلاّ وحاول إصلاحها ، فابتدأ بنظرته النقدية لعلماء عصره ، وأفـراد مجـتمعه ، موضحاً نقاط ضعفهم والسبيل إلى إصلاحهم . وقد تم توضيح ذلك سابقاً .

وكمـا فكر ابن الجوزي بإصلاح أفراد الرعية والعلماء ، فكر أيضاً بتربية الحكام ، وتقديـم النصـيحة لهـم ، وقد تمثلت هذه التربية في كتابه الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء.

وقد طلب من الحكام مراعاة الأمور التالية :

١. العدل:

ويتـبع ابن الجوزي أسلوب الترغيب في ذلك بقوله : "وتزيد مرتبة السلطان العادل علـى قـوّام الليل وصوّام النهار ، لأن نفع أولئك لا يتعداهم ونفعه يتعدى ، إذ بنظره يتعبد المتعبدون ، ويسافر التاجرون ، ويشتغل بالعلم المتعلمون ، فكأنه عبد الله بعبادة الكل" .

وكذلك يحدثنا عن فضل العدل مستشهداً بأحاديث السابقين .

٢. ذم الظلم وذكر العقوبة التي يتعرض لها الظالم . (ابن الجوزي ، ١٩٨٥) .

ويركـز ابـن الجـوزي على العدل وترك الظلم بقوله : "فلأجل ما ذكرنا من وجـوب العـدل وعقوبة الظلم كانت الولاية خطرة ، فجاءت منها أحاديث شديدة ، ولكنها محمولة على من جار وظلم دون من أحسن وعدل " .

أما الأمور التي ينبغي للسلطان فعلها فقسمها إلى قسمين :

القسم الأول ، وهو ما يعمله السلطان في حق نفسه .

القسم الثاني ، وهو ما يعمله السلطان في حق غيره .

أما الأمور التي يعملها لنفسه فتتمثل بما يلي :

أ : الاختلاء بالنفس والتأمل بالخالق وأدلة التوحيد وشواهد الربوبية مما يقوده إلى الإيمان بالله ، ثم ينظر إلى معجزات النبي صلى الله عليه وسلم .

ب: أن لا يخلي مجلسه من كبار العلماء ، الذين يخشون الله ، فإن ذلك يساعده في دينه ودنياه ، كما يجب عليه أن لا يعمل شيئاً دون فتواهم " .

ج : عدم العمل وفق الهوى والغضب أو ما يجري وفق قانون العادة .

ويوضح ذلك ابن الجوزي قائلاً : "وليحذر السلطان من العمل بالهوى والغضب أو يجري على قانون العادة ، فيما كان من قبله يفعل فان خلقاً من الأمراء يقطعون يد من لا يجوز قطعه ، ويقتلون من لا يجوز قتله ، ويسمون ذلك سياسة" .

د : العدل والشكر .

هـ : الخوف من الله تعالى والتواضع .

أما فيما يتعلق بغيره ، فقد قسم ابن الجوزي الرعية إلى نوعين : خواص وعوام.

- ينبغي للسلطان تفقد أحوال الخواص اكثر من العوام "لأنهم كالأدوات والآلات فمثلهم كمثل الأعضاء والسلطان كالقلب ، ومتى نزعت آفة عضو لم يأمن تعديها إلى القلب".
- أن يكون قدوة لولاته وأوضح ذلك بقوله " واعلم أنه متى علم ولاة السلطان انه يقصد شيئاً فعلوه ، فإنه كالسوق مهما نفق فيه جلب إليه ، فان رأوه يحب العدل عدلوا" .
- تحذير السلطان من الغضب .
- أن يكون حليماً ، شاكراً لرفعته على الخلق .
- أن يعامل أفراد الرعية كبنيه ، ويعتبرهم بمنزلة ولده يحنو عليهم ، وينصحهم ، ويريد لهم ما يريد لنفسه ، وإذا خالف ذلك يكون غاشاً لهم .
- كما ينبغي للحاكم الإحسان إلى الرعية ، وقد أوضح ابن الجوزي ذلك بقوله :"فينبغي للسلطان أن يحسن كما أحسن الله إليه ، فإن العمر مركب مستعجل ، ومقتضى دين لا يهمل" .
- ينبغي أن يسهل السلطان الإذن للعوام ، وأن يجلس معهم ، حيث يقود هذا النواب إلى عدم ظلم العوام .
- أن يغيث الملهوف .
- أن يعرف الحاكم فضل الجهاد وقد أورد الأحاديث حول ذلك.(ابن الجوزي: ١٩٨٥).

- هـذا ، وقد استخدم ابن الجوزي أسلوب سرد القصص عن السلف والملوك والأمراء الزاهدين ، كما تعرض للأخبار الصالحين . وذلك لكي يعتبر الحكام بتلك القصص .

أما طريقة وعظ وتربية أولئك السلاطين فتتمثل بما يلي : (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) :

١. أن يبالغ في التلطف معهم .
٢. أن لا يواجههم بظلمهم ، وذلك لأن طبيعة السلاطين تتفرد بالقهر والغلبة ، فإن قام الواعظ بتوبيخهم اعتبروه اذلالاً لهم ، وهم لا يحتملون ذلك .
٣. المـزج بيـن الوعـظ وذكر شرف الولاية ، والحصول على الثواب نتيجة لرعاية الرعية.
٤. ذكر سير الأسلاف الذين تميزوا بالعدل .

كما نبه ابن الجوزي إلى نقطة هامة يجب مراعاتها قبل الوعظ وهي :

- يجـب علـى الواعـظ أن يـدرس نفسية الموعوظ "فإن رأى سيرته حميدة كما كان منصـور بن عمار وغيره يعظون الرشيد وهو يبكي . ومقصده الخير زاد في وعظه ووصيته . وإن رأه ظالماً لا يلتفت إلى الخير ، وقد غلب عليه الجهل ، اجتهد في أن لا يـراه ولا يعظه . لأنه إن وعظه خاطر بنفسه ، وإن مدحه كان مداهناً فإن اضطر إلى موعظته كانت كالإشارة" .

كمـا أشار إلى أن بعض السلاطين يتقبلون الوعظ ويلينون عند سماع الموعظة ، فمثلاً كان المنصور يصبر على من يصفه بالظلم .

- عدم مداهنة السلاطين والنفاق لهم . فمن لا يجد لقوله قبولاً عليه بالصمت .

- علـى الواعظ أن يحذر الحاكم الجاهل في وعظه ، حتى لو طلب الحاكم منه ذلك ، وذلـك لأنـه لا يأمـن غضبه ويوضح ابن الجوزي أن الزمان قد تغير ، وفي هذا الزمن البعد عن الحكام أصلح ، والسكوت عن وعظهم أسلم لهم .

- إذا اضـطر لوعظهـم عليه بالتلطف وعليه أن يستخدم الطريقة غير المباشرة في الوعـظ، وذلـك من خلال وعظه للعوام وهـم يسمعـون ذلـك. (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ).

هـ : تربية المرأة في فكر ابن الجوزي :

قـبل المضـي للتعرف إلى مكانة المرأة في فكر ابن الجوزي ، ورأيه في تعليمها وتربيتها ، لا بد لنا من التعرف إلى نظرة الإسلام للمرأة ورؤيته لتعليمها .

نظر الإسلام للمرأة نظرة تتفق مع حقائق الفطرة لطبيعة المرأة ، حيث رأى أن الزوجيـن متسـاويان إنسانياً ومن حيث علاقتهما با سبحانه وتعالى وبجزائه لهمـا. وبذلـك اختفت النظرة الدونية للمرأة التي كانت سائدة قبل مجيء الإسلام ، حيـث قرر الإسلام وحدة الجنسين ووحدة الزوجين . والمساواة بين شطري النفس الواحـدة ، كمـا قرر الأمور التي ينفرد بها كل منهما وفقاً لطبيعتة الفردية ، حيث يترتب على ذلك وظائف خاصة بكل منهما .

والآيات التالية توضح ما سبق :

"يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ..." **(النساء ١) .**

"فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض" **(آل عمران ١٩٥) .**

"ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ..." **(الروم ٢١) .**

"للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن " **(النساء ، ٣٢) .**

"يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين" **. (النساء ، ١١) .**

كما أن جميع التشريعات الأسرية في الإسلام التي تتعلق بتكوين الأسرة أو انفصالها عـن طريق الطلاق ، أو وفاة أحد الزوجين أو التي تتعلق بالملكية والميراث ، أو القوامة

في الأسرة ، كل ذلك بني على الفطرة البشرية عامة ، وعلى الفطرة الخاصة بكلا الجنسين خاصة . (سلطان ، ١٩٧٩) .

وتخـتلف نظـرة الإنسان للمرأة عن كثير من النظرات التي نظرت إليها على أنها مجـرد مـتعة للرجل ، فالعلاقة بين الرجل والمرأة ذات أغراض وغايات أعظم من مجرد الإشـباع الجنسي ٠٠ غايات تتكافأ منزلة وشرفاً مع سبب وجوده ، ومع طبيعته الإنسانية وقدرتها على النمو إلى درجات لا متناهية .

فالإسـلام يـنظر للمرأة على أنها شطر للنفس البشرية ، منشئة للأجيال ، لذا فان تربيتها لا يمكن أن تختلف عن تربية الرجل ، فالإسلام يربيها لتبني الأجيال وتخدم الجنس البشري كله . ولذلك فقد اعتبر الإسلام تعليمها واجباً دينياً وفريضة حتى تتساوى بذلك مع الرجل .

فقد قال عليه الصلاة والسلام : "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " ونظراً لأهمـية الـدور الذي تقوم به المرأة في إعداد الأجيال وتربيتهم تربية خلقية ، إسلامية ، دينية، كان تعليم المرأة في الإسلام يهتم بتنشئتها تنشئة دينية متكاملة .

ولقد كان الاهتمام بتعليم المرأة منذ عهد الرسول صلى ا   عليه وسلم حيث كانت المدرسـة الأولـى . وقـد كانت السيدة عائشة مثلاً يحتذى به حيث كانت تقرأ المصحف وتعـرف الـناس بديـنهم وقد قال فيها عليه الصلاة والسلام "خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء" . (سلطان وإسماعيل ، ١٩٧٧) .

ومـن ثـم اختلف علماء المسلمين في جواز تعليم المرأة إلى فريقين ، حيث رأى بعضـهم أنـه يجب الاقتصار على تعليمهم المرأة الصلاة وقراءة القرآن ، والحديث فقط ، وينهون عن تعليمها القراءة والكتابة ومنهم من يرى أنه يجوز تعليم المرأة كل ما هو علم. وقد تعلمت نساء كثيرات العلم والأدب ولكن نسبتهن كانت أقل من الذكور .

هـذا ، وقـد أخـذت المرأة نصيباً من المعرفة والثقافة ، فظهرت من بين النساء المحدثات، حيث رأى العلماء أنهن اكثر صدقاً من الرجال في رواية الحديث .

أمـا بالنسـبة للكيفـية التي كانت تتعلم فيها المرأة فقد كان منهن من يذهبن إلى كتاتيب خاصة بالبنات يتعلمن عند النساء ، وكان منهن من تتلقى العلم في بيتها حيث كان

يأتيها المعلم إلى بيتها ، وكان منهن من تحضر حلقات الدروس الكبيرة مع الرجال يصحبها زوجها أو أحد أقاربها .

وقد كان للمرأة مكانة محترمة في تاريخ التعليم والثقافة الإسلامية ، وكان لها دور فـي المـيدان الثقافي والسياسي ، ولم يزدها التعليم إلاّ حسناً في أخلاقها ودينها وعفتها وحيائها. (محمود ، ١٩٦٣) .

أما بالنسبة للمرأة في فكر ابن الجوزي ، فإنه بداية يرى أن الفائدة الكبرى والغاية الكبرى من الزواج هو وجود النسل .

وقـد ركـز على أهمية ولادة الطفل القوي ، حيث أوضح أن لعمر الزوجين تأثيراً كبـيراً فـي ذلك ، حيث رأى أن الشابين الذين حبسا نفسهما عن الزواج مدة طويلة يكون ولدهما أقوى من غيرهما . وأوضح كراهية نكاح الأقارب ، لما في ذلك من آثار سلبية في الشـخص حيث يظن الإنسان انه ينكح بعضه ، لذا دعا إلى نكاح الغرائب .ودعا إلى اختيار الـزوجة ، اختياراً سليماً ، لمن أراد أن يحصل على طفل نجيب ، وكذلك ، على الزوج أن يخـتار المـرأة المتمـيزة بالأخلاق ، لما في ذلك من تأثير في نجابة الولد . كما أن على الـزوج أن يغـض الطـرف عن عورات زوجته إن كانت امرأة صالحة . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

ودعـا ابـن الجوزي الرجل إلى الزواج من إمرأة بكر وذلك لأنه يرى أن البكر لم تعـرف سواه . ولكنه في الوقت نفسه دعا إلى التناسب في العمر بين الزوجين ، فرأى أنه مـن الخطأ زواج الشيخ من طفلة ، وذلك لأنه لا يستطيع أن يؤدي لها أغراضها ، وكذلك لنفورها من طبع الشيخ ، وإذا حصل ذلك فعلى الشخص أن يكون حسن الخلق كثير الإنفاق على هذه الزوجة .

ويـرى ابـن الجوزي أنه لا ينبغي للرجل ممازحة زوجته خوفاً من طمعها فيه مما يـؤدي إلى خروجها عن طاعته ، كذلك لا ينبغي له أن يسلم حاله لها حتى لا يكون رهينة فـي يدهـا . وقد استشهد بقوله تعالى : "ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً " (سورة النساء : الآية ٥) ، كما دعا إلى المزاح بنوع من الهيبة .

ويـرى ابـن الجوزي أن "أكثر العلاج في إصلاح المرأة منعها من محادثة جنسها ومن خروجها من بيتها واطلاعها من ذروته وأن تكون عنده عجوز تؤدبها وتلقنها تعظيم الـزوج وتعـرفهـا حقوقـه وتعظيم قليل الإنفاق عندها وتكون كالحافظ فإن عقل الصبي مأفون". * (ابن الجوزي ، ١٩٨١) .

أمـا بالنسـبة لإفشـاء السر ، فيرى ابن الجوزي أنه من العجز إفشاء السر إلى الزوجة والولد ، ويعتبر المال من جملة السر ، ويبرر ذلك ، بأن الزوجة والولد قد يتمنون وفـاة رب الأسـرة من أجل تورثه إن كان ماله كثيراً ، أما إذا كان قليل المال تبرموا من ذلك.

وكذلك يرى أن الزوج الذي يفشي سره إلى زوجته أو صديقه يكون رهينة عندهما. فـلا يسـتطيع أن يطلـق الزوجة أو أن يهجر الصديق مخافة إفشاء السر (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

كمـا دعا إلى عدم الإسراف الجنسي موضحاً أن أعظم الضرر الداخل على الإنسان هـو كثرة النساء ، لأن ذلك يشتته فيما بين مداراتهن ، ومحبتهن ، والإنفاق عليهن ولذا فإنـه يـرى أن الاقتصـار على الزوجة الواحدة أفضل موضحاً ذلك بقوله : "والعاقل من يقتصـر على الواحدة إذا وافقت غرضه ، ولا بد أن يكون فيها شيء لا يوافق ، إنما العمل على الغالب، فتوهب الخلة الرديّة للمجيدة" . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

ممـا تقـدم تلاحظ الباحثة بأن ابن الجوزي نظر نظرة دونية للمرأة حيث اعتبرها ناقصـة عقل ، وبحاجة لمن يكون وكيلاً عليها ، معلماً لها في منزلها . كما تلاحظ الباحثة عدم ثقة ابن الجوزي بالمرأة وقدرتها على كتمان السر .

أما بالنسبة لتعليم المرأة فقد اهتم ابن الجوزي بتعليمها حيث لاحظ ابن الجوزي أن هـناك ضـرورة لذلك وتتضح تلك الضرورة من خلال نقده الذي وجهه للنساء بقوله : "ثم نظـرت في أحوال النساء ، فرأيتهن قليلات الدين ، عظيمات الجهل ، ما عندهم من الآخرة خبر إلاّ من عصم ا " . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

---

* مأفون : ناقص .

وقـد رأى ابن الجوزي أن العلم واجب على المرأة كما هو واجب على الرجل وقد أوضح ذلك بقوله :"المرأة شخص مكلف كالرجل ، فيجب عليها طلب علم الواجبات عليها، لتكون من أدائها على يقين . فإن كان لها أب ، أو أخ أو زوج أو محرم يعلمها الفرائض، ويعـرّفها كـيف تؤدي الواجبات كفاها ذلك ، وإن لم تكن سألت وتعلمت ، فإن قدرت على امـرأة تعلم ذلك تعرفت منها ، وإلاّ تعلمت من الأشياخ وذوي الأسنان من غير خلوة بها ، وتقتصر على قدر اللازم ، ومتى حدثت لها حادثة في دينها سألت عنها ، ولم تستح ، فإن الله لا يستحيي من الحق" . (ابن الجوزي ، ٢٠٠١) .

٢. الأساليب التعليمية :

هناك أساليب متعددة اتبعها ابن الجوزي في التعليم ومن هذه الأساليب :

أ : المجالس الوعظية :

وقد وصف ابن جبير مجالس وعظه قائلاً :

"ومـن أبهـر آياته ، وأكبر معجزاته ، أنه يصعد المنبر ويبتدئ القّراء بالقرآن ، وعددهم نيّف على العشرين قارئاً ، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القراءة يـتلونها علـى نسق بتطريب وتشويق ، فإذا فرغوا تلت طائفة أُخرى على عددهم آيـة ثانية ، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة ، وقد أتوا بآيات مشتبهات ، لا يكاد المتقد الخاطر يحصّلها عدداً ، أو يسميّها نسقاً . فـإذا فرغوا اخذ هذا الأمام الغريب الشأن في إيراد خطبته ، عجلاً مبتدراً ، وأفرغ فـي أصداف الأسماع من ألفاظه درراً ، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبـته فِقَـراً ، وأتى بها على نسق القراءة لها ، لا مقدماً ولا مؤخراً . ثم أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها . فلو أن ابدع مَنْ في مجلسه تكلّف تسمية ما قرأ القـرّاء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك ، فكيف بمن ينتظمها مرتجلاً ، ويورد الخطـبة الغـراء بها عجلاً ٠٠ ثم إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق الوعظ وآيات بينات من الذكر ، طارت لها القلوب اشتياقاً ، وذابت بها الأنفس احتراماً إلى أن عـلا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج ، وأعلن التائبون بالصياح ٠٠٠ وفي أثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل ، وتطير إليه الرقاع ، فيجاوب أسرع من طرفة عيـن . وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل ٠٠ " .(ابن جبير ، ١٩٥٩) .

ب: التعليم بالقصة واستخدام الأمثلة :

مـن خـلال الاطـلاع على الكتب المختلفة لابن الجوزي نستطيع التوصل إلى أنه اسـتخدم أسلوب التعليم بالقصة ، فعلى سبيل المثال ، في كتابه الأذكياء يبدأ بالحديث عن العقل والذكاء ثم يعود إلى الإعتماد على القصص المنقولة لإعطاء الأمثلة على قوة الفطنة والذكاء عند أصحاب تلك القصص .

فمثلاً يبدأ بقصص الأنبياء كسيدنا إبراهيم وسليمان ، ولقمان عليهم السلام ، وكذلك عن نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، ثم ينتقل إلى فئات مختلفة من الناس والحيوانات ، لإظهار الفطنة والذكاء عند أؤلئك .

وكذلـك في كتاب أخبار الحمقى والمغفلين ، تم إعطاء الكثير من الأمثلة والقصص عن الحمقى *.

ج : التعليم عن طريق القدوة :

التعلـيم بالقدوة من الأساليب التي ركز عليها ابن الجوزي في تعليمه ، حيث طلب من المعلم أن يعمل بعلمه ، وذلك لكي يكون قدوة لتلاميذه ، وقد استشهد ابن الجوزي بقولـه تعـالى : "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب" (سورة البقرة : الآية ٤٤) (ابن الجوزي، ٢٠٠٤ ب) .

وقد ذكر في كتابه لفتة الكبد أهمية عمل الواعظ بعلمه قائلاً " ومتى لم يعمل الواعظ بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل الماء عن الحجر " . كما طلب من ابنه النظر في أخلاق السلف . (ابن الجوزي ، ١٩٨٧) .

د: التعليم عن طريق إعداد التصانيف :

دعـا ابـن الجـوزي المعلمين إلى كتابة التصانيف واستخدامها كأسلوب تربوي معـتمدٍ إلـى جانـب التعليم بالمشافهة حيث عقد مقارنة بين الأسلوبين موضحاً بأن التعلـيم بالمشـافهة يفيد عدداً محدوداً من المتعلمين يرتبط هذا العدد بالمعلم وقدرته

* لمزيد من التفاصيل والامثلة انظر كتاب الأذكياء ، وكتاب أخبار الحمقى والمغفلين .

علـى العطـاء وعمـره . أما التعليم عبر التصانيف فيستفيد منه عدد لا يحصى من المتعلمين ، وغير مرتبط هذا العدد بمكان أو زمان .

وقـد أوضـح ابن الجوزي ذلك بقوله " رأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة . لأني أشافه في عمري عدداً من المتعلمين ، وأشافه بتصـنيفي خلقـاً لا تحصـى مـا خلقوا بعد . ودليل هذا أن انتفاع الناس بتصانيف المتقدميـن اكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشايخهم . فينبغي للعالم أن يتوفر علـى التصـانيف إن وفـق للتصنيف المفيد ، فانه ليس كل من صنف صنف وليس المقصود جمع شيء كيف كان ، وإنما هي أسرار يطلع ا عز وجل عليها من شاء مـن عباده ويوفقه لكشفها فيجمع ما فرق ، أو يرتب ما شتت ، أو يشرح ما أهمل، هذا هو التصنيف المفيد". (ابن الجوزي،٢٠٠٤أ).

ثانياً : المبادئ التربوية عند ابن الجوزي :

مـن خـلال دراسة كتبه المتعلقة بالجوانب التربوية تستخلص الباحثة العديد من المبادئ ومن هذه المبادئ :

١. مراعاة الفروق الفردية .
٢. استخدام أسلوب الحفظ .
٣. الربط بين العلم والعمل .
٤. عدم الجمع بين أكثر من علم في آن واحد .
٥. الدعوة إلى عدم التقليد .
٦. الاهتمام بقيمة الزمن واستغلاله .
٧. الثقافة والمطالعة .
٨. التربية المستمرة .
٩. التعلم الذاتي .
١٠ الاهتمام بالعقل وتدريبه .
١١ العزلة والاختلاط .
١٢ الربط بين الحفظ والفهم .
١٣ الدعوة إلى علو الهمة .

١. مراعاة الفروق الفردية :

دعا ابن الجوزي إلى مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين قائلاً " لا ينبغي أن يطالـب الإنسـان بمـا يقـوى عليه غيره ، فيضعف هو عنه " (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) ، وذلـك لان لكل إنسان طاقة وقدرة تختلف عن الاخرين ، وبالتالي على المعلـم مـراعاة تلك القدرات والطاقات وأن يطلب من كل متعلم إنجاز العمل الذي يسـتطيع إنجـازه . كمـا طلـب من المعلم استخدام الأساليب المختلفة مع الفئات المخـتلفة قائلاً : "ثم يتفاوت الصبيان بعد ذلك : فمنهم من يحتاج إلى محرض وهم

الأكـثر ومنهم من تنبه بأيسر تنبيه ، ومنهم من يتعب معه الرائض، وجبلته لا تقبل الرياضة . (ابن الجوزي، ١٩٨٣) .

كمـا أوضح ذلك في كتابه الطب الروحاني " واعلم أن الطبيب ينظر إلى سن المعـالج ومكانـه وزمانه ثم يصف العلاج فكذلك ينبغي أن تكون رياضة كل شخص علـى قـدر حاله وامارة فلاح الصبي وفساده تتبين من طفولته فالنجيب منهم يتنبه بالتعلم والذي ليس بنجيب لا ينفعه التعلم كما لا يصير الهجان بالرياضة نجيباً" . (ابن الجوزي ، ١٩٨١).

٢. استخدام أسلوب الحفظ :

وقـد قال في ذلك في كتابه لفتة الكبد : "فعليك بالحفظ ، وإنما الحفظ ، رأس المـال والتصـرف ربـح" (إبن الجوزي،١٩٨٧)، وقد اهتم ابن الجوزي بالحفظ على الرغم من إدراكه لصعوبة الحفظ وتكراره على النفس ، وخصوصاً المسائل الفقهية .

لاحظ ابن الجوزي أن الإنسان يستطيع حفظ الشعر والسجع بسهولة أكبر من حفظـه لمسـائل الفقه وذلك لأن الشعر والسجع والنسخ لها لذة في الإعادة وإن كانت صعبة.

وينبغـي للعـاقل فـي رأيه أن يقضي معظم وقته للإعادة وخصوصاً الصبي الشاب، لأن قدرته عالية على الحفظ .

وعـندما يتعب المتعلم من الإعادة ، عليه أن يجعل وقت التعب للنسخ ويكون ذلك وقت الصباح .

يحتاج الحافظ إلى التكرار ، لأن التكرار يثبت قاعدة الحفظ .

الأساليب المتبعة في الحفظ :

- لا يسـتطيع المتعلم دوام الدراسة . فمن الخطأ في رأي ابن الجوزي أن يقضي المـتعلم ليله ونهاره في الدراسة لأن ذلك لا يدوم إلاّ أياماً وبعدها يشعر بالفتور أو المرض .

- لا بد للإنسان أن يأخذ من العلوم وفق طاقته وقدراته .

- على الإنسان أن يأخذ وفق طاقته ويعيده في وقتين من الليل والنهار .

- عليه أن يرفه قواه في بقية الوقت .

- هـناك أوقات مناسبة للحفظ ، فأفضل الأوقات لذلك الصبا وما تقاربه من أوقات الزمان .

- أفضـل الأوقات للإعادة السحر ونصف النهار ، والغدوات أفضل من العشيات ، وأوقات الجوع أفضل من أوقات الشبع .

- على الشخص الذي يريد الحفظ الابتعاد عن أماكن الخضرة والأنهار وذلك حتى لا يُلهى عن الحفظ ، والأماكن العالية والمنخفضة .

- علـى المـتعلم أن يرفه نفسه من الإعادة يوماً في الأسبوع وذلك يساعده على تثبيت الحفظ ، وتقوية النفس .

- على المتعلم أن يقلل كمية الحفظ مع الدوام على ذلك .

- على المتعلم عدم البدء بعلم قبل إنهاء العلم الذي سبقه .

- علـى الشخص ا لذي لا يجد لديه قدرة على الحفظ أن يتركه ، وأن لا يكابر في ذلك.

- أن يصـلح مـزاجه لأن ذلـك له تأثـير فـي الحفظ ، ومن ذلك أن هناك بعض المأكولات ذات اثر في الحفظ مثل عدم اكل الخل .

- علـى المبـتدئ في طلب العلم مدافعة النكاح ، حيث قال ابن الجوزي في ذلك : "واختار للمبتدئ في طلب العلم أن يدافع النكاح مهما أمكن ، فإن أحمد بن حنبل لـم يـتزوج حتى تمت له أربعون سنة ، وهذا لأجل جمع الهمم فإن غلب عليه الأمر تزوج واجتهد في المدافعة بالفعل لتتوفر القوة على إعادة العلم" .

- علـى المتعلم تقديم الأهم والأفضل من العلوم لأن الإنسان لا يستطيع حفظ جميع العلوم فالعمر لا يتسع لذلك .

- أفضل العلوم للحفظ هي : حفظ القرآن ، ثم الفقه ، ثم باقي العلوم تكون بمنزلة التابع (إبن الجوزي،١٩٨٣) .

من خلال مراجعة اهتمام ابن الجوزي بعملية الحفظ نستطيع أن نخلص إلى تركيزه على النقاط التالية :

١. بالنسبة إلى أوقات الحفظ فالوقت المناسب لذلك هو طرفا النهار .
٢. أما بالنسبة لأهمية المادة المحفوظة فقد قدم القرآن على العلوم جميعاً ثم الفقه .
٣. أما بالنسبة للسن المناسب للحفظ فهو سن الصبا والشباب .
٤. أما بالنسبة للمكان فبعيداً عن الأماكن التي تلهي الشخص عن الحفظ .
٥. مـراعاة القدرات والفروق الفردية ، وليحفظ كل شخص حسب قدرته ، ومن يجد بنفسه عدم القدرة على الحفظ فليتركه ولا يكابر في ذلك .
٦. دعا إلى تناول بعض الأطعمة التي تعين الشخص على الحفظ .
٧. عدم الجمع بين علمين في آن واحد .
٨. على المتعلم أن يخلد للراحة يوماً في الأسبوع ، مما يدل على اهتمامه بالإجـازة الأسـبوعية ، لما لها من أثر في تجديد نشاط الفرد ، وإثارة دافعيته.

٣. الربط بين العلم والعمل :

ركز ابن الجوزي على الربط بين العلم والعمل لما لذلك من أهمية في تطبيق العمل، حيث كان جُلّ تركيزه على التربية العملية . وقد أوضح ذلك بالأقوال التالية :

"لقيـت مشايخ ، أحوالهم مختلفة يتفاوتون في مقاديرهم في العلم وكان انفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه وإن كان غيره أعلم منه ... " (ابن الجوزي،٢٠٠٤ أ).

- "أن الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

- "فـا ا فـي العلم بالعمل فإنه الأصل الأكبر ، والمسكين من ضاع عمـره في علم لم يعمل به ، ففاتته لذات الدنيا وخيرات الآخرة فقدم مفلساً مع الحجة إليه " (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

كمـا ركز على اقتران العلم بالعمل في كتابه لفتة الكبد قائلاً : " وإياك أن تقف مع صـورة العلـم دون العمـل بـه ، فان الداخلين على الأمراء والمقبلين على أهل الدنيا قد اعرضوا عن العلم بالعمل فمنعوا البركة والنفع به " (ابن الجوزي ، ١٩٨٧) .

وكمـا ركـز ابن الجوزي على أن يعمل العالم بعلمه ، ركز ابن الجوزي على عدم العمل بغير علم لما لذلك من آثار سلبية على المتعلم ويبرز ذلك من خلال قوله : "وإياك أن تتشـاغل بالتعـبد مـن غير علم ، فإن خلقاً كثيراً من المتزهدين والمتصوفة ضلوا طريق الهدى إذا عملوا بغير علم " (ابن الجوزي ، ١٩٨٧) .

وكذلـك فقد ربط ابن الجوزي بين محاسبة النفس على كل عمل تقوم به في ضوء انـتفاعها بالعلم ، وذلك لأن الإنسان العالم قدوة للآخرين . وقد أوضح ذلك بقوله "وحاسب نفسك عند كل نظرة وكلمة وخطوة فإنك مسؤول عن ذلك ، وعلى قدر انتفاعك بالعلم ينتفع السـامعون ، ومـتى لـم يعمل الواعظ بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل الماء عن الحجر " (ابن الجوزي ، ١٩٨٧) .

٤. عدم الجمع بين أكثر من علم في آن واحد وتقديم الأهم من العلوم :

دعـا ابـن الجوزي إلى عدم البدء في دراسة موضوع حتى يتقن ما قبله وقد أوضـح ذلـك فـي قولـه "وأن لا يشرع في فن حتى يحكم ما قبله" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

وهـذا دلـيل على أن الإنسان في نظر ابن الجوزي لا يستطيع إتقان أكثر من علـم فـي آن واحـد ، لذا فعليه تكريس جهده ووقته لدراسة موضوع واحد ، وبعد فهمـه وإتقانـه، يبدأ في علم آخر ، حتى لا يتشتت ذهنه في أُمور كثيرة لا يستطيع التركيز عليها جميعاً .

وكذلـك رأى ابـن الجوزي أن العمر لا يتسع لدراسة كل العلوم ، لذا فقد قدّم دراسـة موضوعات على الأخرى ، حيث طلب الابتداء بالقرآن وحفظه ، وتفسيره ، وقـراءاته، وبعـض الـنحو ، وكتـب اللغة . ثم الابتداء بأصول الحديث ، ومن ثم الـتواريخ ، ومـن ثم يقبل على الفقه فيدرس المذاهب والخلاف ، وركز على الفقه واعتبره مدار العلوم وطلب التوسع فيه . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

٥. الدعوة إلى عدم التقليد :

دعـا ابـن الجوزي إلى عدم التقليد ، طالباً من طالب العلم أن تكون لديه قوة الإرادة والقدرة على اختيار مذهبٍ خاص به ، وأن لا يكون تابعاً لأحد . وقد أوضح ذلـك بقوله : "ومن أقبح النقص التقليد ، فإن قويت همته رقته إلى أن يختار لنفسه مذهـباً ولا يتمذهــب لأحـــد ، فإن المقلد أعمى يقوده مقلده " . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ).

كما قال " وكفى بالعقل مرشداً إلى الصواب " . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

وهـذه الدعـوة إلى عدم التقليد تنسجم مع فكر ابن الجوزي حول تفعيل دور العقـل ، والدعـوة إلى إعماله ، والتركيز على العمليات العقلية ، حيث يقود إعمال العقل والنظر، والتفكير ، والقياس بالشاهد على الغائب إلى عدم التقليد ، والى تكوين رؤيا خاصة بطالب العلم وحده دون أن يكون تابعاً لأحد .

٦. الاهتمام بقيمة الزمن واستغلاله :

دعـا ابـن الجـوزي إلى تقسيم الوقت واستغلاله بما ينفع قائلاً :" وانظر كل سـاعة مـن ساعاتك بما تذهب ، فلا تودعها إلاّ أشرف ما يمكن " . (ابن الجوزي ، ١٩٨٧) .

كمـا قـال في كتابه صيد الخاطر : "ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه ، وقـدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة ، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمـل . ولتكـن نيته في الخير قائمة ، من غير فتور بما لا يعجز عنه البدن من العمل، كما جاء في الحديث : "نية المؤمن خير من عمله ". (ابن الجوزي، ٢٠٠٤أ).

وقـال: " فـإذا علم الإنسان بأن الموت يقطعه عن العمل ، عمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته .

فـإن كـان له شـيء من الدنيا ، وقف وقفاً ، وغرس غرساً وأجرى نهراً ، ويسـعى في تحصيل ذرية تذكر ا بعده ، فيكون الأجر له . أو أن يصنف كتاباً في العلـم ، فان تصنيف العالم ولده المخلد وأن يكون عاملاً بالخير ، عالماً فيه ، فينقل من فعله ما يقتدي الغير به " . (ابن الجوزي ، ١٩٨٧) .

كمـا قال: " فكم يضيع الآدمي من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل ، وهذه الأيام مثل المزرعة، فكأنه قيل للإنسان ، كلما بذرت حبة أخرجنا لك ألف كُر *، فهل يجـوز للعاقل أن يتوقف في البذر ويتوانى . والذي يعين على اغتنام الزمان الانفراد والعزلة مهما أمكن ، والاختصار على السلام أو حاجة مهمة لمن يلقى . وقلة الأكل، فـإن كـثرته تسـبب النوم الطويل وضياع الليل . ومن نظر في سير ا لسلف وآمن بالجزاء بان له ما ذكرته " (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

- الأمور التي تساعد الإنسان على استثمار وقته ما يلي :

١. الانفراد والعزلة ، لأنها تعطي الإنسان الوقت الكافي للعمل بما ينفع ، فلا تلهيه صحبة الاخرين ومخالطتهم عن العمل النافع .

٢. عـدم الخـوض فـي الحديث مع الآخرين مدة طويلة بل على الشخص الاقتصار على السلام ، أو إلقاء الحاجة .

٣. قلـة الأكل ، وذلك لأن كثرة الأكل تقود الإنسان إلى النوم الطويل فيضيع وقته.(ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ)

٧. الثقافة والمطالعة :

دعـا ابن الجوزي إلى الثقافة ، وعدم الاقتصار على معرفة علم من العلوم ، دون الاطـلاع والإلمـام بـالعلوم الأخـرى ، وقد أوضح ذلك بقوله " أنت ترى خلقاً يقتصرون على بعض فنون العلم فهذا مع النحو جميع عمره وهذا مع الحديث طـول

---

* كُرٌّ : مكيال لأهل العراق = ٦٠ قفيزاً .

دهره، وهو * يرى أن كل العلوم مقصود غير أنه لما علم أن العمر لا يسع الكل أخذ مـا يحـتاج إليه من الكل زاد المسيرة ونهض للعمل بمقتضاه ، فتراه ينتهب العمر خوف أن يذهب وما نال المراد ولا يضيع لحظة في غير مهم وينافس نفسه في زمان المطعم والنوم لعلمه بقصر المدة " (ابن الجوزي ، ١٩٨١) .

ويركـز ابـن الجوزي على الإلمام بكافة العلوم مع التركيز على الفقه ، كما يدعو إلى النظر في الغاية من العلوم ، وهي معرفة ا وحبه ، ويوضح ذلك بقوله:

" وإنمـا ينبغي للعاقل أن يأخذ من كل علم طرفاً ثم يهتم بالفقه . ثم ينظر في مقصـود العلوم ، وهو المعاملة سبحانه والمعرفة به والحب له".(ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ).

كمـا ذكـر فـي كتاب منهاج القاصدين " وينبغي له ** أن يأخذ من كل شيء أحسـنه لأن العمر لا يتسع لجميع العلوم ثم يصرف به جمام قوته إلى اشرف العلوم وهو العلم المتعلق بالآخرة الذي به يكتسب اليقين " (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ ب) .

كمـا رأى أنه على الفقيه أن يكون واسع الثقافة في العلوم الأخرى وذلك لأن الفقه يحتاج إلى جميع العلوم " للفقيه أن يطالع من كل فن طرفاً ، من تاريخ وحديث ولغـة وغـير ذلك، فإن الفقه يحتاج إلى جميع العلوم ، فليأخذ من كل شيء منها مهماً " . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

كمـا طلب من طالب العلم في كافة التخصصات الاطلاع على كل العلوم لأنها مرتـبطة بعضـها بـبعض . "فينبغي لكل ذي علم أن يُلم بباقي العلوم ، فيطالع منها طـرفاً، إذ لكل علم بعلم تعلق . وأقبح بمحدث يسأل عن حادثة فلا يدري ، وقد شغله منها جمع طرق الأحاديث . وقبيح بالفقيه أن يقال له : ما معنى قول رسول ا صلى ا علـيـه وسـلـم كذا، فلا يدري صحة الحديث ولا معناه " . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

كمـا دعـا ابـن الجـوزي طالب العلم إلى الاهتمام بالمطالعة والاطلاع على التصـانيف ، وعدم الاكتفاء بالمختصرات وقد قال في ذلك : "كانت همم القدماء من

* أي طالب العلم

** الخائض في العلم .

العلمـاء عليّة ، تدل عليها تصانيفهم التي هي زبدة أعمارهم ، إلاّ أن أكثر تصانيفهم دثـرت ، لأن همـم الطـلاب ضـعفت فصـاروا يطلبون المختصرات ولا ينشطون للمطّـولات. ثم اقتصروا على ما يدرسون به من بعضها فدثرت الكتب ولم تنسخ . فسبيل طالب الكمال في طلب العلم الاطلاع على الكتب التي قد تخلفت من المصنفات ، فليكثر من المطالعة فإنه يرى من علوم القوم وعلو هممهم ما يشحذ خاطره ويحرك عزيمـته للجـد ، ومـا يخلـو كـتاب من فائدة . وأعوذ با من سير هؤلاء الذين نعاشرهم، لا نرى فيهم ذا همة عالية فيقتدي به المبتدئ ، ولا صاحب ورع فيستفيد مـنه الـزاهد ، فـا ا ، وعلـيكم بملاحظة سير السلف ، ومطالعة تصانيفهم ، وأخبارهم ، فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم " . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

٨ - التربية المستمرة :

من خلال تتبعنا لمراحل عمر الإنسان التي تم التحدث عنها في مواطن سابقة مـن هـذه الدراسـة ، نلاحـظ أن ابن الجوزي ركز على استمرارية التربية ، حيث يكتسب الإنسان في كل مرحلة من مراحل عمره علماً وذلك حتى وفاته .

كمـا ذكـر ابن الجوزي المراحل التي يمر بها العالم بشيء من الاختصار في كـتابه صيد الخاطر حيث قال : "وينبغي اغتنام التصنيف في وسط العمر ، لأن أوائل العمر زمن الطلب ، وآخره كلال الحواس . وربما خان الفهم والعقل من قدر عمره ، وإنمـا يكـون الـتقدير على العادات الغالبة لا انه لا يعلم الغيب فيكون زمان الطلب والحفـظ والتشاغل إلى الأربعين ، ثم يبتدئ بعد الأربعين بالتصانيف والتعليم هذا إذا كان قد بلغ ما يريد من الجمع والحفظ وأعين على تحصيل المطالب .

فأما إذا قلت الآلات عنده من الكتب ، أو كان في أول عمره ضعيف الطلب فلم يـنل مـا يريده في هذا الأوان ، أخرّ التصانيف إلى تمام خمسين سنة ، ثم ابتدأ بعد الخمسـين فـي التصـنيف والتعليم إلى رأس الستين ، ثم يزيد فيما بعد الستين في التعلـيم ويسمع الحديث والعلم ويقلل التصانيف إلى أن يقع مهم إلى رأس السبعين ، فـإذا جـاوز السبعين جعل الغالبة عليه ذكر الآخرة ، والتهيؤ للرحيل ، فيوفر نفسه على نفسه إلاّ من تعليم يحتسبه ، أو تصنيف يفتقر إليه ، فذلك أشرف العُدد للآخرة. ولتكـن همته في تنظيف نفسه ، وتهذيب خلاله ، والمبالغة في استدراك زلاته ، فإن اخـتطف مـن خلال ما ذكرنا فنية المؤمن خير من عمله . وإن بلغ إلى هذه المنازل

فقـد بينا ما يصلح لكل منزل ٠٠ فان تمت له الثمانون فليجعل همته كلها مصروفة إلى تنظيف خلاله ، وتهيئة زاده وليجعل الاستغفار حليفه ، والذكر أليفه ، وليدقق في محاسـبة الـنفس وفي بذل العلم ، أو مخالطة الخلق . فإن قرب الاستعراض للجيش يوجـب علـيه الحذر من العارض . وليبالغ في إبقاء أثره قبل رحيله،مثل بث علمه، وانفاق كتبه أو شيء من ماله " (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

٠٩ التعلم الذاتي :

ميز ابن الجوزي بين أسلوبين رئيسين من أساليب التعليم وهما :

- التعليم بالمشافهة .
- إعداد التصانيف .

وقـد سـبق الحديث عن كلا الأسلوبين سابقاً ، ولكننا نستطيع القول إن ابن الجوزي قصد بالتعليم بالمشافهة عندما يكون المعلم والمتعلم في مكان واحد ، حيث يلقي المعلم ما عنده من العلم فيسمعه المتعلم ويفهمه ، ويسأل إذا كان عنده سؤال . وهـذه الطـريقة السـائدة فـي التعلـيم في ذلك العصر . أما التعليم بواسطة إعداد التصانيف فقد أراد ابن الجوزي عدم التقيد بالزمان والمكان من جهة ، وجعل التعلم جهـداً ذاتياً يقوم به المتعلم وحده من جهة أُخرى وذلك برجوعه للتصانيف المختلفة عـبر الأزمـان المختلفة ، فالطالب هنا لا يعود لمعلم واحد ، أو معلم معاصر ولكن يمكنه العودة إلى معلمين كثر وفي أزمان مختلفة بما يعود عليه بالفائدة الكبيرة .

٠١٠ الاهتمام بالعقل وتدريبه ، والتركيز على العمليات العقلية :

عـند الحديـث عـن العقـل ، تعرضنا لأهمية العقل وفضله . حيث اهتم ابن الجوزي بالعقل وتدريبه ، وركز على وظائفه وعملياته التي يقوم بها .

وقـد أوضـح ابـن الجـوزي أن نمو العقل يتم عن طريق التعلم والتحصيل والتدريـب ، وقـد أوضـح ذلـك بقوله : "إن العقل ينمو بالتعلم والتحصيل والدربة والمـران، كالجارحة التي تكتسب المهارة من دوام العمل ، وذاك أن الجارحة إذا دام تعطلهـا عـن عملهـا الـذي هيئت له تعطلت وخمدت ، ولهذا تنقص أبصار النساخ والرفائيـن، وتحتـد أبصـار أهل البوادي لأنه لا حصاد لأبصارهم . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

أما عن الوظائف التي يقوم بها العقل فتتمثل في العمليات العقلية التالية :
- التفكير .
- النظر في عواقب الأحوال .
- والاستدلال بالشاهد على الغائب . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

وقد ركز على فضل العقل بتأمل العواقب قائلاً " فأما القليل من العقل فإنه يرى الحـال الحاضرة ، ولا ينظر إلى عاقبتها فإن اللص يرى أخذ المال وينسى قطع اليد، والبطال يرى لذة الراحة وينسى ما تجني من فوات العلم وكسب المال . فإذا كبر فسئل عـن علم لم يدر ، وإذا احتاج سأل فذل ، فقد أربى ما حصل له من التأسف على لذة الـبطالة . ثـم يفوته ثواب الآخرة بترك العمل في الدنيا ... فقس على هذه وانتبه للعواقـب ، ولا تؤثـر لذة تفوت خيراً كثيراً ، وصابر المشقة تحصـل ربحاً وافراً ". (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

كمـا مـيز ابن الجوزي بين العبادات التي يقوم بها الناس كونها عادات دون فهم لها، وبين التفكر في تلك العبادات ، والتوصل إلى نتائج ثمرة الفكر وإعمال الفكر "تأملـت علـى اكثر الناس عباداتهم فإذا هي عادات فأما أرباب اليقظة فعاداتهم عبادة حقيقـية. فـإن الغـافل يقـول سبحان الله عادة ، والمتيقظ لا يزال فكره في عجائب المخلوقات أو في عظمة الخالق ، فيحركه الفكر في ذلك فيقول : سبحان الله .

ولو أن إنساناً تفكر في رُمانة ، فنظر في تصفيف حبها وحفظه بالأغشية لئلا يتضاعل، وإقامة الماء على عظم العجم ، وجعل الغشاء عليه يحفظه ، وتصوير الفرخ فـي بطن البيضة ، والآدمي في حشا الأم ، إلى غير ذلك من المخلوقات ، أزعجه هذا الفكـر إلى تعظيم الخالق ، فقال : سبحان الله ، وكان هذا التسبيح ثمرة الفكر ، فهذا تسبيح المتيقظين .

ومـا تزال أفكارهم تجول فتقع عباداتهم بالتسبيحات محققة ، وكذلك يتفكرون في قبائح ذنوب قد تقدمت فيوجب ذلك الفكر وقلق القلب وندم النفس ، فيثمر ذلك أن يقول قائلهم : استغفر الله . فهذا هو التسبيح والاستغفار . فأما الغافلون فيقولون ذلك عادة وشتان بين الفريقين " . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

١١٠ العزلة والاختلاط :

أوضـح ابـن الجـوزي أن هـناك فريقيـن من الناس حول موضوع العزلة والمخالطة . ففريق يؤيد العزلة وآخر يؤيد المخالطة ، كما أورد حجج كل فريق .

أمـا عـن رأيـه الشخصي حول ذلك فقد ذكر فوائد العزلة ، ومن ثم تعرض لآفاتها وسنتعرض لكل منها فيما يلي :

فوائد العزلة :

أورد ابن الجوزي ست فوائد للعزلة وهي :

أ : التفرغ للعبادة ، حيث يتفرغ الشخص لمناجاة الخالق والذكر .

ب: التخاص من المعاصي التي قد يتعرض لها الإنسان عن طريق المخالطة وهي:

- الغيـبة ، وذلـك لأن الناس اعتادوا على استغابة الآخرين ، فإن وافقهم الشـخص وخالطهم في ذلك أثم ، وإن سكت أثم ، وإن أنكر ذلك أبغضوه واستغابوه .
- الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر . لأن الإنسان الساكت عن مشاهدة المـنكرات عـاص ، والمنكر لتلك المنكرات يعرض نفسه لأنواع من الضرر لذا فإن في العزلة سلامة .
- الرياء ، حيث يظهر الشخص خلاف ما يبطن من مشاعر الشوق، والمحبة وذلك عن طريق المخالطة .
- مسـارقة الطـبع من الأخلاق الرديئة ، وذلك بعد النفور من الفاسد نتيجة لمخالطة الفاسدين .

ج : الخلاص من الفتن والخصومات .

د : الخلاص من شر الناس .

هـ: الانقطاع عن طمع الناس عن الشخص وطمعه عن الناس .

أما بالنسبة للآفات التي تتميز بها العزلة فهي التي تعتبر من فوائد المخالطة فهي:

١. التعلم والتعليم :

أوضح ابن الجوزي أن على الشخص أن يتعلم ، فإذا تعلم الفرض وأراد الاشتغال بالعبادة ، فإنه يستطيع الاعتزال وإن كان قادراً على أن يكون بارزاً في علوم الشرع واعتزل قبل أن يتعلم فهو من الخاسرين . ولذا فانه يرى عدم عزلة الجاهل وإنما العزلة تتم بعد التعلم .

أما بالنسبة للتعليم ، فإن في التعليم ثواباً كبيراً إذا اقترن بصحة النية، وقد أورد رأيه في ذلك قائلاً : "... والغالب في هذا الزمان سوء القصد من المتعلمين فيقتضي الدين الاعتزال عنهم ، فإن صودف طالب ومتقرب بالتعلم إليه لم يجز الاعتزال عنه ولا يحل كتمان العلم ولا ينبغي أن يغتر بقوله من قال تعلمنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلاّ لله فانه أشار بهذه على علوم القرآن والحديث ومعرفة سير الأنبياء والصحابة وذلك يتضمن التخويف والتحذير وهو سبب لإثارة الخوف من الله سبحانه، فإن لم يؤثر في الحال اثر في المال فأما علم الكلام وعلم الخلاف فإنه لا يرد الراغب في الدنيا إلى الله تعالى بل لا يزال صاحبه متمادياً في حرصه إلى آخر عمره " (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ ب) .

مما تقدم يتضح أنه على المعلم أن لا يعتزل المتعلمين إذا كانوا خالصين النية ، وخاصة الذين يتجهون نحو العلوم الدينية كالقرآن والحديث .

٢. النفع والانتفاع ، أن ينتفع الشخص من الاخرين من أجل الكسب والمعاملة فالشخص المضطر لذلك عليه ترك العزلة . والشخص المقتنع الذي لا يحتاج للكسب فالعزلة أفضل بالنسبة له ، ولكن إذا أراد التصدق بما يجمعه ، فالتصدق أفضل من العزلة فالشخص الذي يستطيع نفع الآخرين بماله أو بدنه فالمخالطة أفضل له من العزلة .

٣. التأديب والتأدب ، ويقصد به رياضة النفس عن طريق مخالطة الناس والمجاهدة في تحمل آذاهم ، والعمل على كسر النفس وقهر الشهوة ، مما يؤدي إلى تهذيب الأخلاق، فالمخالطة أفضل في هذه الحالة من العزلة وكذلك التأديب بأن يسعى الإنسان إلى تهذيب غيره عن طريق العلم .

٤٠ الاستئناس والإيناس ، كالاستئناس بأهل التقوى مما يؤدي إلى الترويح عن النفس ، ولكن في إطار مرضاة ا عز وجل .

٥٠ نـيل الثواب وإنالته ، ويتم نيل الثواب عن طريق عيادة المرضى ، وحضور الجنائز، والدعوات لما لذلك من إدخال السرور على قلب المؤمن . وأما إنالة الثواب فهي أن يفتح الشخص بابه للناس ليهنوه أو يعودوه ، وبذلك فإنهم ينالون ثواباً .

٦٠ التواضـع ، لأن الكـبر قد يقود الإنسان إلى اختيار العزلة فالعزلة بهذه الحالة جهل، وذلك لأن التواضع لا يحط من منصب الكبير . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ب).

وبعـد ذكر آفات ومحاسن العزلة يدلي ابن الجوزي برأيه حولها قائلاً : "فإذا عرفـت العزلة وغوائلها وتحققت أن الحكم عليها مطلقٌ بالتفضيل نفياً وإثباتاً خطأ بل ينبغـي أن يـنظر إلـى الشـخص وحالـه ، وإلى الخليط وحاله ، وإلى الباعث على مخالطته، وعلى الفائت بسبب مخالطته من الفوائد ويقاس الفائت بالحاصل ، فعند ذلك يتبين الحق ويتضح الأفضل " . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ب) .

مـن هـنا يمكـن القول أن ابن الجوزي لا يؤيد العزلة المطلقة أو المخالطة المطلقة بل أن العزلة والمخالطة محكومة بضوابط معينة وشروط معينة وتحت ظروف معينة .

فـتحدث عن العزلة النافعة قائلاً " ما أعرف نفعاً كالعزلة عن الخلق خصوصاً للعالم وللزاهد ، فإنك لا تكاد ترى إلاّ شامتاً بنكبة أو حسوداً على نعمة ، أو من يأخذ عليك غلطاتك . فيا للعزلة ما ألذها ، سلمت من كدر الغيبة ، وآفات التصنع ، وأحوال المداجـاة، وتضـييع الوقـت ، ثـم خلا فيها القلب بالذكر ، بعدما كان مشغولاً عنه بالمخالطة ، فدبر أمر دنياه وآخرته " . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

ثـم يعـود ويركز على الفئة التي تستطيع تطبيق العزلة فيقول : "ثم لا عزلة علـى الحقـيقـة إلاّ للعـالم والزاهد فإنهما يعلمان مقصود العزلة" . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

أمـا العالم فيستطيع أن يستغل عزلته بالاستئناس بالعلم ، والنظر في الكتب ، وسـير السـلف ، والـتفكر في الحوادث السابقة، مما يقوده إلى المعرفة الكاملة سبحانه وتعالى ، والتمسك بمحبته .

أما الزاهد ، فيستأنس بالعبادة ، ويكون معبوده جليسه ، ويبتعد عن المخالطة ، لأن المخالطة تقود إلى الرياء ، والنفاق ، والتصنع . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

ثـم يعـود ويركـز على عدم مخالطة العالم للعلماء ، وخصوصاً أرباب المال والسـلاطين، موضـحاً أن العـالم من الأشخاص التي تضرهم المخالطة ولا تنفعهم . وذلك لأن الشخص يتأثر نتيجة المخالطة "الطبع يسرق من المخالطة" .

ويـرى ابن الجوزي أن المخالطة تتم من قبل الأدنى للأرفع علماً وعملاً لتتم الاسـتفادة. أمـا مخالطة الشخص لمن هو أدنى منه علماً وعملاً فإنها تؤذي ، ولكنه يسمح للعالم بمخالطة من هو أدنى منه بقصد التعليم ، ولكن عليه أن يكون محترزاً . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

وقـد حـذر مـن مخالطة العوام بقوله :"وفي هذا الزمان إن وقعت المخالطة للعـوام عكرت الفؤاد ، فهم ظلمة مستحكمة" فإذا ابتلى العالم بمخالطتهم فليشر ثياب الحذر، ولتكن مجالسته إياهم للتذكرة والتأديب فحسب " (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

كما حذر من مخالطة العلماء للأسباب التالية :

١. أن أكثر العلماء يكون مقصودهم العلم لا العمل فلا تتم مذاكرة العلم من أجل الآخرة .
٢. يكون مقصد العلماء الغيبة والأمور الدنيوية .
٣. يتصف هؤلاء العلماء بالحسد لنظرائهم .

أمـا بالنسـبة للأمـراء فقد حذر من مخالطتهم ، وذلك لأن مخالطة العالم للأمراء تقوده إلى فساد في دينه . وذلك لأن الأمراء إذا ولّوا العالم ولاية دنيوية ، فسوف يظلمون وسـيغلبون العـادة علـى الشـرع . " أما إذا كانت الولاية دينية كالقضاء ، فإن الأمراء يأمرونه ببعض الأشياء التي لا يستطيع العالم مراجعتهم فيها ، وإن راجعهم لا يقبلون ذلك. وكذلك فان العالم يخاف على منصبه فيفعل ما يؤمر" . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ).

ثـم يعـود مركـزاً على أهمية عزلة العالم قائلاً " فليس في الدنيا أطيب عيشاً من منـفرد عـن العـالم بالعلم . فهو أنيسه وجليسه ، قد قنع بما سلم به دينه من المباحات الحاصـلة ، لا عن تكلف ولا تضييع دين ، وارتدى بالعز عن الذل للدنيا وأهلها . والتحف بالقـناعة باليسير، إذا لم يقدر على الكثير فوجدته يسلم دينه ودنياه ، واشتغاله بالعلم يدله على الفضائل ، ويفرجه في البساتين ، فهو يسلم من الشيطان والسلطان والعوام بالعزلة ، ولكـن لا يصـلح هذا إلاّ للعالم ، فإنه إذا اعتزل الجاهل فاته العلم فتخبط " (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

١٢- الربط من الحفظ والفهم :

أولـى ابن الجوزي أهمية بالغة للحفظ ، وقد تعرضنا لذلك سابقاً ، وقد أولى كذلـك عـناية فائقـة للمادة المحفوظة حيث طلب من الشخص الذي يحفظ شيئاً أن يفهمـه حـتى يتسنى له العمل به . فالغاية من الحفظ والمعرفة العمل ولن يستطيع الإنسان العمل دون فهم لما علم .

وقـد أوضح ابن الجوزي بقوله " ... ولو تفكروا* لعلموا أن المراد حفظ القـرآن وتقويم ألفاظه ثم فهمه ثم العمل به ثم الإقبال على ما يصلح النفس ويطهر أخلاقها ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع . ومن الغبن الفاحش تضييع الزمان فيما غيره الأهم" . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ ج) .

كمـا أوضح ابن الجوزي أهمية الفهم في قوله : "مدار الأمر كله على العقل ، فإنـه إذا تم العقل لم يعمل صاحبه إلاّ على أقوى دليل . وثمرة العقل فهم الخطاب ، وتلمـح المقصود من الأمر . ومن فهم المقصود وعمل على الدليل كان كالباني على أساس وثيق . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

١٣- الدعوة إلى علو الهمة .

ربـط ابـن الجـوزي بيـن علو الهمة عند الشخص وكمال عقله كما وصف الشـخص الذي يرضى بالدون بالدنيء . مستشهداً بقول الشاعر "ولم ارَ في عيوب الناس عيباً كنقص القادرين على التمام " (ابن الجوزي ٢٠٠٤ أ) .

* أي القراء .

ثالثاً : وسائط التربية عند ابن الجوزي :

أ : دور الأسرة في تربية الطفل :

يعتـبر ابـن الجوزي الطفل أمانه عند والديه . كما يعتبر قلب الطفل جوهرة ساذجة، قابلة لكل نقش ، فإن عوّده والده ومؤدبه على الخير ، نشأ عليه واشتركوا معه في الثواب. وإن عوّدوه الشر نشأ عليه ، حيث يؤثم وليه .

فما هو دور ولي الطفل في تربيته ؟

١. أن يحميه .
٢. أن يؤدبه ويهذبه ويعلمه الأخلاق الحسنة .
٣. أن يحفظه من رفاق السوء .
٤. أن لا يعوده على التنعم وحب الرفاهية لأنه إذا تعود على ذلك أضاع عمره في طلب تلك النعومة .
٥. أن يراقـبه فـي بدايـة عمره . فيجب عليه أن يختار له مرضعة وحاضنة صالحة متدينة تأكل الحلال ، لأن اللبن الناتج من الحرام لا توجد فيه بركة .
٦. أن يسـتعين على تأديبه بحيائه ، حيث أول ما يدل على تمييز الطفل حيائه ، وهذا الحياء علامة لنجابة الطفل ، واشارة تبشر بكمال عقله عند البلوغ .
٧. مـنعه مـن أخـذ أي شـيء من صبي مثله ، وتعليم الطفل أن الأخذ دناءه ، وأن الإعطاء فيه رفعة .
٨. يجب أن لا يحبب إليه حب الذهب والفضة .
٩. يجب تعويده بعض العادات فمثلاً في المجالس :
   - أن لا يبصق في مجلسه .
   - عدم الامتخاط .
   - عدم التثاؤب في حضرة غيره .
   - أن لا يضع رجلاً على رجل .
   - أن لا يكثر من الكلام .
   - أن لا يتكلم إلاّ جواباً .
   - أن يحسن الاستماع لمن هو أكبر منه .
   - أن يقوم لمن هو فوقه ويجلس بين يديه .

- أن لا يقول فحش الكلام .
- أن يحفظ من قرناء السوء .

١٠ إذا خرج الطفل من المكتب فله أن يلعب ليستريح من عناء التأديب .

١١ عليه أن يتعلم طاعة والديه ومعلمه وتعظيمهم .

١٢ إذا بلغ سبع سنوات أُمر بالصلاة ، ولا يتم التسامح بعدم الطهارة ليتعود على ذلك، وكذلك يخوف من الكذب والخيانة .

١٣ إذا قارب البلوغ ألقيت إليه الأمور التالية:

- يعرف أن الطعام مجرد تقوية للبدن وهو عبارة عن أدوية تعين على طاعة .
- أن الدنيا زائلة .
- أن الموت قريب .
- التزود للآخرة .

١٤ يجـب علـى وليه تعليمه آداب الأكل ، وذلك لأن أول صفة تغلب على الطفل شره الطعام .

١٥ أن يحبـب للطفـل اللـون الأبيض من الثياب دون الألوان الأخرى ، وأن يعلم أن الملابس الملونة للنساء والمخنثين .

١٦ منعه من الاختلاط بالصبيان المنعمين .

١٧ أن يتم إشغاله في المكتب حيث يتعلم القراءة وأحاديث الأخبار وذلك لكي يغرس فيه حب الصالحين .

١٨ أن لا يحفظ الأشعار التي فيها ذكر العشق .

١٩ ينبغي مكافأة الصبي إذا فعل فعلاً محموداً ، أو ظهر منه خلق جميل . كما يجب أن يُمدح على ذلك .

٢٠ إذا خالف الصبي في بعض الأحوال يجب أن يتغافل عنه ومن ثم مكاشفته في ذلك ، فـإن عاد إلى ذلك يجب أن تتم معاتبته سراً ، وأن لا تكون المعاتبة كثيرة حتى لا يهون عليه سماع الملامة وأن يبقى حافظاً .

٢١ ينبغي للأم تخويف الطفل بالأب .

٢٢ ينبغي منع الطفل من النوم نهاراً لأن ذلك يسبب الكسل ولا يمنع منه ليلاً .

٢٣ يمنع من الفرش الوطيئة ، ليتعود خشونة المفرش والملبس والمطعم .

٢٤ يجب تعويده على المشي والحركة والرياضة وذلك حتى لا يغلب عليه الكسل.

٢٥ يجب أن يكـون متواضعاً بين رفاقه. وأن لا يتفاخر. (ابن الجوزي، ٢٠٠٤ب) *.

ب : دور صحبة الرفاق :

استشـهد ابـن الجوزي بقول النبي صلى الله عليه وسلم : "المرء على دين خلـيله ، فليـنظر أحدكـم مـن يخالل " ** ، حيث يرى أنه ليس كل شخص يصلح للمصـاحبة بـل لا بـد أن تـتوافر في الشخص صفات يرغب بسببها في صحبته ، ويشترط في تلك الصفات فوائد مطلوبة ، وهي إما فوائد دنيوية وإما أخروية .

فأمـا الدنيوية : كالانتفاع بالمال أو الجاه أو الاستئناس عن طريق المشاهدة والحوار.

وأمـا الأخـروية : كالاستفادة في العلم والعمل ، " ومنها الاستفادة من الجاه تحصيناً عن إيذاء من يكدر القلب ويصد عن العبادة ، ومنها استفادة المال للاستغناء به عن تضييع الأوقات في طلب القوت ، ومنها الاستعانة في المهمات فتكون عدة في المصـائب وقـوة فـي الأحوال ، ومنها انتظار الشفاعة في الآخرة ، كما قال بعض السـلف اسـتكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطاً لا تحصل إلاّ بها" (ابن الجوزي، ٢٠٠٤ ب) .

صفات الصاحب :

- أن يكـون عـاقلاً ، حسن الأخلاق ، غير فاسق ، بعيداً عن البدع غير حريص على الدنيا .

- فأما العقل فقد اعتبره ابن الجوزي رأس المال ، فالعاقل في رأيه هو الذي يفهم الأمور على ما هي عليه ، أو إذا قام غيره بتفهيمه ذلك فإنه يفهم ، أما الأحمق فحذر من صحبته وذلك لأنه إذا أراد النفع يضر .

- أما بالنسبة لحسن الخلق ، فإن حسن الخلق يبعد الإنسان عن الغضب أو الشهوة فهو بذلك لا يطيع بهواه .

* انظر أيضاً : ابن الجوزي ، الطب الروحاني ص ٤٦ .
** رواه أبو داود برقم (٤٨٣٣) والترمذي برقم (٢٣٧٨) ، وحسنه الالباني في صحيح الجامع برقم (٣٥٤٥) .

- وأمـا الفاسـق لا تؤمـن صحبته ولا يثق به لأنه لا يخاف ا . وأما المبتدع فيخاف من صحبته وذلك بتأثير بدعته على الأصحاب .

حقوق الصاحب :

الحق الأول : علـى الصـاحب أن يقـوم بقضاء الحاجات ، وتتفاوت الدرجات في ذلك . فـأدنى درجـات قضـاء الحاجات أن يقوم الشخص بالحاجة عند السؤال والقـدرة مصـحوبة بالاستبشار والبشاشة . وأوسط الدرجات : أن يقوم الشـخص بالحاجة دون أن يسأله أحد . أما أعلى درجات قضاء الحاجة : هو أن يؤثر الشخص حوائج غيره على حوائجه .

الحق الثاني : ويـتعلق هذا الحق باللسان ، حيث عليه السكوت في مواطن ، والنطق في مواطـن أخرى ، فأما الأوضاع التي عليه السكوت فيها فتتمثل في الحالات التالية : السكوت عن ذكر عيوب الصديق في حضوره وغيابه ، والسكوت عـن الـرد علـيه ومجاراته ومناقشته ، والسكوت عن السؤال عما يكره ظهـوره، وعدم السؤال عن وراده لأنه ربما كره الحديث عن ذلك ، وكتمان سـره حتى بعد القطيعة ، وعدم القدح في أحبابه وأهله وعدم تبليغه قدح غـيره فـيه ، والسـكوت عن ما يكره إلاّ في حالات يجب فيها النهي عن المـنكر والأمـر بالمعروف ، وعدم الظن بالصديق وحسن الظن فيه . قال علـيه الصلاة والسلام : "إياكم والظن، فان الظن أكذب الحديث" * ، وستر عـيوب ا لصـديق والتغافل عنها وخصوصاً إذا كان هذا الصديق صاحب دين، ومحبة الأخ لأخيه ما يحب لنفسه ، وعدم إظهار العيوب لأن إظهارها يكون نتيجة لوجود الحقد والحسد .

الحق الثالث : ويختص باللسان ، حيث يدور حول الأمور التي يجب على اللسان ذكرها ، كـالقول بمـا يحب الصديق والتودد له . قال عليه الصلاة والسلام " وإذا احـب أحدكم أخاه فليعلمه" ** ، ودعوته بأحب الأسماء إليه ، والثناء عليه بما يعرف عنه من طيب الصفات كالثناء على أولاده وأهله وأفعاله وأخلاقه وعقلـه ، وهيأته وكتبه من دون إسراف أو كذب ، وتبليغه بثناء الاخرين علـيه ، وشـكره إن قدم لأخيه معروفاً ، والدفاع عنه في غيابه ، قـال

* أخرجه البخاري برقم (٥١٤٣) ، ومسلم برقم (٢٥٦٣) .

** رواه أبو داود برقم (٥١٢٤) .

عليه السلام "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه" *** ، وتقديم التعليم له ، وتقديم النصيحة له سراً حتى لا تعتبر توبيخاً ، و العفو عن زلاته .

الحق الرابع : الدعاء للأخ في حياته وبعد موته بما يدعو به المرء لنفسه .

الحـق الخامس : الوفاء والإخلاص وقد عرف ابن الجوزي الوفاء بـ "الثبات على الحب إلـى المـوت وبعـد موت الأخ مع أولاده وأصدقائه" ، ومن الوفاء أيضاً التواضـع للصـديق وعدم الاعتداء عليه مهما ارتفع شأنه ، ومن الوفاء أيضـاً مخالفة الصديق فيما يخالف الدين ، ومن الوفاء أيضاً عدم السماح للآخرين بالقول على صديقه ، وعدم مصادقة عدو صديقه .

الحـق السادس : التخفيف والابتعاد عن التكليف ومعنى هذا أن لا يكلف المرء أخاه بما لا يطيق ، وعليه أن لا يستمد من جاهه أو ماله ، ويكون القصد من صداقته محبـته في ا والتبـرك بدعائـه والاستئناس بلقائه وإعانته في دينه . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ب).

ج : دور المعلـم في حياة طالب العلم وسيتم الحديث عن دور المعلم في تربية طالب العلم في الفصل الخامس .

*** أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) ومسلم برقم (٢٥٨٠) .

الفصل الخامس

موقف ابن الجوزي من العلم والعلماء والمتعلمين ونظرته النقدية لعلماء عصره وفئات مجتمعه

تحاول الباحثة في هذا الفصل الإجابة عن الأسئلة التالية :

- ما موقف ابن الجوزي من العلم والعلماء والمتعلمين ؟
- مـا اوجـه الـنقد التي وجهها ابن الجوزي إلى العلماء والفئات الأخرى من مجتمعه ؟

قيمة العلم والعلماء :

أولـى ابـن الجـوزي العلم والعلماء قيمة كبيرة استمدها من الكتاب والسنة . فقد استشـهد ابن الجوزي بقوله تعالى : "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (سورة الزمـر : آية ٩) ، وقوله تعالى : "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (سورة المجادلة : آية (١١).

كما استشهد بقول الرسول الكريم صلى ا عليه وسلم : "إن ا وملائكته وأهـل السـماوات والأرض حـتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير" *. وقوله عليه الصلاة والسلام " إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع" **(ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ب) .

كمـا أوضـح ابن الجوزي أن طلب العلم فريضة على كل مسلم مستشهداً بقـول الرسـول صلى ا عليه وسلم "طلب العلم فريضة على كل مسلم" ***.(ابن الجوزي ٢٠٠٤ب).

وقـد أوضـح ابن الجوزي أن ا تعالى لا يقبل عملاً بلا علم . مستشهداً بقـولـه تعـالى "إنما تخشى الله من عباده العلماء" (سورة فاطر : آية ٢٨) . موضحاً بأن العلماء يخشون ا ويتقون لأنهم يعلمون ، والذي لا يعلم لا يتقي .

ويرى ابن الجوزي أن العلم يقود الإنسان إلى معرفة ا سبحانه وتعالى ، ومـن ثـم يحثه على عبادته وقد أوضح ذلك بقوله : "إن العلم دلني على معرفة المعبود ، وحثني على خدمته" . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

* رواه الترمذي برقم (٢٦٨٥) ، وصححه الالباني في صحيح الجامع برقم ٤٢١٣ .

** رواه الترمذي برقم (٣٥٣٥) ، وابن ماجه برقم (٢٢٣) .

*** رواه ابن ماجه برقم (٢٢٤) .

ويعتبر ابن الجوزي العلم أشرف ما في الوجود ، لأنه يعتبره الدليل ، وإنعدام العلم يوقع الإنسان في الضلال . ويوضح أن إبليس يزين للإنسان التعبد ليشغله عن أفضل التعبد وهـو العلـم ويقول في ذلك "فاحذر من هذه الخديعة الخفية ، فإن العلم هو الأصل الأعظم والنور الأكبر ، وربما كان تقليب الأوراق أفضل من الصوم والصلاة ، والحج والغزو" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤أ) .

الغاية من طلب العلم :

يـرى ابـن الجوزي أن الغاية من طلب العلم معرفة الخالق عز وجل والتقرب منه وطاعته ولا يتم ذلك إلاّ من خلال العلم والعمل (ابن الجوزي ، ١٩٨٣) .

وقـد قال في ذلك "إن العلم دلني على معرفة المعبود ، وحثني على خدمته" . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

وهناك العديد من الأهداف التربوية المنبثقة عن الغاية الكبرى منها :

١. التوصـل إلى أن الدنيا عبارة عن معبر للإنسان وقد قال ابن الجوزي في ذلك : "ثم يعلـم أن الدنيا معبره فليتلفت إلى فهم معاملة الله عز وجل ، فان مجموع ما حصله مـن العلم يدله عليه . فإذا تعرض لتحقيق معرفته ووقف على باب معاملته فقلّ أن يقف صادقاً إلاّ ويجذب إلى مقام الولاية، ومن أريد وفق". (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ).

٢. الـنظر في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته والاقتداء بآدابهم ، وفهم المنقول عنهم . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

٣. الامتثال لأمر الله تعالى والتقرب إليه بطاعته (ابن الجوزي ، ١٩٨٣) .

ومـن هـنا يمكن القول بأن الغاية من طلب العلم هي معرفة الله والامتثال لأوامره والابتعاد عن مناهيه ، وطاعة الله من خلال العلم والعمل .

فـالهدف الأساسـي من العلم هو هدف ديني ، وخلقي حيث يقود الإنسان بالاقتداء بأخلاق الرسول والصحابة ، إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم .

ترتيب العلوم التي على المتعلم تعلمها :

١. البدء بدراسة القرآن وحفظه ، حيث يكون المتعلم قادراً على التفسير ، وأن يقرأ القراءات السبع إن استطاع ذلك ، كما عليه تعلم النحو واللغة .

٢. تعلم أصول الحديث من حيث النقل كالصحاح والمسانيد والسنن ، ومن حيث علم الحديث كمعرفة الضعفاء والأسماء والعودة إلى الأصول لمعرفة ذلك .

٣. النظر في التواريخ بهدف معرفة الأمور التي لا يمكن الاستغناء عنها كنسب الرسول صلى ا عليه وسلم وأقاربه وأزواجه .

٤. تعلم الفقه ، والاهتمام بالمذاهب والمسائل الخلافيه ، والاهتمام بأصول الفقه والفرائض ، وقد ركز ابن الجوزي على الفقه واعتبره مدار العلوم . ودعا إلى التوسع في دراسة الفقه لاعتباره العلم الأنفع ، وطلب أن يقضي الطالب وقتاً في ذلك للاستزادة من العلم . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

أقسام العلوم :

قسم ابن الجوزي العلوم إلى قسمين :

أ : العلوم المحمودة :

وتقسم العلوم المحمودة في نظر ابن الجوزي إلى قسمين :

١. : محمود إلى أقصى غاياته ، وهو العلم با وبصفاته وأفعاله وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا ، وهذا العلم مطلوب لذاته للتوصل به إلى سعادة الآخرة ، وتضم العلوم المحمودة العلوم الشرعية ، وتقسم العلوم الشرعية إلى الأقسام التالية:

أ : الأصول : الكتاب والسنة والإجماع ، وآثار الصحابة .

ب: الفروع : ما فهم من هذه الأصول من معان تنبهت لها العقول حتى فهم من اللفظ الملفوظ وغيره .

ج: المقدمات : وهي التي تكون بمنزلة الآلات كعلم النحو واللغة .

د: المـتممات : كعلـم القراءات ومخارج الحروف ، وأسماء رجال الحديث وعدالتهم وأحوالهم .

٢. العلـوم التي لا يحمد منها إلاّ مقدار مخصوص وهي كفروض الكفايات ، والأولى للشـخص أن ينشـغل بنفسـه أولاً ويصلح باطنه ويطهره من الصفات الذميمة كالحـرص والحسـد والـرياء ، ومن ثم يشتغل بفروض الكفايات (ابن الجوزي ٢٠٠٤ ب) .

ب : العلوم المذمومة : كعلم السحر والطلسمات والتلبيسات .

المعلم في فكر ابن الجوزي :

وظائف المعلم

يرى ابن الجوزي أنه على المعلم القيام بالوظائف التالية :

١. الشفقة على المتعلمين وان يعاملهم كأبنائه .
٢. أن لا يطلـب أجـراً مقـابل تعليمه . كما لا يطلب شكراً أو زاداً بل يجعل عمله ابتغاء مرضاة ا عز وجل .
٣. أن لا يتمنـن علـى المتعلميـن ، بل عليه أن يرى بأن المتعلمين هم أصحاب الفضل وذلك لأنهم هيأوا قلوبهم للتقرب بزراعة العلم فيها .
٤. عدم قبول الهدايا حيث قال "وقد كان السلف يمتنعون عن قبول هدية المتعلم" .
٥. أن يكون ناصحاً للمتعلم .
٦. أن يقوم بزجره عن سوء الأخلاق مستخدماً طريق التعريض مبتعداً عن التوبيخ ما أمكن ، لأن التوبيخ يمزق حجاب الهيبة .
٧. أن يعلم المتعلم حسب قدرته ، فلا يعلمه ما لا يستطيع إدراكه وفهمه .

٨. أن يعمـل المعلـم بعلمه ، أي أن يكون قدوة لتلاميذه بحيث يطبق الأمور التي يعلمهـا لـتلامذته ويطلـب مـنهم تطبيقها . وقد استشهد ابن الجوزي بقوله تعـالـى : "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب" (سورة البقره : آية ٤٤) . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ ب) .

أقسام العلماء :

وقد قسم ابن الجوزي العلماء إلى نوعين :

- علماء السوء .
- علماء الآخرة .

أما علماء السوء فيتميزون بالصفات التالية :

١. يقصدون من العلم الاستمتاع بالدنيا والتوصل إلى مكانة رفيعة عند اهلها . وقـد استشهد بقوله صلى الله عليه وسلم " من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله عـز وجـل لا يـتعلمه إلاّ ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة " *. وقوله في حديث آخر "من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السـفهاء أو يصـرف به وجوه الناس إليه فهو في النار" ** . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ ب) .
٢. يتصفون بالتحاسد الناشيء عن حب الدنيا .
٣. يتطلعون إلى الرياسة والصداره (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .
٤. يحبون كثرة الجمع والثناء .

أما علماء الآخرة :

١. مـن صفات العالم أن يفعل الأوامر ويبتعد عن النواهي وأن لا يكون زاهداً ، وأن لا يعرض عن المباحات .
٢. إيثار الآخرة على الدنيا وذلك عن طريق الإيمان بحقارة الدنيا وشرف الآخرة .
٣. يتطابق علمهم وقولهم وفعلهم .
٤. يميلون للعلوم النافعة لهم في آخرتهم ويبتعدون من العلوم قليلة النفع .

* رواه أبو داود برقم (٣٦٦٤) .
** رواه الترمذي برقم (٢٦٥٤) .

٥. ينقبضـون عن السلاطين ، ويتحرزون من مخالطتهم ، ويستشهد ابن الجوزي بقول حذيفـه رضـي ا عنه :" إياكم ومواقف الفتن ، قيل وما هي ؟ قال أبواب الأمراء يدخل أحدهم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه" .

٦. عـدم التسـرع فـي الإفتاء ، وأن لا يقوموا بالإفتاء إلاّ بعد التأكد من إتقانهم لذلك وصحة إفتائهم .

٧. البحث فيما يفسد الأعمال ، لكي يقومون باتقاء ذلك .

٨. البحـث فـي أسرار الأعمال الشرعية والملاحظة لحكمها وإذا عجز عن معرفة العلة عليه التسليم للشرع .

٩. اتباعهم للصحابة وخيار التابعين .

١٠. التوقي في الأمور المحدثة .

١١. علمـاء الآخرة يتوادون ولا يتحاسدون كما قال عز وجل : "ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا" (الحشر : ٩) ، وقال تعالى: "الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ للذين آمنوا". (سورة الحشر : الآية١٠).

١٢. لا يحبون الجمع والثناء ولا يسعون للرئاسة .

١٣. يدعو بعضهم لبعض ، ويستفيد كل منهم من الآخر . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ).

آداب العالم :

ويذكر ابن الجوزي الآداب التالية التي على العالم أن يتحلى بها :

- عدم الخروج مكشوف الرأس .
- عدم الأكل أمام الطلبة .

وقد قال ابن الجوزي في ذلك " لو خرج العالم إلى الناس مكشوف الرأس أو في يده كسرة يأكلها قل عندهم وإن كان مباحاً " (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

- أن يغتسـل ويتطيـب قبل الحضور إلى الدرس ، حيث قال ابن الجوزي :" وقد كان مالك بن انس يغتسل ويتطيب ويقعد للحديث" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

- الابتعاد عن المناظرة التي تهدف إلى المباهاة والمغايبة والإعجاب بالنفس ، والاحتقار للمقصرين ، وكذلك المناظرة لا تسلم من الرياء ، حيث يكون هدف المناظر علم الناس بغلبته ، والمناظر يقضي عمره في دراسة العلوم التي تعينه على المناظرة وهذه العلوم لا تفيده في الآخرة ، كحسن اللفظ وحفظ النوادر . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ ب) .
- على العالم أن يترك فضول الدنيا ويكون بذلك قدوة للآخرين وذلك لأن "الاستدلال بالفعل أقوى من الاستدلال بالقول ، فإن الطبيب إذا أمر الحمية ثم خلّط لم يُلتفت إلى قوله" .
- على العالم أن لا يكون هدفه من التعلم المباهاة . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ ب) .

أهمية التصنيف وأوقاته والمراحل التي يمر بها العالم :

يرى ابن الجوزي أن العالم الذي يقّدم تصانيف انفع من العالم الذي يعلّم بالمشافهة، وذلك لأن العالم الذي يضع التصانيف يقرأ تصانيفه عدد كبير من المتعلمين في عصره وفي العصور اللاحقة بينما العالم الذي يعلم بالمشافهة لا ينفع إلاّ من يسمع منه . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

أما عن السن المناسب للتصانيف فإن العالم يمر بعدة مراحل :

١. المرحلة الأولى وهي مرحلة أوائل العمر ، وتتميز هذه المرحلة بكونها زمن الطلب للعلم ، وهي حتى سن الأربعين .
٢. المرحلة الثانية وهي وسط العمر ، وفي هذه المرحلة يجب أن يتم اغتنام التصنيف ، وتبدأ بعد سن الأربعين حيث يُبتدأ بعد الأربعين بالتصنيف والتعليم.
٣. المرحلة الثالثة مرحلة آخر العمر وفي هذه المرحلة تتعب الحواس وتكل ، كما يتأثر الفهم والعقل .

أما إذا كان طالب العلم في أول عمره ضعيف الطلب للعلم فعليه تأجيل التصانيف إلى أن يتم الخمسين ، حيث يبتدئ بعد الخمسين في التصنيف والتعليم إلى رأس الستين ويستمر بين الستين والسبعين في التعليم وسماع الحديث ، والعلم وجمع التصانيف .

وإذا تجاوز السبعين فعليه تذكر الآخرة والتهيؤ للرحيل عن هذه الدنيا ، إلاّ إذا كان هـناك حاجـة إلى علم أو تصنيف فعليه إعداده ، وعليه في هذه المرحلة أن يكون نظيف النفس حسن الخلق ، مستدركاً لأخطائه .

أمـا إذا وصل إلى الثمانين فيجب أن ينشغل بتهذيب صفاته ، وتهيئة نفسه للانتقال للـدار الآخـرة بكثرة الاستغفار ، والتدقيق في محاسبة نفسه وفي بذل العلم وإنفاق بعض ماله ، وبث علمه . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

المتعلم في فكر ابن الجوزي :

أنواع الطلبة :

قسم ابن الجوزي الطلبة إلى أنواع عديدة تتمثل بما يلي :

- الصبيان الذين يقضون مدة طويلة في المكتب ، ويخرجون دون أن يفهموا شيئاً .
- الصبيان الذين تجتمع فيهم الصفات التالية :
  - بعد الذهن .
  - قلة الفهم .
  - عدم التعلم .
  - أذى الصبيان حيث يقوم هؤلاء بأذى الصبية الاخرين ، ويسرقون مطاعمهم وهؤلاء أهل الشر والمؤذيين .
- الصـبيان الذيـن يعـرفون بعض الخط ، ولكن لديهم ضعف في الاستخراج ، فهم رديـئو الكـتابة ، لا يعرفون في الحساب إلاّ ما يعلق به حساب معاملاتهم وهؤلاء مثل الذين يفهمون بعض الشيء ولكن فاتتهم الفضائل التامة .
- مـن الصبية من يتميز بجودة الخط ولكنه لم يتعلم الحساب ، ويتقن الأدب حفظاً ، ولكـنه لا يسـتطيع تأديـب نفسه ، وهذا النوع من الصبية يصلح لأن يكون كاتباً للسـلطان رغـم المخاطـرة في ذلك ، وذلك لأن هذا النوع يتميز بسوء باطنه من الشره وقلة التأدب .

- ومن الصبيان من امتاز بسمو الهمة إلى المعالي الكاملة ، وهذا النوع من الصبية تتمثل فيه الصفات التالية :

١. يكون الطالب مقدم الصبيان في المكتب.

٢. نائب عن معلمهم .

٣. يرتفع عن زملائه بعزة نفسه ، وأدب باطنه ، وكمال الآداب الظاهرة .

٤. يحـث نفسه على تعجيل التعلم ، وتحصيل كل فضيلة لعلمه وذلك لأنه يرى أن المكتب لا يراد نفسه ولكن لأخذ الأدب منه .

٥. إسـتغلال الوقت للانتقال إلى حالة الرجولة ومبادرة الزمان لنيل الفضيلة (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

مما تقدم تلاحظ الباحثة أن ابن الجوزي ركز على الفروق الفردية بين الطلبة.

آداب طالب العلم :

ينبغي لطالب العلم مراعاة الأمور التالية :

- تصحيح قصده ، إذ إن الإخلاص يقود إلى قبول الأعمال .
- الاجـتهاد فـي مجالسة العلماء ، ودراسة الأقوال المختلفة والنظر فيها ، ودراسة الكتب وتحصيلها ، وذلك لأن الكتب لا تخلو من الفائدة .
- أن يركز على الحفظ ، وأن لا يكتب إلاّ وقت التعب من الحفظ .
- الحذر من صحبة السلطان .
- النظر في منهاج الرسول صلى ا   عليه وسلم والصحابة والتابعين .
- الاجتهاد في رياضة النفس .
- العمل بالعلم .

وذكر في كتابه مختصر منهاج القاصدين الآداب التالية التي يجب أن تتوفر في المتعلم وهي كما يلي :

١. تقديـم طهـارة النفس عن الرذائل الخلقية ، وعن الصفات المذمومة حيث اعتبر العلم عبادة للقلب .

٢. إيـثار العلم على كل شيء ، وكان يستشهد بقصص السلف في ذلك ، حيث اخبرنا مثلاً أن الإمام أحمد لم يتزوج إلاّ بعد الأربعين .

٣. أن يلقي المتعلم نفسه إلى معلمه إلقاء المريض إلى الطبيب حيث :

- يتواضع له .
- يبالغ في خدمته .
- عـدم تكـبر المـتعلم وأن يأخذ الحكمة أنى وجدها وأن لا يقتصر طلب الحكمة من المتصفين بالتقدم .
- أن يـترك رأيه ويأخذ برأي معلمه فإن خطأ المعلم في نظر ابن الجـوزي أنفـع للمتعلـم مـن صـواب نفسـه . (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ب).
- استشـهد بحديث لعلي ابن أبي طالب بجمع بعض الآداب :"إن من حق العالم عليك أن تسـلم على القوم عامة وتخصه بالتحية وأن تجلس أمامه ولا تشير عنده بيدك ولا تغمـزن بعينك ولا تكثر عليه السؤال ولا تعينه في الجواب ولا تلح عليه إذا كل ولا تـراجعه إذا امتنع ولا تأخذ ثوبه إذا نهض ولا تفشي له سراً ولا تغتابن عنده أحداً ولا تطلبن عثرته وإن زل قبلت معذرته ولا تقولن له سمعت فلاناً يقول كذا ولا أن فلاناً يقول خلافك ولا تصفن عنده عالماً ولا تعرض من طول صحبته ولا ترفض نفسـك عن خدمته وإذا عرضت له حاجة سبقت القوم إليها فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر حتى يسقط عليك منها شيء " . (ابن الجوزي ٢٠٠٤ب) .

كما ينبغي لطالب العلم مراعاة ما يلي :

١. عدم الإصغاء إلى مختلف الناس لأن هذا يحير العقل ، ويفتر الذهن .
٢. عليه أن يأخذ من كل شيء أفضله ، لأن العمر أضيق من الاتساع للعلوم جميعها .
٣. أن يركز على أشرف العلوم ، وأشرف العلم ، العلم المتعلق بالآخرة الذي من خلاله يصل الإنسان إلى اليقين .

المراحل التي يمر بها المتعلم : (ابن الجوزي ، ١٩٨٥)

المراحل العمرية في حياة الإنسان :

قسم مراحل العمر إلى خمسة أقسام :

- القسم الأول : ويستمر من وقت الولادة إلى فترة البلوغ ، وذلك سن الخامسة عشرة.
- القسم الثاني : يبدأ من البلوغ وينتهي في نهاية الشباب ، وذلك سن الخامسة والثلاثين ، وهذا الزمن زمن الشباب .
- القسم الثالث : وهو من نهاية المرحلة السابقة وحتى تمام الخمسين سنة وهذا الزمن يدعى زمن الكهولة .
- القسم الرابع : وهو من بعد سن الخمسين إلى تمام السبعين ، وهذا الزمن يدعي زمان الشيخوخة .
- القسم الخامس : ما بعد السبعين إلى نهاية العمر وهذا الزمن يعرف بزمن الهرم .

أما بالنسبة للقسم الأول فيتعلق معظمه بالوالدين ودورهما في تربية الطفل . وقد أوضح ابن الجوزي ذلك بقوله "أن هذا الموسم يتعلق معظمه بالوالدين ، فهما يربيان ولدهما ويعلمانه ، ويحملانه على مصالحه ، ولا ينبغي أن يفترا عن تأديبه وتعليمه ، فإن التعليم في الصغر كالنقش في الحجر" .

أما دور الوالدين في تربية الطفل في هذه المرحلة العمرية فيتمثل فيما يلي :

- تعليم الصبي الطهارة .
- تعليمه الصلاة وأن يضرباه على تركها ، إذا بلغ تسع سنوات .
- تحفيظه القرآن .
- إسماعه الحديث ، وما تم احتماله من العلم .
- حثه على مكارم الأخلاق .
- تعليمه حسب قدرته وحسب المرحلة العمرية التي اعتبرها موسم الزرع .

أما بالنسبة للصفات التي يتميز بها الصبي في هذه المرحلة فهي كما يلي :

- إذا بلـغ الطفل خمس سنوات يظهر مقدار فهمه ونشاطه ، في الخير ، وقدرته على حسن الاختيار ، ومقدار منعه لنفسه عن الدنايا .
- يظهـر مقـدار فهم الصبي وعلو همته أو قصورها عن طريق اختياراته أثناء اللعـب فـيقول عالي الهمة :"من يكون معي ، ويقول القاصر : مع من أكون . ومتى علت همته آثر العلم " .
- "فـإذا راهق الصبي فينبغي لأبيه أن يزوجه : فقد جاء في الحديث :"من بلغ له ولد أمكنه أن يزوجه فإن لم يفعل واحدث الولد إثماً كان الإثم بينهما" .
- وعلى الوالد تذكر حاله وقت مراهقته ، وعليه أن يعرف أن ابنه يمر بالظروف نفسها .
- الاهتمام باختيار صحبة الإبن وقد استشهد ابن الجوزي بقول : إبراهيم الحربي: "أصل فساد الصبيان (بعضهم من بعض)" .
- كذلـك نـبه إلى إيثار العلم على النكاح ، وتعليم النفس الصبر واستشهد بذلك بالإمام أحمد الذي لم يتزوج إلاّ بعد الأربعين مفضلاً العلم على الزواج .

القسم الثاني :

وهو من فترة البلوغ إلى نهاية الشباب .

- تبدأ في هذه المرحلة مجاهدة النفس والهوى والشيطان.
- صيانة النفس ، وبالجهاد يتقرب الإنسان تعالى .
- إذا فـرط فـي ذلك ولم يجاهد نفسه أو هواه وترك شيطانه للتغلب عليه ، فانه يخسر خسراناً عظيماً .
- كما يجب أن يتميز الشخص في هذه المرحلة بالصبر .
- التعرف على ا عن طريق الدليل وليس التقليد ، وقد قال ابن الجوزي في ذلك :"ولـيعلم الـبالغ انـه مـن يوم بلوغه وجب عليه معرفة ا تعالى بالدليل لا بالتقلـيد، ويكفيه من الدليل رؤية نفسه وترتيب أعضائه ، فيعلم انه لا بد لهذا الترتيب من مرتب كما انه لا بد للبناء من بان" .

- على الشخص معرفة أن هناك ملكيْن يكتبان ما يفعل ولذا فعلى الإنسان معرفة الأعمـال التـي يقوم بها ، وأن يتوب إذا اخطأ . واستشهد ابن الجوزي بقوله تعـالى :"وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين، يعلمون ما تفعلون" (سورة الانفطار : الآية ١٠-١٢) .
- على الشخص في هذه المرحلة أن يغض بصره .
- على الشخص في هذه المرحلة الاكتفاء بزوجة واحدة . قائلاً :"وليكتفِ بالمرأة الواحـدة ، ولا يـترخص فـي كـثرة الاستمتاع بالنساء ، فإنه يشتت القلب ، ويضعف القوى ، وليس لذلك منتهى " .

القسم الثالث :

هذه المرحلة لا تخلو من بقية من الشباب :

- النفس لديها ميل إلى الشهوات .
- هناك جهاد للنفس حسن .

القسم الرابع وهو في الشيخوخة :

- هذه المرحلة مرحلة الشيخوخة ، وفي بداية هذه المرحلة تكون هناك بقية هوى . فيثاب الشيخ إذا صبر .
- كلما كبر الإنسان في هذه المرحلة تضعف الشهوة ، ويبتعد الإنسان عن الذنب، وقـال ابـن الجـوزي في ذلك :"فإذا تعمد الشيخ ذنباً فهو مراغم ، إذ الشهوة الطالبة قد خرست" .
- الشـخص الـذي يقوم بالمعاصي في تلك المرحلة يكون لخلل في إيمانه . وقد يقول الشيخ العالم "علمي يدفع عني وينسى أن علمه حجة عليه" .

القسم الخامس :

- في هذه المرحلة يستعد الشخص للرحيل عن هذه الدنيا .
- علـى الإنسـان في هذه المرحلة عمل ما يمكنه من الخير اغتناماً منه للوقت ، واستعداداً للرحيل .

- عليه الاستغفار والدعاء .
- "ولم يبقَ في زمان الهرم إلاّ تدارك ما مضى ، والاستغفار والدعاء ، وعمل ما يمكن الخير اغتناماً للساعات والتأهب للرحيل " .
- يعقب ابن الجوزي على تلك المراحل السابقة بقوله :" ومن عرف شرف العمر وقيمـته لـم يفرط في لحظة منه ، فلينظر الشاب في حراسة بضاعته وليتحفظ بقـدر استطاعته . وليتزود الشيخ للحاق بجماعته. ولينظر الهرم أن يؤخذ من ساعته" (ابن الجوزي، ١٩٨٥).

نظرة ابن الجوزي النقدية لعلماء عصره وفئات مجتمعه :

رأت الباحـثة ضـرورة التعرض لنظرة ابن الجوزي لعلماء عصره وفئات مجتمعه المخـتلفة ، وذلك كي نتمكن من معرفة التأثيرات التي أثرت في أفكاره التربوية ، والدوافع التي أدت إلى بروز تلك الأفكار .

فابـن الجـوزي مـن خـلال نقـده لتلك الفئات استطاع التوصل إلى تربية الفرد والمجـتمع، تلـك التربـية الإصلاحية ، الأخلاقية ، التي تعالج عيوب ذلك المجتمع بفئاته المختلفة ، تربية تضم الحاكم ، وتضم المجتمع بمختلف فئاته . فالتربية عند ابن الجوزي لا تـتعلق فقط بمعلم ومتعلم في مكان معين (المدرسة ، أو قاعة الدرس ، أو المسجد) وإنما امـتدت نظـرته إلـى التربية لتشمل المجتمع بأسره ، وكأن ديوي يلتقي مع ابن الجوزي بمقولـة الأول المشـهورة "التربية هي الحياة" ، وكذلك ابن الجوزي يرى بأن التربية هي الحـياة ، وقـد ظهـرت لنا تلك الرؤيا عند الحديث عن تربيته الخلقية في الفصل الثالث ، وسـتظهر لـنا من خلال التعرف على أفكاره التربوية المرتبطة بإصلاح تلك الانتقادات في الفصول القادمة .

ويمكن تتبع تلك الانتقادات في كتابه : (تلبيس ابليس أو نقد العلم والعلماء ، ٢٠٠٣).

نقده لعلماء عصره (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ هـ) :

نقده للقراء :

انتقد القراء بالأمور التالية :

١. الاشتغال بالقراءات الشاذة وجمعها وتحصيلها وتصنيفها والإقراء بها ، والانشغال بذلك عن معرفة الفرائض والواجبات .
٢. الانشغال بقراءة القرآن دون العمل به .
٣. يقوم بعضهم بجمع التهليلات والتكبيرات والسجدات ، وهذا مكروه .
٤. القيام بإيقاد النيران للختمة وهذا تشبهاً بالمجوس ، وتضييعاً للمال ، وسبباً للفساد حيث يجتمع النساء والرجال بالليل .
٥. قراءة القرآن بسرعة دون تمهل وذلك لزيادة عدد الختمات في الليلة ، وذلك ليحظى القارئ بالمدح .

وقد استشهد ابن الجوزي بقوله تعالى " لتقرأه على الناس على مُكْث" (سورة الإسراء : ١٠٦) . وقال عز وجل "ورتل القرآن ترتيلا" (سورة المزمل : ٤) .

٦. أحدث جماعة من القراء قراءة الألحان . وقد كرهها أحمد بن حنبل وغيره ولم يكرهها الشافعي . "وإنما أشار الشافعي إلى ما كان في زمانه ، وكانوا يلحنون يسيراً ، فأما اليوم فقد صيّروا ذلك على قانون الأغاني وكلما قرب ذلك من مشابهة الغناء زادت كراهته " .
٧. تسامح بعض القراء ببعض الأخطاء كالغيبة للنظراء ، وغير ذلك من الذنوب . وذلك ظناً منهم بأن حفظ القران يحميهم من العذاب .

وقد انتقدهم ابن الجوزي على ذلك بقوله " وذلك من تلبيس إبليس عليهم لأن عذاب من يعلم اكثر من عذاب من لم يعلم ، إذ زيادة العلم تقوي الحجة ، وكون القارئ لم يحترم ما يحفظ ذنب آخر" .

نقده لأصحاب الحديث (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ جـ) :

قسمّ ابن الجوزي علماء الحديث الذي قضوا حياتهم في سماع الحديث والرحلة في جمع الأحاديث وطلب الأسانيد العالية والأحاديث الغريبة إلى قسمين :

القسم الأول :

وهـم علماء الحديث الذي كان جل اهتمامهم ينحصر في معرفة صحيح الحديث من سقيمه ، وقد شكر ابن الجوزي لهؤلاء سعيهم ولكنه انتقدهم انتقادات عديدة منها :

- انشـغالهم بجمع الأحاديث عما هو فرض عين ، وقد عقد مقارنة بين علماء زمانه وبيـن العلمـاء السابقين موضحاً بأن العلماء السابقين كان وقتهم يتسع للتفقه في أمـور الديـن وطلب الحديث وذلك لقصر الإسناد وقلة الحديث . أما في وقت ابن الجـوزي فقـد طالت الأسانيد وتعددت التصانيف ، فكان من الصعب على المحدث الجمع بين الفقه والحديث .
- عمل بعضهم بالحديث المنسوخ .
- الفهـم الخاطـئ للحديث والعمل به وقد أورد مثالاً على ذلك قائلاً : "كما روينا أن بعض المحدثين روى عن رسول ا صلى ا عليه وسلم أنه نهى أن يسقي الرجل مـاءه زرع غـيره فقال جماعة من حضر : قد كنا إذا فضل عنا ماء في بساتيننا سرحناه إلى جيراننا ونحن نستغفر ا ، فما فهم القارئ ولا السامع ولا شعروا أن المراد وطء الحبالى في السبايا " .
- الجهل في الفتوى بسبب قلة مخالطة الفقهاء .
- الإقدام على الفتوى بنوع من التخليط .

القسم الثاني :

- انصـرفوا بالسعي نحو معرفة غريب الحديث ، وإيهام السامع بأنهم قد طافوا بلداناً كثـيرة وحصلوا على أسانيد كثيرة ، ولديهم أحاديث ينفردون بها عن غيرهم . ولم يكـن هدفهـم معـرفة صـحيح الحديـث من سقيمه ، وإنما كان هدفهم المباهاة والاسـتعلاء، وقد قادتهم محاولة الإنفراد بغريب الحديث ، إلى إخفاء الحديث ، مما قد يؤدي إلى وفاة الشخص دون أن يذكر الحديث .

- أمـا الـنقد الثاني الموجه لهم فهو طعن بعضهم في بعض واستغابة بعضهم بعضاً وذلك من أجل التشفي وقد يجدون لأنفسهم مخرجاً وهو مخرج الجرح والتعديل .
- روايـة الحديث الموضوع دون تبيين ذلك ، بهدف ترويج أحاديثهم ، وبهدف وفرة الروايات عنهم .

نقده للفقهاء (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ جـ) :

وجه ابن الجوزي انتقادات متعددة للفقهاء منها :

١. الاعتماد على علم الجدل بهدف المفاخرة والمباهاة ، حيث كانوا يركزون على كبار المسائل أما المسائل الصغيرة فربما كانوا يجهلون حكمها .
وقد قادهم الاعتماد على الجدل إلى :
أ . إدخالهم لأقوال الفلاسفة في الجدل .
ب . تفضـيلهم للقياس على الحديث المستدل به في الموضوع وذلك لكي يتسنى لهم توسيع دائرة الجدل .
ج . عـدم اسـتخدامهم الأسـلوب الوعظي الذي يقود الإنسان إلى العمل لطلب الآخرة .
د . عدم اطلاعهم على سير السلف والاتعاظ بها ، مما يؤدي إلى التأدب بأخلاق السابقين .
ه . الاقتصار على المناظرة والابتعاد عن حفظ المذهب والعلوم الشرعية ، حيث يُسأل الفقيه عن حديث أو آية فلا يدري .
و . كـان مقصـود المـناظرة عـند السابقين إظهار الحق ، أما في وقت ابن الجوزي فقد كان الهدف من المناظرة إظهار النفس والرياسة، وقد يقودهم هـذا إلى رد الحق مع معرفتهم بذلك ولكن بسبب المكابرة ورفض انتصار الخصم يرفضون الحقيقة ، كما قد يقودهم أسلوب المناظرة إلى الغيبة ، أو الفتوى دون بلوغهم لمرتبتها ، أو إفتائهم بفتوى مخالفة للنصوص .

٢. مخالطـة الأمـراء والسلاطين ومصانعتهم * ، وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المـنكر مـع القدرة على ذلك ، وذلك لكي ينالوا عرض الدنيا ، وهم بذلك يسببون الفساد في وجوه متعددة :

* مصانعتهم : مداراتهم .

الأول : فالسـلطان يـرى أنـه على حق ، ظناً منه بأن الفقيه سينكر عليه خطأه، وطالما أن الفقيه لا يفعل ذلك ، ويأكل من مال السلطان ، إذن فالسلطان على حق.

الثانـي : أما العامي فيظن أن السلطان على حق بسبب مرافقة الفقيه له ، فلو كان هناك ما يشوبه لما رافقه الفقيه .

الثالث : أما الفقيه فإنه يفسد دينه بفعلته هذه .

٠٣ الانقطـاع عـن السلطان والتفرغ للعبادة والدين ، ولكنهم يغتابون من يدخل على السلطان من العلماء . وبذلك يكون الفقيه قد وقع في غيبة الآخرين ومدح نفسه .

٠٤ أن يقـوم الفقيه بالأكل من وقف المدرسة المقتصر على المتشاغلين بالعلم، فيمكث هناك مدة طويلة دون أن يكون طالب علم ، مكتفياً بما لديه من العلم، قانعاً بعلمه. فالوقف يقتصر على طلبة العلم ، وعلى المعيدين والمدرسين .

٠٥ يلبس بعضهم الحرير ، ويتحلى بالذهب ، وسبب وقوع الفقيه في المعاصي، أنه إما فاسـد العقـيدة فـي أصل الدين ويكون تفقهه إما لستر نفسه ، أو الاستفادة من الوقف، أو الرياسة والمناظرة ، وإما أن يكون صحيح العقيدة لكنه يغلب عليه حب الشهوات ، وحب المناظرة والكبر .

٠٦ أن البعض يظن أن علمه وفقهه يدفع عنه ، ولكن علمه حجة عليه .

٠٧ ازدراء الوُعّاظ والقصّاص وعدم الحضور عندهم .

نقده للوُعّاظ والقُصّاص (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ جـ) :

الانتقادات التي وجهها ابن الجوزي للوعاظ والقصاص تتمثل بما يلي :

٠١ كـان بعضـهم يقوم بوضع أحاديث الترغيب والترهيب بهدف الأمر بالمعروف والنهـي عـن المـنكر ، ويـرى ابن الجوزي أن في ذلك تطاولاً وجرأة على الشريعة.

٠٢ إنشـاد الأشـعار الغزلـية فـي العشق إطراباً للقلوب ، وذلك ظناً منهم بأنهم يقصـدون إظهـار محبة الله ، ولكن ابن الجوزي يرى أن ذلك يثير العوام نحو حب الهوى مما يقود القاص إلى أن يُضل ويضِل .

٠٣ استخدام الألحان في القراءة وهي في رأيه أقرب إلى التحريم منها إلى الكراهة، حيث أنها مشابهة للغناء .

٠٤ إنشـاد البعض لأشعار النوح على الموتى ، مما يؤدي إلى بكاء النساء وتحويل المكان كالمأتم ، ويرى ابن الجوزي أنه على القاص أو الواعظ أن يذكر الصبر على فقدان الأحباء .

٠٥ حديث بعضهم بالطامات وخروجه عن الشرع واستشهاده بأشعار العشق ساعياً إلى إكثار الصياح في مجلسه .

٠٦ اهتمام بعضهم بالألفاظ دون المعاني وتركيزهم على موضوعات اقل أهمية من الفـرائض كالحديث عن موسى والجبل ، وزليخا ويوسف وكان الأولى بهم ذكر الفرائض ، والاهتمام بقضايا الشرع .

٠٧ حث بعضهم الآخرين على الزهد وقيام الليل دون إظهار الهدف من ذلك للعامة، لأن إظهـار ذلك يؤدي إلى عدم فهم العامة لمعنى الزهد والتعبد فينقطعون عن الناس ويتعبدون تاركين عائلاتهم دون معيل .

٠٨ حديـث بعضـهم عـن الترغيـب وتركـيزهم على ذلك دون مزج هذا الحديث بالترهيب، ويؤدي ذلك في رأي ابن الجوزي إلى زيادة جرأة الناس على ارتكاب المعاصي .

٠٩ قـد يكـون الواعـظ صـادقاً في نيته للنصيحة ، ولكنه يحب أن يُعظّم ويحب الرياسـة، وممـا يدل على ذلك رفضه لمن يحاول أن يساعده ممن يظهر من الواعظين .

١٠ لجوء القاصين إلى جعل القصص مهنة يرتزقون منها حيث يحصلون على منح الأمراء والظلمة وأصحاب المكوس* .

١١ لجـوء بعـض القاصـين إلى الانقطاع عن الناس ظناً منهم بأنهم ليسوا أهلاً للوعظ، مما يؤدي إلى منع الخير ، وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

نقده لأهل اللغة والأدب (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ جـ) :

وجه ابن الجوزي الانتقادات التالية لأهل اللغة والأدب :

٠١ الانشـغال بعلـوم النحو واللغة عن فرض العين كمعرفة العبادات ، والآداب ، وكذلك الانشغال عن علوم التفسير والحديث . حيث يرى ابن الجوزي أن علماء النحو واللغة يقضون زمانهم بدراسة علوم لا تراد لنفسها وإنما تراد لغيرها .

---
* المكس : مكيال معروف في العراق .

٢. تميزهم بالكبر والغرور ظناً منهم بأنهم علماء الإسلام وذلك لاعتبارهم علم النحو واللغة من العلوم الإسلامية التي من خلالها تتم معرفة معاني القرآن . ويتفق ابن الجوزي مع علماء اللغة حول أهمية النحو واللغة في فهم معاني القرآن ، ولكنه يرى أن لا ينفق العالم عمره كله في ذلك ، ومن الأولى له أن يتعلم العلوم الأخرى ويأخذ من النحو ما يلزم لإصلاح اللسان ، ومن اللغة ما يحتاج إليه في تفسير القرآن والحديث .

٣. اهتمام البعض بأشعار الجاهلية .

٤. ظن بعضهم بجواز الشيء وهو غير جائز وهذا يعود إلى قلة فقههم .

نقده للشعراء (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ جـ) :

وجه ابن الجوزي الانتقادات التالية للشعراء :

- شعورهم بالتميز عن الآخرين بالفطنة ، لدرجة أنهم يحسون بأن هذه الفطنة التي يتميزون بها قد تجعل الخالق يعفو عن زلاتهم وهذا يقودهم إلى الخوض في الكذب، والهجاء والقذف ، والإقرار بالفواحش .
- يضغطون بشعرهم على الاخرين حيث يعطيهم الآخرون خوفاً من الهجاء وطلباً للمدح .
- بعض الشعراء يلبسون الحرير ، ويكذبون في مدحهم للآخرين ويتحدثون في اجتماعاتهم عن الفسق وشرب الخمر .
- إذا ضاق بهم الرزق يلومون الأقدار ويتسخطون مما يقودهم إلى الكفر .

نقده للكاملين من العلماء (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ جـ) :

يرى ابن الجوزي أن العلماء الكاملين هم " أقوام علت هممهم فحصلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب وغير ذلك " .

أما عن الانتقادات التي وجهها ابن الجوزي لهؤلاء فتتمثل بما يلي :

١. تعظيمهم لأنفسهم لما نالوا من العلم وما أفادوا به الآخرين ، وهذا يقودهم إلى التفكير بإراحة أنفسهم وتوقفهم عن العمل ظناً منهم بأن العلم يدفع عنهم عقوبة عدم العمل . وقد أوضح ابن الجوزي لهؤلاء أهمية إقتران العلم بالعمل بالوجوه التالية :

- أوضح ابن الجوزي أهمية العلم للعلماء ولكنه يرى بأن هذا العلم لا قيمة لـه إن لـم يكن مقترناً بالعمل . لأن العالم الذي لا يعمل بعلمه لا يختلف عن الجاهل الذي لا يفهم المقصود بالعمل .
- يذّكـر ابن الجوزي بذم العالم الذي لم يعمل بعلمه مستشهداً بقوله عليه الصـلاة والسـلام : "أشـد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه ا بعلمه" * .
- يذّكـر ابـن الجوزي العلماء بعقاب من هلك من العلماء التاركين لعملهم بعلمهم ، ويضرب مثلاً على ذلك إبليس .

٢. اتصـاف بعضـهم بالكـبر بالعلم والحسد لنظرائهم ، والرياء بقصد الوصول للرياسة . وعلاج ذلك يكون بمعرفة إثم الكبر والحسد والرياء .

نقده للولاة والسلاطين (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ جـ) :

أمـا الانـتقادات التـي وجههـا ابن الجوزي للولاة والسلاطين فتتمثل باثني عشر انتقاداً:

١. انهـم يظنون أن ا عز وجل ولاّهم سلطانه حباً منه فيهم ، ويرد ابن الجوزي علـى هـذا الظن بأنهم عليهم الحكم بشرع ا والعمل لمرضاته فحينئذ يرضى عنهم رب العالمين ويحبهم .
٢. انهـم يرون من الهيبة المقترنة بالولاية التكبر عن طلب العلم وحضور مجالس العلمـاء ، وهـذا يـؤدي إلى مخالطتهم للجهّال بالشرع مما يؤدي إلى تأثرهم بخصال أولئك الجهلة – وذلك لأن الطبع لص – وتلك الخصال المكتسبة تؤدي بهم إلى الهلاك .
٣. لجوؤهـم نحو الاحتجاب عن الناس خوفاً من الأعداء ، وبهذه الطريقة لا يصل إليهم أصحاب المظالم ، كما أن احتجابهم يجعل ولاتهم يتوانون في رفع المظالم عن العباد .
٤. انهـم يوظفـون أشخاصاً يتصفون بعدم العلم والتقوى ، وهذا يؤدي إلى دعاء الناس عليهم بسبب ظلم أولئك الموظفين .

* أخرجه الالباني في ضعيف الجامع برقم (٦٦٨) .

٠٥ يستحسنون بعض الأعمال القبيحة ، فيقومون بقتل من لا يحل قتله ، ويقطعون مـن لا يجـوز قطعه ، ظناً منهم بأن هذه السلوكات سياسة ، وظناً منهم بأن الشريعة ناقصة وتحتاج إلى إتمام عن طريق إبراز وجهة نظرهم وآراءهم ويرد ابـن الجوزي عليهم في هذه النقطة قائلاً : "الشريعة سياسة إلهية ، ومحالٌ أن يقع في سياسة الإله خلل يحتاج معه إلى سياسة الخلق ٠٠٠ فمدعي السياسه مدعي الخلل في الشريعة ، وهذا يزاحم الكفر" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣جـ) .

٠٦ يفـرطون فـي أموال بيت المال ظناً منهم بأنها بحكمهم ، وفي الحقيقة ، انهم يفـرطون في مال هم مستأمنون عليه ، وليس لهم من المال إلاّ بقدر عملهم ، لذا فليس هناك مبرر للتفريط والانبساط .

٠٧ يفـرطون بارتكـابهم المعاصي ظناً منهم بأن حفظهم لأمن البلاد وسلبها يمنع عـنهم العقـاب، ويرى ابن الجوزي أن حفظ البلاد وسلبها واجب من واجبات السلاطين ، وأن قيامهم بارتكاب المعاصي غير مبرر .

٠٨ يظـنون بأن أحوال بلادهم جيدة وان أحوالهم مستقيمة ، ولو أمعنوا النظر بما يحدث لوجدوا اختلالاً واضحاً .

٠٩ لا يقومـون بإقامـة البيـنة على الشخص الخائن ، وإنما يستخدمون أسلوب الضرب لاستجلاب الأموال . ويرى ابن الجوزي أن هذه الطريقة غير سليمة ، وإنما على الحكام إقامة البينة على الخائن مستشهداً بحادثة حدثت مع عمر بن عـبد العزيز قائلاً " وقد روينا عن عمر بن عبد العزيز أن غلاماً كتب له : أن قومـاً خـانوا في مال ا ولا أقدر على استخلاص ما في أيديهم إلاّ أن أنالهم بعذاب ، فكتب إليه : لأن يلقوا ا بخيانتهم أحب إليّ من أن ألقاه بدمائهم " .

١٠ انهم يحصلون على المال بالغصب ، ثم يتصدقون من ذلك المال ظناً منهم بأن حسنة الصدقة تمحو إثم الغصب، ويرى ابن الجوزي أن إثم الغصب باق ، وأن الصدقة لا تقبل من مال حرام (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ جـ) .

١١ يقومـون بـزيارة الصـالحين والطلب منهم الدعاء لهم، ولكنهم يصرون على المعصية ، ظناً منهم بأن الخير يدفع الشر .

١٢ بعـض الـولاة يعمل بأمر من يعمل عنده فإذا أمره بظلم ظلم ظناً منه بأن الإثم يعـود على الأمير ولا يعود عليه ، ويرى ابن الجوزي أن من يعين على الظلم ظالم ، وكل من يعين على معصية عاص (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ جـ) .

نقده للعوام (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣جـ) :

ذكـر انـتقاداته للعوام بصورة تلبيس إبليس . فيرى أن تأثير إبليس في الشخص يكون أقوى عند من كانت درجة جهله أقوى .

ومن الانتقادات التي وجهها ابن الجوزي للعوام :

١٠ التفكـير في ذات ا وصفاته مما يؤدي إلى تشكك الفرد ، حيث يفكرون في خلق الإنسان والسموات والأرض ويتوصلون إلى الخالق ثم يقولون من خلق ا ؟

٢٠ عندما يسمعون صفات ا يحملونها على مقتضى الحس فيعقدون التشبيه .

٣٠ العصبية للمذاهب ، دون معرفة حقيقة المذهب الذي يتعصب له .

٤٠ يخالفون العلماء ويقدمون المتزهدين على العلماء .

٥٠ يقدحـون في العلماء وذلك لأنهم يتناولون المباحات ويفضلون الغرباء على أهل بلدهم .

٦٠ إطـلاق النفس في المعاصي ولا يتقبلون النقد ، وإذا وجه إليهم النقد تكلموا كلام الزنادقة .

٧٠ يظنون أن ارتكاب العالم لمعصية مبرر لارتكابهم المعاصي . وقد أوضح ابن الجوزي ذلك بقوله : "أو من العوام من يقول : هؤلاء العلماء يحافظون على الحـدود ، فـلان يفعـل كذا وفلان يفعل كذا ، فأمري أنا قريب وكشف هذا التلبـيس أن الجـاهل والعالم في باب التكليف سواء ، فغلبة الهوى للعالم لا يكون عذراً للجاهل" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ جـ) .

٨٠ الاغترار بالنسب

فمـنهم من يكون نسبه معروفاً فيغتر بنسبه . كقول أحدهم : " أنا من أولاد أبي بكر وقول آخر : آنا من أولاد علي . وهم يغترون بنسبهم لأمرين :

"أحدهما : انهم يقولون : من أحب إنساناً أحب أولاده وأهله . والثاني : أن هؤلاء لهم شفاعة ، وأحق من شفعوا فيه أهلهم وأولادهم ".

ويـرى ابن الجوزي أن هؤلاء على خطأ في كلا الأمرين ، فبالنسبة للأمر الأول ، يـرى ابن الجوزي أن محبة ا تختلف عن محبة الآدميين ، فا

سـبحانه وتعالى يحب من أطاعه ، ويضرب مثلاً على ذلك أهل الكتاب من أولاد يعقوب لم ينفعهم أنهم أبناؤه .

أمـا بالنسـبة للشـفاعة ، فيرى أن الشخص لا يستطيع الشفاعة إلاّ لمن يرضى ا عز وجل عنه مستشهداً بقوله تعالى :

"ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى " (الأنبياء : ٢٨) . وكذلك استشهد بقصة نوح عليه السلام عندما حمل ابنه بالسفينة قيل له "إنه ليس من أهلك" (هود:٤٦) .

٩. اعتماد العوام على صفة خير وعدم المبالاة بفعل أي شيء بعد ذلك . وضرب مثلاً قوله " فمنهم من يقول : أنا من أهل السنة وأهل السنة على خير ، ثم لا يتحاشـى المعاصي . ويرى ابن الجوزي أن اعتقاد الشخص فرض ، وكذلك ترك المعاصي فرض آخر . فلا يكفي أن نفعل فرضاً ونترك الآخر لأن أحدهما لا يغني عن الآخر (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ جـ) .

١٠. انـتقد العيارين الذين يأخذون أموال الناس ويسمون أنفسهم بالفتيان وقولهم بأن الفتى لا يكذب ولا يزني ولا يهتك ستر امرأة ، ويحفظ المحرم . ومع هذا فهم يسرقون أموال الناس ويسمون هذه الطريقة بالفتوة .

١١. انـتقد بعض من يعتمد على النافلة ويضيع الفريضة . وضرب مثلاً على ذلك حضـور الشخص إلى المسجد قبل الآذان وتنفله وحين يصلي مأموماً يسابق الإمام .

١٢. انتقد بعض العامة الذين يحضرون مجالس الذكر لمدة طويلة ، يخشعون فيها ويـبكون ، ولكنهم لا يبدلون سلوكاتهم السيئة بسلوكات حسنة . وقد أوضح ابـن الجوزي ذلك بقوله : "وإني لأعرف خلقاً يحضرون المجالس منذ سنين ويـبكون ويخشعون ولا يتغير أحدهم عما قد اعتاده ، من المعاملة في الربا والغـش فـي البـيع والجهـل بأركـان الصلاة والغيبة للمسلمين والعقوق للوالدين".

ويرى ابن الجوزي أن هؤلاء يظنون أن حضور المجالس يدفع عنهم الذنوب، كما أن بعضهم يسوفون بالتوبة ، مما يؤدي إلى إهمال العمل (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ جـ) .

أما أصحاب الأموال فقد انتقدهم في أربعة وجوه (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ جـ) :

١. انهم لا يهتمون بمصدر المال الذي يحصلون عليه ، حيث انتشر الربا في أكثر المعاملات وتعودوا عليه .

٢. البخل بالأموال فمنهم من لا يخرج الزكاة مبرراً ذلك بعفو الخالق عنه . ومنهم مـن يدفـع الزكاة ولكنه ينقص منها ظناً منه إن دفع جزءاً أن الجزء المخرج يدفع عنه ، ومنهم من يعطي الزكاة لمن يعمل عنده طوال العام بدلاً من الأجر.

٣. التكثير بالأموال ، فالغني يظن نفسه أفضل من الفقير ، ويعتبر ابن الجوزي ذلك جهلاً مستشهداً بالأبيات الشعرية التالية :

" غِنى النفس لمن يعقـــــلُ خيرٌ من غنى المال

وفضل النفس في الأنفـــــس وليس الفضل في الحال"

٤. فـي إنفـاق الأمـوال فالبعض يكون مسرفاً في إنفاق الأموال من حيث تبذير الأمـوال فـي البنـيان الزائدة ، واستخدام الزخارف ، والكماليات ، والملابس الفاخرة،والمطاعم . ومنهم من يصرف الأموال في أعمال الخير كبناء المساجد والقـناطر ، وإخراج الشمع في رمضان والتصدق على الفقراء جهارة ، ولكن قصدهم لا يكون وإنما ينفقون المال بقصد الرياء والسمعة وبقاء الذكر .

وكذلـك فان هناك من يفضل الصدقة على الأجانب تاركاً الأقارب وهم أولى بذلـك ، والبعض يتصدق ولكنه يقتصد في النفقة على أهله ، والبعض ينفق المال في الحج ولكن هدفه من ذلك الرياء ، ومدح الناس له .

والبعض ينفق الأموال في أماكن الرقص والغناء ، مبرراً ذلك بجمع الفقراء وإطعامهم ، ويرفض ذلك ابن الجوزي موضحاً بأن ذلك يسبب فساداً في القلوب ، والـبعض من يظلم الورثة وذلك بترك وصية تحرم الورثة ظناً منه بأنه حرّ التصرف بماله .

نقده للفقراء (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ جـ) :

- انـتقد بعض الفقراء كونهم يظهرون الفقر وهم أغنياء ، وأوضح بأن من يأخذ من الـناس لاسـتكثار مالـه وهو ليس بحاجة إلى ذلك المال ، فان مصيره النار يوم القيامة.
- كمـا أن بعض الفقراء يرون أنفسهم أفضل من الأغنياء ويرى ابن الجوزي أن هذا الاعتقاد خاطئ لأن الأفضلية ليست بالوجود والعدم .

نقده لجمهور العوام :

أما الانتقادات التي وجهها ابن الجوزي لجمهور العوام فتتمثل بما يلي :

١- انهم يقلدون آباءهم ومن سبقهم فيما عرف عندهم بالعادات دون النظر في تلك العادة ومدى صحتها .

وقد ضرب أمثلة متعددة على التقليد في العادات منها :

- تقليد اليهود والنصارى والجاهلية لمن سبقهم .
- تقليد المسلمين في الصلاة والعبادات لمن سبقهم .
- استعمال العقود الفاسدة في البيع والشراء وعدم التعرف على حكم الشرع في ذلك. واستخدام أسلوب الغش في البيع ، وإخفاء عيوب السلع .
- التوانـي فـي الصلاة المفروضة ، فالشخص يفطر على الحرام ، ويغتاب الآخرين ولكنه يرفض الإفطار في رمضان لاستبشاعه عادة الفطر .
- اعتمادهم على أقوال المنجمين والعّرافين .
- كثرة الأيمان الحانثة التي يكون أكثرها ظهاراً وهم لا يعلمون بذلك .
- لبس الحرير والذهب من قبل الرجال .
- إهمال إنكار المنكر .
- التضييق على المارة وذلك ببناء المصاطب على باب الدور .
- دخول الحمام (العام) بلا مئزر .
- عدم القيام بحقوق الزوجة .
- إثبات الفلس أمام الحاكم ، وذلك لكي لا يؤدي الحقوق إلى أصحابها .
- دفن الميت في التابوت – وهو مكروه .

- اللطم على الميت وتمزيق الثياب وخصوصاً النساء .
- زيارة المقابر ليلة النصف من شعبان وإيقاد النار عندها وأخذ تراب قبورها تبركاً.

نقده للنساء :

أما عن المرأة فقد وجه لها العديد من الانتقادات :

- الجهل في العبادات .
- الاستهانة بإسقاط الحمل دون معرفة عواقب ذلك ، وما يترتب عليه من إثم ، وكفارة.
- الإساءة في عشرتها مع زوجها ، كأن تحدثه بما يكره ، أو تخرج دون إذنه ، أو تفرط في ماله .
- ملازمة القبور ، والحداد على غير الزوج .
- عند حضورها مجالس الوعظ تصافح الشيخ الصوفي (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣جـ).

الفصل السادس

مقارنة الفكر التربوي عند ابن الجوزي والفكر التربوي الحديث .

أولاً : اوجـه الشـبه والاخـتلاف بين الفكر التربوي عند ابن الجوزي والفكر التربوي في العصر الحديث .

ثانياً: درجـة تطبيق أفكار ابن الجوزي التربوية في العالم العربي في عصرنا الحالي .

بعـد الـتعرف على الفكر التربوي عند ابن الجوزي عبر الفصول السابقة ، فإن الباحثة تسعى في هذا الفصل إلى الإجابة عن الأسئلة التالية :

- ما أوجه الشبه والاختلاف بين الفكر التربوي عند ابن الجوزي والفكر التربوي في العصر الحديث ؟ .
- مـا درجـة تطبـيق أفكار ابن الجوزي التربوية في العالم العربي في عصرنا الحالي ؟

أولاً : اوجه الشبه والاختلاف بين الفكر التربوي عند ابن الجوزي والفكر التربوي في العصر الحديث :

الذكاء في فكر ابن الجوزي وفي الفكر التربوي الحديث :

الذكـاء : يـرى ابن الجوزي أن الذكاء هو الفهم التام للأحوال فور سماعها . كما قسّم علامات الذكاء إلى قسمين :
قسم يرتبط بالصورة ، وقسم يرتبط بالمعنى والأحوال والأفعال .

أما بالنسبة للصفات الخلقية ، فلم تعثر الباحثة على آراء مماثلة في التربية الحديثة تربط بين الصفات الصورية وبين الذكاء . *

وقـد اهتم علماء النفس بموضوع الذكاء لما له من ارتباط وثيق بأساليب السلوك ومظاهر النشاط العقلي كالتعلم وبواعث السلوك ودوافعه (الكسواني وآخرون ، ٢٠٠٣) .

وهناك عدة تعريفات للذكاء منها : (بركات ، ١٩٧٦)

- "الذكـاء هـو قدرة عضوية لها أساس في التكوين الجسماني ويرجع اختلاف الأفـراد فـيه إلـى اختلافهم في التكوين العضوي ، وهذه القدرة بهذا المعنى موروثة ، ولا يعني هذا أن الذكاء لا يتأثر بالبيئة بل يتأثر بها" .
- يـرى (بينيه– Binet) أن الذكاء هو قدرة الفرد على الفهم والابتكار والتوجيه الهـادف للسلوك والنقد الذاتي بمعنى قدرة الفرد على فهم المشكلات والتفكير في حلها أو قياس هذا الحل ونقده وتعديله . (الرشدان والجعنيني ، ١٩٩٤) .

* لمزيد من التفصيلات حول رأي ابن الجوزي في الذكاء . انظر الفصل الثالث .

- ويـرى (سـترن – Stern) – العـالم الألمانـي – أن الذكاء هو القدرة على التصرف السليم في المواقف الجديدة " .
- ويرى (ترمان Terman) : " أن الذكاء هو القدرة على التفكير المجرد" .
- ويـرى (ثورندايـك – Thorndike) : " أن الذكاء هو مجموعة من القدرات الخاصة المستقلة" .
- أمـا (كلفـن – Colvin) فيعرّف الذكاء بأنه القدرة على التعلم أو القدرة على التحصيل وهذا التعريف أكثر شيوعاً وكثيراً ما يستخدم في المحيط المدرسي .
- ويعـــرف (وكسـلـــر Wechsler) الذكـــاء بأنه القدرة الكلية للفرد على العمل الهادف والتفكير المنطقي والتفاعل الناجح مع البيئة .
- ويعـرفه شـيترمن الألمانـي بقوله " إن الذكاء هو القدرة العامة على التكيف (الطيطي وآخرون ، ٢٠٠١) .
- ويعـرفه كوهلـر بقولـه : "إن الذكاء هو القدرة على الاستبصار عند الإنسان والحيوان (الطيطي وآخرون ، ٢٠٠٢) .

ويرى الدكتور نشواتي (١٩٨٤) أن هناك صعوبة في صياغة تعريف شامل للذكاء يرضـى عـنه علماء النفس جميعاً ، وذلك لأن اختلاف تعريفاتهم يعود لاختلاف مفهومهم للقدرة العقلية .

وقـد أوضح ثورندايك أن هناك ثلاثة أنواع من الذكاء وهي : الذكاء العملي ، حيث يتمـيز صـاحبه بالمهارة في التعامل مع الأدوات والآلات ، والذكاء النظري ، حيث يتميز صـاحبه بـالقدرة علـى تـناول الأفكار والرموز ، والذكاء الاجتماعي ، ويهتم بالناس ، والاحتفاظ بعلاقات اجتماعية حسنة مع الجميع (الكسواني وآخرون ، ٢٠٠٣) .

ويـنظر للذكـاء علـى أنـه قدرة كامنة تعتمد على الوراثة وعلى النمو والتطور السـليمين، وباعتـبار أن الذكاء قدرة كامنة فمن الممكن تعديلها عن طريق الإثارة شأنها شـأن أية صفة فيزيقية أخرى في صفات الفرد . ويمكننا أن نقابل بين الذكاء كقدرة كامنة والمـيل المـوروث عـند الفـرد للوصول إلى طول معين . فإننا نلاحظ أن سوء التغذية والمرض يمكن أن يخفض من مستوى نمو الطول بينما التغذية الجيدة والخلو من الأمراض والظـروف المناسـبة بشكل عام يمكن أن تكون مسهلة للنمو ، وبالتالي تزيد من إمكانية الوصـول إلى الطول المناسب ، ولكن جميع أنواع الإثارة أو التغذية لا تستطيع إطالة شيئاً ما من الحد المقرر له وبالمثل فإن جميع الظروف البيئية المناسبة وكل المعرفة أو التربية

أو المثيرات ذات الصلة بنمو الذكاء لا تستطيع أن تزيد من مستوى تلك القدرة عند الفرد . (توق وآخرون ، ٢٠٠٢) .

ويستنتج الدكتور الهمشري (٢٠٠١) عدة حقائق حول الذكاء وهي أن الذكاء عبارة عن كلمة مجردة أو تكوين فرضي لا يشير إلى شيء مادي ملموس يمتلكه الفرد ولكننا لا نستطيع ملاحظته بطريقة مباشرة أو قياسهُ قياساً مباشراً ، ومن الممكن الاستدلال عليه من خلال آثاره ونتائجه .

والذكاء قدرة ذاتية تمكن الإنسان من القيام بأفعال لا يستطيعها الأغبياء . والذكاء نشاط عقلي لأنه يتعلق بالنشاط العقلي ويعتمد على المعرفة والإدراك وأرفع درجات التفكير والمحاكمة .

كما يعتبر الذكاء استعداداً فطرياً لأنه يسبق أي خبرة أو تعلم ، حيث يولد الإنسان ولديه قدرٌ من الذكاء والبيئة تعمل على صقله وتنميته أو إطفائه . والذكاء فعالية نفسية حيث يعتبر نتاج الفاعلية النفسية للفرد بالشكل العام . والذكاء فعالية عامة معقدة أي أنه عملية تتعلق بوظائف العقل كلها وهو قوة تآزر وترابط بين الوظائف العقلية المختلفة .

أما بالنسبة للصفات العامة للإنسان الذكي فيرى ناصر (٢٠٠١) بأن الإنسان الذكي بشكل عام يكون الأقدر على الابتكار ، والتعلم ، وتطبيق ما تعلمه ، كما يكون قادراً على حل المشكلات ، ويحسن التصرف ، كما يدرك العلاقات بين الإنسان والأشياء والأعداد والألفاظ. كما يستطيع أن يصطنع الحيلة لبلوغ الأهداف . ويتصف الإنسان الذكي بتبصره في عواقب الأمور ، ويكون سريع الفهم .

وبعد استعراض آراء التربية في الذكاء فإن الباحثة ترى بأن هناك توافقاً كبيراً بين ما أتت به التربية الحديثة في القرن العشرين وبين ما أتى به ابن الجوزي في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) . حيث اتفقت التربية الحديثة مع ابن الجوزي بأن الذكاء موروث . كما اتفقت التربية الحديثة مع ابن الجوزي بأن الذكاء مكتسب . واتفق بينيه مع ابن الجوزي بأن الذكاء هو قدرة على الفهم والتوجيه للسلوك ، ونقده ، حيث يرى ابن الجوزي أن الذكاء فهم فوري للأمور ، واعتبر الإنسان الذكي هو الشخص الذي تكون لديه قدرة نقدية حيث يحسب عواقب الأمور ، وكذلك يتفق مع ستيرن في وجهة نظره بأن الذكاء هو القدرة على التصرف السليم في المواقف الجديدة ويتفق مع كلفن حيث

يـربط بيـن الذكاء والقدرة على التعلم وعلى التحصيل . ويتفق مع كوهلر بقدرة الإنسان والحـيوان علـى الاستبصـار . وكذلك يتفق ابن الجوزي مع التربية الحديثة في الصفات العامـة للإنسـان الذكـي، والتي قد ذكرناها سابقاً ، وتختلف التربية الحديثة في الصفات الصـورية التي ربطها بالذكاء ، حيث لم تربط التربية الحديثة الذكاء بلون العينين أو طول القامة ، أو حجم الرقبة كما فعل ابن الجوزي .

قيمة العلم :

يعتبر التعلم من الحاجات الملحة والخطيرة التي يحتاجها الإنسان كونه يولد قاصراً عن مواجهة الحياة المادية والاجتماعية ، فهو بحاجة إلى رعاية وبحاجة إلى تغذية فطرته ليزيدها ثراءً وكمالاً ولا يتم ذلك إلاّ عن طريق اكتساب الثقافة والعلم (مراد ، ١٩٦٩) .

ويقـوم التعلـيم بدور كبير في حياة الإنسان ، حيث يكون له كبير الأثر في تكوين شخصـية الفـرد وخلقـه وضميره ، وفي اكتساب المعارف العامة . كما يكون له دور في اكسـاب الفـرد القـدرة على التفكير السليم ، ويزود الإنسان بفكرته عن العالم والإنسان والمجتمع والعلاقات الاجتماعية (أحمد ،١٩٧٩) .

وقـد أولى المربون المسلمون العلم عناية عظيمة ، وأعطوه قيمة كبيرة وقد كانت نظرتهم هذه مستمدة من القيمة التي أولاها القرآن والسنة للعلم .

وكذلـك ابن الجوزي حيث رأى أن طلب العلم فريضة على كل مسلم . رؤيته هذه تعنـي أنـه يجـب على كل فرد من أفراد المجتمع طلب العلم ، وكل من لا يقوم بذلك فإنه سيعاقب ولكن هذا العقاب غير مرتبط بالدولة وإنما يكون عقاباً من ا عز وجل .

وعـند تأمل التربية الحديثة يمكن القول أنها اتفقت مع ابن الجوزي في ذلك فعلى سـبيل المثال ، إن أهم المبادئ التربوية الماركسية تنادي بإلزامية التعليم واعتباره تعليماً إلزامياً وجماعياً وموحداً لجميع المواطنين والأجناس والقوميات (ناصر ، ٢٠٠١) .

ولقـد كان القابسي (ت ٤٠٣ هـ) أول من نادى بإلزامية التعليم حيث أكد وجوب تعليم الصبيان ، واعتبره واجباً شرعياً (العمايره ، ٢٠٠٠) .*

* - انظر أيضاً خالد محمد علي الحاج : إعلام التربية والمربين من القدماء والمحدثين ، ط١ ، عمان ، ١٩٨٩ ، ص ١٩٣ .

ولقد عرف الإسلام إلزامية التعليم ونادى بها منذ بدء الدعوة الإسلامية حيث نزلت أول سورة تحض على القراءة والتعليم (الشطناوي ، ١٩٩١) .

حيث قال تعالى : "أقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم" (سورة العلق الآية : ١-٥) .

واعتبر ابن الجوزي الغاية من طلب العلم معرفة الخالق وطاعته والعمل بهذا العلم. فالهدف الأساسي من العلم عند ابن الجوزي هدف ديني وخلقي حيث يقتدي الإنسان بأخلاق الرسول صلى ا عليه وسلم والصحابة مما يؤدي إلى نفعهم في دينهم ودنياهم .

أما في التربية الحديثة ونتيجة لموقف الكنيسة من العلم وأهله تنامت علاقة التباين بيـن العلم والدين . وهذا مخالف للفكر التربوي الإسلامي ، حيث يعتبر العلم شرفاً وفضلاً خص ا به الإنسانية ، وفضّل به آدم عليه السلام على الملائكة (أبو العينين ، ١٩٨٦) .

الغاية من طلب العلم وأهدافه :

الغايـة مـن طلـب العلم عند ابن الجوزي معرفة الخالق والعمل على خدمته . أما الأهـداف الأخرى فهي التعرف على سيرة الرسول وصحابته والاقتداء بآدابهم والعمل على طاعة ا .

من الملاحظ أن ابن الجوزي كان يرى أن الهدف من العلم ديني وخلقي وذلك لكونه واعظاً سلفي المذهب ، وقد التقى ابن الجوزي مع القابسي في وجهة نظره هذه حيث يرى القابسـي "أن الهـدف مـن التعليم هو معرفة الدين علماً وعملاً" ، وقد كان القابسي فقيهاً ومحدثاً من أهل السنة (الرشدان ، ٢٠٠٢) .

وعلـى الـرغم مـن اختلاف أهداف التربية الإسلامية باختلاف العصور الإسلامية والظـروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ونتيجة لاختلاف المذاهب العقلية والدينية للمربين ، فإن أهداف التربية الإسلامية تعود إلى غرضين ديني ودنيوي . حيث قال تعالى : "وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا" (سورة القصص : الآية ٧٧) .

قد أدى تحقيق هذا الهدف بالمسلمين إلى الاعتناء بتدارس العلوم الدينية والشرعية كما اهتموا بدراسة علوم اللسان والتاريخ والجغرافيا والكيمياء والطب كما استطاعوا بفضل

هذه التربية الجامعة تشييد حضارة اعتبرت أساساً في تطور الحضارة الحديثة (عبد الدايم ، ١٩٨٧) . *

أما الكيلاني (١٩٧٨) فيرى أن أهداف التربية الإسلامية تتصف بأمرين : " أولهما أنهـا تبـتدئ بالفـرد وتنتهي بالمجتمع الإنساني وثانيهما أنها تبدأ بالدنيا وتنتهي بالآخرة بأسلوب متكامل ومتناسق : ويحدد هذه الأهداف بشيء من التفصيل بالأبعاد التالية:

تعريف الإنسان بخالقه وبناء العلاقة بين الإنسان وخالقه على أساس ربانية الخالق وعـبودية المخلـوق . وتطويـر سلوك الفرد وتغيير اتجاهاته بحيث تتناسب مع الاتجاهات الإسلامية . وتدريب الفرد على مواجهة متطلبات الحياة المادية . وبناء المجتمع الإسلامي الـذي يقـوم علـى روابط العقيدة الإسلامية وتشريعاتها ، وإبراز أهمية قيام هذا المجتمع واعتبار الانتماء إليه دليلاً على صحة الإيمان . وإعداد المسلمين لنشر الدين الإسلامي عبر العالم . وغرس الإيمان بالمساواة والوحدة الإنسانية بين البشر .

وقـد أوضـح الاهوانـي (١٩٦٧) أهـداف التربية الإسلامية بقوله " أن التربية الإسـلامية جمعت بين تأديب النفس وتصفية الروح ، وتثقيف العقل ، وتقوية الجسم فهي تعنى بالتربية الدينية والخلقية والجسمية دون تضحية بأي نوع منها على حساب الآخر" .

وعـند تفحـص الأهـداف السـابقة يُلاحظ أن هناك توافقاً تاماً بين تلك الأهداف والأهداف التربوية عند ابن الجوزي ، فقد دعا إلى تهذيب النفس ومجاهدتها ، كما دعا إلى تثقيف العقل وإعطائه قيمة كبيرة وربطه بالذكاء ، كما ربط الذكاء بالقدرة على التحصيل ، والفهم. كما اهتم بالتربية الجسمية حين دعا إلى نظافة الجسد ونظافة الملابس ، وحين دعا إلـى مـنح المـتعلم إجـازة أسبوعية . أما بالنسبة للتربية الدينية فقد أولاها جل اهتمامه واعتبر الغاية من العلم معرفة الخالق والعمل على خدمته . أما بالنسبة للتربية الخلقية فقد كانت الأخلاق عند ابن الجوزي مرتبطة بالدين والاعتقاد، قابلة للتعديل والتغيير، حيث قال : "لـو كانـت الأخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات" (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ب) .

---

* انظر أيضاً : علي الجمبلاطي ، وأبو الفتوح التوانسي ، دراسات مقارنة في التربية الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٣ ، ص (٢٨-٢٩) .

** انظر أيضاً : سعيد التل ، مقدمة في التربية السياسية ، ص ٦٠ .

ولـم يكـن ابن الجوزي أول المفكريين التربويين المسلمين الذين اعتبروا الأخلاق مرتبطة بالدين فقد سبقه ابن سينا حين قال "علم الأخلاق وفلسفته ، بخلاف العلوم الطبيعية لا يمكـن أن يتم أو يتحقق إلاّ بالاعتقاد با   وبصفاته وبخلود النفس والدار الآخرة ، وبأن ا   يعلم ويحاسب بكل كلي وجزئي" (الرشدان ، ٢٠٠٤).

أمـا بالنسـبة للتربية الحديثة فنرى أنها تختلف مع ابن الجوزي في كونها تربية تفصل بين العلم والدين من جهة والدين والدولة من جهة أُخرى ، والمتتبع لأهداف التربية الحديثة ورغم تنوعها واختلافها يلاحظ بأنه ليس هناك أية إشارة تشير إلى أن الهدف من العلـم هو معرفة الخالق ، والعمل على طاعته ، فعلى سبيل المثال ، يرى ديوي أن التربية "هـي الحياة نفسها وليست مجرد إعداداً للحياة ، وبأنها عملية نمو ، وعملية تعلم وعملية بـناء وتجديد مستمرين للخبرة ، وعملية اجتماعية" . ويقول ديوي "ولتكون التربية عملية حـياة لا بـد أن ترتبط بشؤون الحياة ولتكون عملية نمو وعملية اكتساب الخبرة لا بد أن تـراعى فـيها شـروط الـنمو وشـروط التعليم وشروط اكتساب الخبرة . ولتكون عملية اجتماعـية لا بـد أن تتضـمن تفـاعلات اجتماعية ولا بد أن تتم في جو ديمقراطي وجو اجتماعي صالح" (فهمي ، ١٩٨٠) .

ويحـدد جون ديوي أهداف التربية بقوله " إن التربية ليس لها أهداف خارج عملية التربـية نفسـها فالهدف الأعلى للتربية هو تحقيق استمرار التربية ، أو بعبارة أوضح إن هـدف التربـية هـو أن تساعد الفرد على أن يستمر في تربيته وبالتالي في نموه وتعلمه وتكيفه مع بيئته وحياته" (التل ، ١٩٨٧) .

وبإلقـاء نظـرة على كتابات جون ديوي يُمكن التعرف على بعض الأهداف الفردية والاجتماعـية للتربية . وتتضمن هذه الأهداف هدف تحقيق النمو المتكامل للفرد ، وهدف اسـتمرار الخـبرة وتجديدها ، وهدف تحقيق الكفاية الاجتماعية ، وهدف تطوير المجتمع والارتقـاء بـه وذلـك عـن طريق خلق الفرد المتمتع بالشخصية المتكاملة ذات المعارف والاتجاهات والمهارات اللازمة لتحقيق الكفاية الاجتماعية (الرشدان ، ٢٠٠٢) .

أمـا التربـية الوجوديـة فتهدف إلى تعويد الفرد على النظام والقدرة على الإنتاج والـنقد، فالفـرد فـي التربية الوجودية يعيش في عالمه الخاص ، منفصلاً عن غيره من البشـر، وهـو الوحيد الذي يقرر حياته ومصيره ، كما أن لديه الحرية في اختيار سلوكه بالرغم من وجود المؤثرات الخارجية المختلفة . (ناصر ، ٢٠٠١) .

أما التربية الماركسية فهي تقوم على أساس ربط التعليم بالعمل الإنتاجي الصناعي الحديث والممارسة العملية ، كما تهدف إلى جعل التربية تربية مستمرة . (ناصر ، ٢٠٠١).

وهـناك عدد من المبادئ التربوية التي تميزت بها التربية الحديثة التي عرفت في مطلع القرن العشرين ولا بد من عرضها للتعرف على التربية الحديثة ، ومن هذه المبادئ (الرشدان ، ٢٠٠٢) *

أول هـذه المبادئ تقدم التربية على التعليم ، حيث اعتبرت التربية الحديثة التعليم جزءاً من التربية العامة ، واهتمت بتكوين الطفل تكويناً شاملاً بحيث يمتلك العلم والمعرفة مـن جهـة ، والنضـج والنمو والقدرة على التفكير والمحاكمة من جهة أُخرى . فالتربية الحديـثة تعـنى بتربـية الفكـر والجسد والتربية الخلقية والمهنية والجمالية من جوانب الشخصـية . كما تدعو إلى تكوين إنسان لا إلى تكوين علاّمة يحمل المعلومات فوق جسم هزيل ، وخلق مضطرب وقدرات مهنية مقتولة .

وثانـي هـذه المبادئ إسناد التربية إلى علم النفس . حيث استندت التربية الحديثة على علم النفس فأصبحت اهتمامات الطفل وميوله محور هذه التربية ورائدها . كما عاملت الطفل كطفل وليس كراشد .

وثالـث هـذه المبادئ ، اعتبار الطفل محوراً للتربية ، حيث اعتبرت الطفل محور العملـية الـتربوية ، فاهتمـت بميوله وطباعه ومقومات الشخصية واختلفت عن التربية القديمة التي كانت تهتم بالمناهج والمعلم والإمتحانات ، وكل عناصر النظام المدرسي ، ما عدا الطفل .

أما رابع هذه المبادئ فهو الاستقلال . فقد قامت التربية التقليدية على مبدأ السلطة ، فـالطفل فـيها يقـبل ما يصدر عن المعلم ذلك الراشد الكبير دون مناقشة . أما التربية الحديـثة فقامـت علـى الحـرية ، والاستقلال في التفكير ، وتنمية التفكير الناقد . ويرى مشـرعو التربـية الحديثة أن الشخص المستقل هو الذي يسير وفق قانون يصنعه بنفسه

* انظر أيضاً د. عبد الله زاهي الرشدان ، المدخل إلى التربية ، دار الفرقان عمان الأردن ، ١٩٨٧ م ص (١٢٦ـ ١٣٨) .
و عبد الله الدايم : التربية عبر التاريخ ص ٥٠٤ – ٥٣٩) .
وبول فولكييه ، المدارس الحديثة ، تعريب عبد الله الدايم وآخرون ، دمشق ، المطبعة الجديدة ، ١٩٦١ ، ص ١٢٥ .

ولـيس قانون وضعه الآخرون . ومعنى هذا أن الشخص الذي يسير وفق هواه ونزواته لم يصل إلى الاستقلال الحقيقي بعد .

وتقـول الآنسـة هيلين باركهرست صاحبة طريقة دالتون " إن الطفل الذي يفعل ما يروق له ليس بالطفل الحر بل هو على العكس معرض لأن يغدو عبد عادته السيئة" ويقول ديـوي بهـذا المعنى " إن الكائن الذي لا يعرف سلوكه سيداً غير الهوى هيهات أنه يملك اكثر من حرية موهومة خادعة . فهو يسير بقوى ليس له عليها أي سيطرة" . ويقول فيير أن وجـود الاستقلال في المدرسة "يحرر الطالب من وصاية الراشد الشخصية ولكن ليضعه تحت وصاية ضميره الخلقي الشخصي" . (الرشدان ، ٢٠٠٢) .

ويـتم تشجيع الإستقلال الفردي عن طريق الفعاليات الفردية وحرية اختيارها : أما إسـتقلال الجماعـات فتـتم تنميـته عن طريق الإسهام في الأنشطة الجماعية كالمخيمات الصيفية أو الحياة الداخلية في المدرسة .

وخـامس تلـك المـبادئ : توفير بيئة طبيعية حيث يؤمن أنصار المدرسة الحديثة باسـتقلال الطفـل لأنهـم يؤمـنون أن الطبيعة خيرة ، ولذا فإنهم يعتبرون أن الخصائص الأساسـية للمدرسـة الحديثة أنها مدرسة داخلية أسرية تقع في الريف . كما أن المدرسة الحديثة التي تحاول تحقيق التربية الأسرية تضم كلا الجنسين من الأطفال والمراهقين . وقد اختلفت آراء المربين حول ضم الجنسين في مدرسة واحدة ، بين مؤيد ومعارض .

وسـادس تلك المبادئ : تربية فردية وسط روح جماعية حيث ترى التربية الحديثة أنـه علـى التربـية أن تكون فردية حيث تتيح للفرد تحقيق كامل إمكاناته التي تميزه عن سـواه، وذلـك عن طريق إتاحة الفرصة والحرية لكل فرد لاختيار النشاط الذي يناسبه أو المـواد الدراسـية التـي يتعلمها . أما المدرس فيكون دوره التوجيه والإرشاد فقط ، وفي الوقـت نفسه تركز المدارس الحديثة إلى تنمية الروح الجماعية بين الطلاب بحيث لا تطغى الـروح الفـردية الأنانـية ، وتكون خطراً على الأفراد وعلى المجتمع ، وذلك عن طريق تشجيع العمل في فريق .

أمـا سـابع تلك المبادئ : جو من التفاؤل والثقة : تتميز التربية الحديثة بتفاؤلها بأثـر التربـية ودورهـا في توجيه طبيعة الطفل الخيرة إلى الأنشطة الإيجابية . كما تثق

بالإنسـان وقدرتـه على النمو والاكتمال ، وتسعى إلى إقامة جو من الثقة المتبادلـة بين المعلمين والطلبة من جهة ، وبين الطلاب أنفسهم من جهة أُخرى .

المعلم :

يعتـبر المعلم العمود الفقري للتعليم ، ويعود مقدار صلاح التعليم إلى مقدار صلاح المعلم . فالمباني الجيدة والمناهج المدروسة والمعدات الكافية تتميز بقلة الجدوى في حالة عـدم توفـر المعلـم الصالح ، بل أن وجود المعلم الكفء كثيراً ما يعوض النقص في هذه النواحي (الرشدان ، ١٩٨٧) .

إن مفهـوم التربـية أوسـع مـن مجـرد تحصـيل المعرفة أو امتلاك المهارات والاتجاهات، وإنما يشمل كل هذه المعارف والمهارات والاتجاهات ، والمسؤول عن تحقيق هـذا التكامل هو معلم مبدع ، مثقف ، ذكي ، متجدد في معلوماته وتطلعاته ، ولإيجاد مثل هذا المعلم فانه لا بد من إعداده إعداداً سليماً وإلاّ فإن الحصاد يكون غير مرض (وودينج ، ١٩٧٣) .

فالتعلـيم فـي عصرنا الحاضر يتطلب قدراً من النشاط والمعرفة وتحمل المسؤولية وتطبـيق ما تم تعلمه من أجل تحقيق الأهداف ، فالتعليم لم يعد مهنة من لا مهنة له ، ولم يعد أقصر الطرق للحصول على وظيفة (مرسي ، ١٩٨٤) .

كمـا أن الكـم الهائل من المعرفة التي تكتشف كل يوم والتغير السريع في أساليب الحـياة ، والتنوع في أساليب البحث ، كل ذلك يتطلب إعداد معلم يكون قادراً على مجاراة روح العصـر الـذي يعيشـه قـادراً علـى إرشاد طلبته إلى مصادر المعرفة واستخراجها ومناقشتها ، وتقييمها (حسين ، ١٩٩٨) .

وقد أصبح التعليم الآن مهنة لها مقوماتها ، ولها متطلباتها وأخلاقياتها ، وأصبحت عملـية إعداد المعلم عملية مخططة متنوعة المراحل . فالمعلم عليه القيام بأدوار معينة ، ولا بـد من امتلاكه لخصائص لازمة وضرورية في التربية المعاصرة وواجبات عليه القيام بها.

أما عن الخصائص التي على المعلم امتلاكها فتتمثل بما يلي :

الرغـبة الطبيعـية فـي التعلـيم ، حيث تؤدي تلك الرغبة إلى تقبل المعلم لطلابه وللموضـوع الذي يدرسه بحب ودافعية . فالرغبة الصادقة ، توفر الاستعداد ، والاستعداد

الأصـيل يضـمن تطوير القدرات والحماس العلمي . والالتزام الفطري والطبيعي بمتطلبات مهـنة التعلـيم ، حيـث يؤدي هذا الإلتزام إلى إنتاج تعليم منتظم وهادف ومؤثر. والذكاء المناسـب ، فـالعمل التعليمي يتطلب الذكاء المناسب ، كما تتطلب التربية المعاصرة معلماً لديـه ذكـاءٌ فـوق المتوسط على الأقل وذلك لمساعدته في تشكيل رؤيته التربوية واتخاذ قـراراته التعليمـية المـتعلقة بجوانب العمل التعليمية داخل الفصل وخارجه (الخميسي ، ٢٠٠٠) .

وكذلـك المعـرفة الكافـية ، حيث يحتاج المعلم في التربية المعاصرة إلى معارف مختلفة، معرفة عامة تتمثل في أساليب العلوم ومبادئها، ومعرفة خاصة بموضوع تعليمه ، ومعرفة لطرق التعليم (Miller , 1987)، ومعرفة التلاميذ الذين يعلمهم حيث يتمكن المعلم مـن تحديـد الخصـائص الفكرية والنفسية والاجتماعية لتلاميذه ومن ثم يكون أقدر على اختـيار أسـاليب تعلـيمهم، وتوجـيههم وإرشـادهم ومراعاة الفروق الفردية بينهم وحل مشـكلاتهم السـلوكية والتعليمية . كما أن على المعلم أن تكون لديه المعرفة بذاته ، حيث يعـرف مواطـن قوتـه ومواضع ضعفه ، وقدراته العامة في التعليم التي تتفق مع قدراته وإمكاناته الشخصية.

وكذلك الصحة الجسمية والعقلية ، حيث تتطلب مهنة التعليم جهداً كبيراً يحتاج إلى تمـتع المعلـم بالصـحة الجسمية والسلامة النفسية والتحكم العام في العواطف والمشاعر وضبط الانفعالات قدرٌ الإمكان . (الخميسي ، ٢٠٠٠)

والمظهـر العـام المناسب ، حيث تعقد أهمية كبيرة على مظهر المعلم بحيث يكون مقـبولاً فـي مظهـره ولباسه فالمعلم نموذج لتلاميذه وقدوة لهم ، وعلى المعلم أن يهتم بمظهره وألاّ يكون محل انتقاد التلاميذ .

والمهـارات فـي العلاقـات الاجتماعية ، بحيث تكون لديه القدرة على التعامل مع المترددـن علـى المدرسة من أولياء أُمور ومشرفين تربويين وممثلي المجتمع المحلي ، ومـن طلـبة ومعلمين وإداريين وعاملين . والصوت المسموع المرن المناسب لمتطلبات الموقـف التعليمي . حيث على المعلم أن يكون واضح الصوت وأن يغير في نبرته ودرجة صـوته وذلك ليجذب انتباه الطلبة وليتجنب الرتابة التي تؤدي إلى الملل وتشتيت الانتباه . والموضـوعية والعـدل فـي الحكـم ومعاملة التلاميذ ، فالتلاميذ يتفاوتون في مستوياتهم الاجتماعـية والثقافية والاقتصادية ، كما يختلفون في قدراتهم الفردية على التعلم ، وعلى المعلـم أن يتميز بالموضوعية والبعد عن الانحياز والنظرة الشخصية . والصبر ، فالمعلم

يتعرض لمواقف تعليمية متنوعة تتطلب منه جهداً ومعرفة ، وكذلك فإنه يتعرض لمستويات عقلـية مختلفة من التلاميذ ومستويات أخلاقية واجتماعية متنوعة من الإداريين والمعلمين وأولياء الأمور تتطلب منه أن يتحلى بالصبر والتأني والحكمة . (الخميسي ، ٢٠٠٠) .

وكذلـك بالاطلاع والرغبة في التعلم المستمر فالتعليم يعتبر علماً أدائياً تطبيقياً يقوم علـى معطـيات ونـتائج التقدم الحادث في علوم متعددة وهو دائم التغير والتطور ، وعلى المعلـم أن يكون دائم الاطلاع والإلمام بكل جديد في مهنته وفي غيرها من المبادئ الأخرى ذات العلاقـة (الخميسي ، ٢٠٠٠) *. والإخلاص والحماس حيث يدفع الإخلاص في المهنة والحماس إلى التعليم المعلم إلى تحمل كل الصعاب من أجل القيام بواجبه وأن يكون أميناً ، مهذباً متواضعاً ، مرناً بعيداً، من الجمود والتعصب (Woolfolk , 1987) .

لقـد كان دور المعلم في التربية القديمة يتمثل بنقل المعرفة إلى أذهان الطلبة ، مع التقيد التام بما نص عليه المنهج من موضوعات ، حيث كان إتقان المعلومات غاية في حد ذاته . أمـا في عصرنا الحالي ، وفي ظل التغيرات السريعة وانتشار التكنولوجيا فقد طرأ تغيـير علـى دور المعلـم ، واصبح يقوم بأدوار متعددة كدور الوسيط في التعليم والمنظم للتواصـل ، كمـا اصـبح معداً للأهداف ، حيث يعنى بتحديد الأهداف السلوكية على شكل نتاجات تعليمية منتظرة ، وتكون تلك الأهداف مرتبطة بالأهداف التربوية العامة (إبراهيم ، ١٩٩٩). كما اصبح يقوم بدور المشخص وذلك من خلال معرفة خصائص طلابه وتحديدها ، لأن ذلـك يعيـنه علـى فهم طبيعة المتعلمين حيث يستطيع تحديد نواحي القوة والضعف عـندهم ومسـتوى قدراتهم على التعلم (العريان ، ١٩٧٨) ، ويتمثل دور المعلم كمشخص بمساعدة الضعيف ووضعه على طريق الفهم الصحيح والعمل على زيادة ثقته بنفسه ، وفي الوقـت نفسه فإنه يوجه القوي إلى المزيد من القراءات والبحوث ، نحو مزيد من الاطلاع (نشواتي ، ١٩٨٤).

كمـا أصبح المعلم مصمماً للبرامج ، مسؤولاً عن إعداد المواد التعليمية اللازمة ، كرزم التعلم الذاتي ، والمجمعات التعليمية ، وذلك لتمكين الطلبة من ممارسة عملية التعلم.

أما دوره كمخطط وموجه للعملية التعليمية فيتم من خلال تجزئة المادة التعليمية إلى وحـدات بسـيطة وتقويمها بشكل متسلسل ، بحيث يقوم المتعلم بالاستجابة لكل وحدة على

* انظر أيضاً : Muhammad Ali Alkhuli , Teaching English To Arab Student Riyad , Saudi Arabia , Third Edition , 1989 PP . 11-12 .

حـده، ومن ثم يزود بالتغذية الراجعة للتأكد من صحة استجابته أو تعديلها إذا كانت بحاجة إلـى تعديـل ، وكذلك فالمعلم مهندس للسلوك وضابط لبيئة التعلم وذلك عن طريق "ترتيب بيئة التعلم بحيث يحصل المتعلم على السلوك المراد" (العريان ، ١٩٧٨) .

كما يقوم المعلم بتوفير التسهيلات اللازمة للمتعلم عن طريق تحديد إمكانات مختلف مصادر التعلم ، كما يساعد التلاميذ على اختيار البدائل التعليمية المناسبة ، من أجل تحقيق أهداف التعلم . وكذلـك يقوم المعلم بدور المستشار حيث يتعاون مع الآباء ، ومع زملائه من المعلمين ، والمجتمع المحلي (Prodromu , 1991) . كما يقوم بدور المتخصص في الوسائل التعليمية حيث يكون قادراً على استخدامها ، وصيانتها ، وقادراً على تقويم صلتها بـالأهداف التدريسية . ويعتبر المعلم باحثاً ومجدداً بحيث "يكون المعلم قادراً على التنظير من خلال ما يقوم به من ممارسات أو أن يفكر بطريقة منطقية ناقدة في كل ما يقوم به من أنشـطة أو أعمـال" . وكذلـك فـإن دوره يمتد ليكون قادراً على وضع تصورات لإجراء الـتعديلات اللازمـة، ووضعها موضع التنفيذ . والمعلم مقوٌم للنتائج التعليمية فالمعلم هو الراصـد لـتلك العمليات ، والمقوم لتلك الخطوات لمعرفة مدى نجاحها في تحقيق الأهداف الموضوعة ، والوصول إلى النتاجات المنتظرة (إبراهيم ، ١٩٩٩) .

أما الخميسي (٢٠٠٠) فيرى أن المعلم يقوم بعدة أدوار تتمثل بما يلي :

اعتـبار المعلـم كمتخصص أكاديمي ، حيث يفرض الدور الأكاديمي والعلمي على المعلم أن يكون متمكناً من تخصصه ملماً بجزيئاته المعرفية والمعلوماتية والمهارية ، وذلك عـن طـريق إعـداد المعلم إعداداً علمياً ومهنياً ، بالإضافة إلى مطالبته بالتعليم المستمر والـتعلم الذاتـي مـن خلال القراءة في تخصصه ومتابعة المستجدات في البنية المعرفية والمعلوماتـية وكذلـك حضـور بـرامج ودورات التدريـب أثناء الخدمة بمختلف أشكالها كالمحاضرات وورش العمل ، والتعلم عن بعد والتعلم الموجه .

وكذلك على المعلم أن يكون متخصصاً في طرق التعليم ، فالمعلم ليس مجرد حامل معـرفة تفـوق معرفة من يقوم بتعليمهم ، بل هو بالإضافة إلى ذلك لديه معرفة في طرق تقديـم مادة الدراسة ، وهو بالإضافة إلى ذلك يتمتع بمجموعة من المهارات التي يدير من خلالهـا موقفه التعليمي ، فهو يصدر التعليمات ، ويناقش ويحاور ، ويطرح الأسئلة ويعزز الاستجابات ، ويستثير دافعية الطلبة ، ويراعي الفروق الفردية ويدعو إلى التفكير العلمي، ويستخدم أُسلوب حل المشكلات ، كما يقوم بالعقاب حين يستدعي الموقف ذلك .

ويعتـبر المعلم مربياً للشخصية ، حيث يقوم المعلم بالاهتمام بتنمية شخصية الفرد جسـمياً وعقلـياً وخلقياً وسلوكياً ووجدانياً ، وإكسابه القيم والاتجاهات والأخلاق المقبولة اجتماعـياً ، وكمـا ينمـي الأخـلاق والمعايير الخلقية لديه ، فالمعلم يقوم بدور إرشادي وتوجيهي وقائي وعلاجي في آن واحد . ويكون هذا الدور مرهوناً بكفاية المعلم الشخصية وخصائصـه السـلوكية ، وذلك لأن المجتمع والمتعلمين يتوقعون من المعلم أن يكون مثلاً يحتذى به وقدوة يُقتدى بها (الخميسي ، ٢٠٠٠) .

أما بالنسبة لنظرة التربية في الفلسفات الحديثة للمعلم فكانت كما يلي :

تـرى التربية البراجماتية أن المعلم عبارة عن موجه ومرشد للتلاميذ ، غير ملقن للمعلومـات . كمـا يتصـف المعلم بالعطف والقدرة على التفسير ، كما يتمتع بالفهم التام لمادته، والتفهم لتلاميذه .

أمـا التربـية الوجودية فترى أن وظيفة المدرس الأساسية تتمثل بالمحافظة على الحـرية الأكاديمية والإستمرار في التعلم لاكتساب الخبرات المتجددة ، والتعاون مع الطلبة فـي غرفة الصف من أجل إكسابهم الخبرات التي يحتاجونها . كما أن على المعلم مراعاة الفروق الفردية بين طلبته ، ومراعاة ميولهم واهتماماتهم . (الرشدان ، ١٩٨٧) .

أمـا التربـية الماركسـية فـترى أنـه على المعلم أن يكون مؤمناً بفلسفة الدولة الاجتماعـية ، وأن يكـون سلوكه سلوكاً اشتراكياً ماركسياً داخل المدرسة وخارجها . كما علـيه أن يتمـتع بـثقافة جامعة تؤدي إلى تنمية الذات وحب العمل . كما عليه أن يكون متفهماً للأهداف التربوية والنظريات التربوية الحديثة . وأن يغرس في التلاميذ القدرة على التفكـير المستقل والنقد والتحليل . وأن يكون مؤمناً بالقيم والمثل الإنسانية والديمقراطية وخاصة المتعلقة بالعمل والإنتاج . (ناصر ، ٢٠٠١) .

مما سبق تلاحظ الباحثة أن هناك أدواراً للمعلم لم تختلف منذ عصر ابن الجوزي ، وأن أدواراً أُخـرى قد اختلفت ، نتيجة للتغيرات الثقافية والاجتماعية والفلسفية التي أثرت في التربية في العصر الحالي .

فهناك الكثير من الأدوار المشتركة للمعلم عند كل من ابن الجوزي والتربية الحديثة مـنها : المـنزلة الكبـيرة التي يحظى بها المعلم ، واعتبار المعلم مربياً للشخصية مهتماً

بتنمـية شخصـية الفرد جسمياً وعقلياً وسلوكياً ووجدانياً . ودور المعلم في تنمية المعايير الخلقـية لـدى الطالب حيث يقوم بدور إرشادي ووقائي وعلاجي . كما يكون المعلم قدوة لتلاميذه ، مراعياً للفروق الفردية ، متحلياً بالآداب وبالمظهر اللائق ، يتعلم تعليماً مستمراً، وذاتياً .

أمـا الاخـتلافات بيـن العصرين فتعود للأدوار الجديدة للمعلم التي ظهرت في هذا العصـر ولم تكن موجودة سابقاً ومن هذه الأدوار ، أن المعلم لم يعد مصدر المعلومة ، كما كان في عصر ابن الجوزي ، بل اصبح المتعلم هو محور العملية التعليمية ، والمعلم عبارة عن مرشد وموجه . كما أن ظهور التقنيات الجديدة أدى إلى ضرورة إكساب المعلم مهارات معيـنة ، وطـرائق جديـدة في التعليم ، حيث أصبح مصمماً للبرامج ، مسؤولاً عن إعداد المواد التعليمية ، ومخططاً للعملية التعليمية ، باحثاً ومجدداً .

الأساليب التربوية في التدريس عند ابن الجوزي في ضوء التربية الحديثة :

"يقصـد بأساليب التدريس : مجموع الإجراءات والتدبيرات التي يأخذ بها المعلم في عملـية الـتفاعل المتـبادل بيـنه وبين المتعلمين ، وعناصر البيئة المتنوعة التي يهيئها لإكسـابهم المعـارف والمعلومات والخبرات والمهارات ، ولبناء القيم والاتجاهات في فترة زمنية هي الدرس . وتتنوع أساليب التدريس تبعاً لنوع المادة وخصوصيتها ولنوع الهدف السـلوكي ومجاله ومستواه ، ولطبيعة المتعلمين من حيث الجنس ، والمستوى الدراسي ، والبيئة الثقافية والاجتماعية إلى جانب بيئة التعليم المحلية والخارجية وللإمكانيات المتاحة والتسهيلات المرافقة والزمن المحدد" (عيد ، ١٩٩٨) .

أمـا بالنسـبة لأساليب التربية عند ابن الجوزي فستقوم الباحثة بعرضها في ضوء التربية الحديثة .

المجالس الوعظية :

لقد كانت المجالس الوعظية التي يلقيها ابن الجوزي تتم في ساحات المسجد وذلك لارتفاع عدد الحاضرين .

فقد كانت المساجد الإسلامية المعروفة على مر العصور مناراً للعلم والمعرفة حيث يـدرس فيها طلاب العلم التفسير والحديث والفقه والطب والفلك والهندسة ، وجميع العلوم المعروفة (ناصر ، ١٩٩٢) .

أمـا فـي العصـر الحالي فما زالت دور العبادة تحظى بدور هام في التربية ، ففي الولايـات المـتحدة الأمريكـية ما زالت دور العبادة تلعب دوراً أساسياً في التربية الخلقية والدينـية والحـث على التمسك بالقيم والعادات والأنماط السلوكية النابعة من تراث الأمة الديني أو العقائدي . وما زالت دور العبادة الإسلامية (المساجد) تلعب دوراً كبيراً في توجيه سـلوك الأفـراد وتنشـئتهم تنشئة مناسبة يرضى عنها الدين ، وترتضيها العقيدة . وفي عصرنا الحالي يقسم علماء التربية بلدان العالم من حيث موقفهم الديني وانعكاس ذلك على التربية ثلاث مجموعات :

١. مجموعة البلدان التي تسيطر فيها الدولة على التربية ولا يكون للهيئات الدينية أو المؤسسـات الدينـية أي اثـر فـي العملية التربوية ، وتشرف الدولة على التربـية، ولا تسـمح لتلك المؤسسات الدينية بمشاركتها في ذلك ، من الأمثلة على ذلك روسيا .
٢. مجموعـة الـبلدان التـي تسير وفق مبدأ الثنائية التربوية ، بحيث يوجد فيها نظامـان تعليمـيان ينفصـل كل منها عن الآخر ، أحدهما يتبع الدولة ، ويتبع الثانـي للمؤسسـات الدينـية على اختلاف أنواعها ومذاهبها ، ولكل من هذه الديانـات والمذاهـب مدارسـها الخاصة بها وتشرف عليها الهيئة الدينية أو المؤسسـة الدينية . كما أن الدولة تدير مدارسها التي لا أثر للدين فيها ، فهي تعلم كل الموضوعات ما عدا الموضوعات الدينية ، ومثال على هذه المجموعة الولايات المتحدة الأمريكية .
٣. مجموعـة البلدان التي تسير على أساس التعاون بين الدولة والمؤسسة الدينية أو الهيـئة الدينـية فـي الإشراف على العملية التربوية ، حيث تشرف الدولة والمدارس على وضع المناهج التربوية ، وتكون فلسفة التربية في تلك البلدان قائمة في مسيرتها الاجتماعية والحياتية على الأسس الدينية ، أو نابعة من دين الدولة الرسمي ومثال على ذلك إنجلترا،وبعض الدول العربية (ناصر، ١٩٩٢).

نلاحـظ أن هـناك تشابهاً في دور المسجد في العصور المختلفة وبما فيها عصرنا الحالي وكذلك في عصر ابن الجوزي ، بحيث يقوم المسجد بدور التنشئة الدينية والخلقية ، والتركـيز علـى العلـوم الدينـية ، إلاّ أنـنا نلاحظ انحسار دور المسجد في وقتنا الحالي واقتصـاره على خطبة الجمعة ، وبعض الدروس الدينية فقط ، بعد أن كان المسجد مركزاً

لتعليم العلوم كافة ، وحلّ محل المسجد في هذا الدور كل من المدارس والجامعات المتخصصة .

أما الأسلوب الذي اتبعه في مجالسه أقرب إلى أُسلوب المحاضرة ، حيث يعتبر هذا الأسلوب من الأساليب الشائعة في التعليم تقوم على إعداد المعلم لدرسه وتقديمه عن طريق التحدث والإلقاء (عبيدات ، ١٩٨٥) .

وبالرغم من ظهور الأساليب التربوية الحديثة ، ما زال أُسلوب المحاضرة يستخدم في معظم المدارس ، وفي كل الجامعات ، وفي الندوات العامة ، وقد أدخلت عليها تحسينات جعلت منها طريقة مناسبة للأعداد الكبيرة من الطلبة ، كما أصبح المدرس في وقتنا الحاضر يستخدم الوسائل التعليمية والتقنيات الحديثة في المحاضرة (ناصر ، ٢٠٠١) .

وكذلك فإن أُسلوبه الوعظي قريب من خطبة الجمعة في وقتنا الحالي ، من حيث الاستشهاد بالآيات القرآنية ، واستثارة أحاسيس الحاضرين .

التعليم عن طريق القدوة :

حيث طلب ابن الجوزي من المعلم أن يعمل بعلمه وبذلك يكون قدوة للآخرين . ولقد اتفق ابن الجوزي في هذه النظرة مع التربية الحديثة ، حيث يعتبر المعلم مثلاً يحتذى به وقدوة يقتدى بها وفقاً لتوقعات المتعلمين والمجتمع . حيث يقوم المعلم بإكساب الفرد القيم والاتجاهات والأخلاق والمعايير الاجتماعية (الخميسي ،٢٠٠٠) .

وإبن الجوزي يرى في المعلم المثال والقدوة لتلاميذه ، وذلك لأنه يركز على التربية الدينية والتربية الخلقية ، ولا يمكن إكساب الطالب القيم الخلقية دون أن يعمل المعلم بعلمه، فعلى سبيل المثال لا يستطيع المعلم أن يجعل من تلميذه عادلاً إذا لم يمارس العدل بين التلاميذ ولا يستطيع أن يعلم التلاميذ الصدق إلاّ إذا كان صادقاً . ويرى محمود (١٩٧٣) في كتابه تجديد الفكر العربي أن التلازم بين العلم والعمل " هو أحد الأركان الرئيسية في الفكر العربي ، حيث لم يتصور أسلافنا قط أن يقتصر الإنسان على حكمة العقل دون أن يمدها إلى فعل يؤديه بناءً عليها ، فلا يكون العلم علماً عندهم إلاّ إذا أعقبه العمل على أساسه ، وهذا ما يميز المفكرين العرب المسلمين عن المفكرين اليونان برغم اشتراكهما في كثير من القضايا الخاصة بالإنسان" .

التعليم بطريقة القصة :

تعتـبر القصة من الأساليب التربوية القديمة التي تهدف إلى تدعيم القيم ، والهداية إلى الطريق الصحيح ، وفي القصة يستطيع الشخص المستمع التوصل إلى العبرة بنفسه ، وذلك لأن القصة تشمل عناصر تشويق وتفاعل مع أحداثها (الشرقاوي ، ١٩٨٣) .

وقـد اسـتخدم ابـن الجوزي القصة كطريقة تربوية حيث كانت القصة ترمي إلى توصـيل المـتعلم إلـى قيم خلقية ، وقيم دينية . كما استخدم القصة كأمثلة ونماذج للذكاء والحمق وقد أكثر من تلك الأمثلة والقصص في كتابيه الأذكياء وأخبار الحمقى والمغفلين .

وتـرى الباحـثة أنه بالرغم من أن القصة من الطرق التربوية القديمة إلاّ أنها ما زالت مستخدمة حتى وقتنا الحاضر والمتتبع لمناهجنا في مادة اللغة العربية ، والإنجليزية ، والاجتماعيات ، والتربية الإسلامية ، يجد الكثير من القصص التربوية .

ويـرى ناصر (٢٠٠١) أن القصة من الطرق التربوية التي ما زالت مستخدمة في عالمـنا العربـي والـبلدان الأخرى في العالم حتى اليوم ، حيث يقص المعلم قصة طريفة تحـتوي علـى هـدف تربوي ، مناسبة للموضع المراد طرحه ، وتعتبر القصة من الطرق التعليمية الممتعة للأطفال لأنها تنمي عندهم روح الخيال ، وتؤدي إلى بهجتهم وسرورهم ، كمـا أن هـذه الطريقة تصلح أيضاً للكبار ، كنوع من الاستشهاد بها كمثال على حادثة أو توضـيح لموقـف أو الوصـول إلـى عبرة ، كما يمكن استخدام القصة في كافة المراحل الدراسـية لمـا فـيها من إثارة وتشويق ، وجذب لانتباه الطلبة ، ونقل لهم إلى جو الحياة الواقعية وخاصة إذا كانت القصة من واقع الحياة العملية .

التعليم عن طريق إعداد التصانيف :

دعا ابن الجوزي إلى استخدام أسلوب إعداد التصانيف ، حيث يعد المعلم التصانيف التـي تمكن الطالب من العودة إليها ودراستها في أي عصر . وبذلك يستفيد منها عدد كبير من الناس ، وإذا نظرنا إلى عصرنا الراهن ، نجد أن المكتبات زاخرة بعدد هائل من الكتب المؤلفة في الأزمان المختلفة ويستطيع الطالب أن يعود إليها ، ويتثقف عن طريقها .

أما بالنسبة لطرق التدريس في الفلسفات المعاصرة فهي كما يلي :

ترى التربية البراجماتية أن طريقة التدريس المناسبة تتمثل بمبدأ التعلم عن طريق العمل (علي ، ١٩٩٥) . ولذا فهي تركز على ضرورة التنويع في الأساليب بما يتناسب مع الأهـداف التعليمـية دون التركـيز على عملية التلقين والحفظ ، وذلك باتباع أسلوب حل المشـكلات واسـتخدام الأسـلوب العلمي ، وطريقة الاكتشاف والاستقصاء ونماذج التعليم والرزم التعليمية . (مرعي وآخرون ، ١٩٨٥) .

أما التربية الوجودية ، فهي تركز على الخبرات الذاتية ، وطريقة التعليم بالحرية ، والتركـيز على الخبرات الذاتية والمناقشات وتبادل الآراء والحوار . (الرشدان ، ١٩٨٧) وترفض الحفظ والتلقين . (ناصر ، ٢٠٠١) .

أما التربية الماركسية فتؤكد على أساليب التدريس الجماعية ، كأسلوب التعاونيات، ونظام الأسر المدرسية ، وتنبذ الطرق الفردية في التعليم . كما تركز على الجوانب العملية والتطبيقية واستخدام الوسائل التعليمية الحديثة . (ناصر ، ٢٠٠١) .

ممـا سـبق نلاحظ أن هناك اتفاقاً بين ابن الجوزي والتربية الحديثة بالتركيز على ربـط الـتعلم بالعمل . ولكن هناك اختلافاً في التركيز على الحفظ والتلقين ، حيث يرى ابن الجـوزي ضـرورة الاهـتمام بالحفظ واعتبره رأس المال في التعلم . أما التربية الحديثة رفضت ذلك .

مبادئ التربية عند ابن الجوزي في ضوء التربية الحديثة :

١. مراعاة الفروق الفردية :

يمكـن تعـريف الفـروق الفـردية : "بأنهـا الانحرافات الفردية عن متوسط المجموعـة" (الشيخ ، ١٩٨٢) كما يقصد بها "مجموع السمات والصفات التي تمـيز أي فرد من أفراد المجموعة عن غيره ، وأي مجموعة من المجموعات عن غيرها" (الشرايري وعيد ، ١٩٩٤) .

ولقـد أدركـت البشـرية منذ القدم أهمية الفروق الفردية ، حيث أدى اختلاف القـدرات بين الأفراد إلى تنوع الكفاءات في المجتمع مما أدى بدوره إلى رقي المجتمع وحضارته . وتعتبر الفروق الفردية أمر طبيعي في خلق الإنسان ، لذا لا بـد مـن وجودهـا فـي الأجواء المدرسية ، وكذلك فإنه يجب على المعلم مراعاتها في سلوكه ونهجه أثناء تعليمه (محمود ، ١٩٨٤) .

ولقـد اتفـق ابـن الجوزي مع التربية الحديثة في دعوته إلى ضرورة مراعاة الفروق الفردية . *

فقد دعت التربية الحديثة إلى مراعاة الفروق الفردية ، والاستعدادات والمواهب الفكـرية المختلفة في التدريس (الرشدان والجعنيني ، ١٩٩٤) ، حيث يؤكد معظم علماء التربـية وعلمـاء النفس ضرورة بناء المناهج بطريقة تنسجم مع النمو العقلي والجسمي للمتعلميـن ، وقـد اهـتم علماء التربية الخاصة ببرامج متخصصة لكل من الطلبة بطيئي التعلم والطلبة المتفوقين. (الرشدان،٢٠٠٤) .

والفـروق الفـردية لهـا أهمية أخلاقية تربوية لأنها تؤدي إلى محاولة معرفة الضـعف ومواطـن الخطأ في كل عمل يقوم به الشخص والعمل على تقويمه (الهاشمي ، ١٩٨٥) .

وقـد أجريت في العصر الحديث أبحاث متعددة لمعرفة الاختلافات الفردية ومدى هـذه الاخـتلافات ، وكانـت نتيجتها أن هناك اختلافات في الذكاء ، وفي الشخصية وفي الأخـلاق ، وفـي طبـيعة الأشـخاص ، وفـي مقدرتهم على العمل ، وقد تم تقسيم هذه الاخـتلافات إلـى ثـلاث أنواع هي الاختلافات الجسمية والمزاجية والعقلية ، وتعود هذه الفروق إلى عاملين هما الوراثة والبيئة .

وقـد اعتنـت مـدراس التربية الحديثة بالطفل ، واهتمت بالفروق الفردية بين الأطفال ، حيث تعامل التلاميذ معاملة فردية ، ولذلك فقد اتخذت من الفرد وحدة للتدريس ، وتعمـل علـى توفـير الفرصة للطفل كي يتمتع بالنمو الجسمي والعقلي والخلقي ، ومن المـدارس الحديـثة التـي اهتمت بالفروق الفردية بين الأطفال ووجهتها ، بيوت الأطفال لمنتسوري ، ومراكز الاهتمام لديكرولي ، وطريقة المشروع لكلباترك وغيرها (الرشدان ، ١٩٨٧) .

كمـا تعتـبر مـراعاة الفروق الفردية من الأسس التي تقوم عليها ديمقراطية التعلـيم، حيـث تعني إيمان المجتمع بالكفاءات المختلفة التي يستطيع الاستفادة منها في مجـالات العمـل المختلفة . ويظهر أثر هذا في الفصل الدراسي عندما يعرف المدرس أن

* لمزيد من التفاصيل حول مراعاة الفروق الفردية عند ابن الجوزي انظر إلى مبادئ التربية عند ابن الجوزي في الفصل الخامس .

تلاميذه يختلفون فيما بينهم وبذلك تتنوع علاقاته بهم ، وتتشكل طريقة تدريسه بحيث يستطيع أن يقابل حاجات أفراد الفصل المختلفة المتنوعة (النجيحي ، ١٩٦٥) .

٢. استخدام أسلوب الحفظ :

لقد كانت طريقة المسلمين إجمالاً معتمدة على الحفظ والتلقين ، حيث كانوا يستخدمون هذا الأسلوب في تعليم القرآن الكريم ، وقد كان المسلمون يفخرون بالعلم الذي تحويه الصدور لا بالعلم الذي تحويه السطور . وكان بعض علماء المسلمين يرون البدء بالحفظ قبل الفهم فكان يقال : " أول العلم الصمت ، والثاني الاستماع ، والثالث الحفظ، والرابع العقل والخامس النشر".(الرشدان ، ٢٠٠٢).*

وكذلك فقد اهتم ابن الجوزي بالحفظ ، وذلك لأنه كان يعلّم العلوم الدينية ، فكان يرى أن الحفظ رأس المال ، وخصوصاً في الفقه ، كما وضع شروطاً للحفظ سبق وأن تم عرضها ، فابن الجوزي اتفق مع علماء المسلمين في التركيز على أهمية الحفظ .

ولا يفوتنا القول إن ابن خلدون خالف ابن الجوزي حيث أولى عناية كبيرة للمحاورة ولم يهتم بعملية الحفظ ، كما رأى ابن خلدون أن الطريقة الصحيحة في التعليم هي التي تولي الأهمية للفهم والوعي والمناقشة لا الحفظ الأعمى عن ظهر قلب ، ويشير إلى أن "ملكة العلم" إنما تحصل بالمحاورة والمناظرة في موضوعات العلم . كما ينتقد ابن خلدون طريقة الحفظ عن ظهر قلب ويعيبها ، ويعتبرها مسؤولة عن تكوين أفراد ضيقي الأفق عقيمي التفكير . (مرسي ، ١٩٩٣) .

أما في عصرنا الحاضر فلم يعد للحفظ أهمية كبيرة وذلك لأن التركيز في وقتنا الحالي لم يعد على كمية المادة الدراسية التي يحفظها التلميذ ، ولم يعد التركيز على "ماذا تعرف" حيث اصبح التركيز في هذا العصر ، عصر الانفجار المعرفي ، على كيفية حصول هذه المعرفة ، وكيفية إتقان أدوات التعامل معها "لا ماذا" تتضمنه هذه المعرفة من معلومات ومهارات وخبرات ، وكذلك فإن عملية اكتساب المعرفة لا تتوقف عند حدود الإلمام بها ، بل يجب أن تكتمل باستيعابها وتعميقها وتوظيفها ، فالعلم في عصر المعلومات هو ممارسة العلم ، والتعليم في

* انظر أيضاً : عبد الله عبد الدايم ، التربية عبر التاريخ ، ص ١٨٥ .
و أحمد بكير محمود ، من مذاهب التربية والتعليم ، ، تونس ، ١٩٦٣ ص ١٧ .

عصـر المعلومات هو أن تعلم الفرد كيف يتعلم ذاتياً ، وهذا يتطلب تغيراً جذرياً في علاقـة الإنسـان بالمعرفة في دورتها الكاملة إلماماً واستيعاباً وتوظيفاً وإنتاجاً (علي ، ٢٠٠١) .

وتـرى الباحـثة أن طبـيعة العصر قد اختلفت حيث اصبح هناك تنوع في المعـرفة ، وتراكم في المعلومات ، مما أدى إلى عدم القدرة على حفظها ، كما أنه بـتطور الزمن ، اختلفت طرق التدريس والغاية منها بحيث اصبح الطفل هو مركز العملية التعليمية ولم يعد التركيز على المادة الدراسية باعتبارها هي الأساس في العملية التعليمية . ولذا فإننا نلاحظ أن التربية الحديثة ، لم تعد تهتم لبناء منهاجها على أساس ملء عقول الطلبة بالحقائق الثابتة ، بل على أساس إعادة بناء وتنظيم الخبرات الجديدة .

٣. الربط بين العلم والعمل :

لـم يكن ابن الجوزي أول المفكرين المسلمين الذين دعوا إلى ربط العلم بالعمل فقد سـبقه إلـى ذلك إخوان الصفا في القرن الرابع الهجري حيث رأوا أن التعلم ليس حشو أذهـان التلاميذ بفنون العلم المختلفة أو الإكتفاء بهذا ، بل لا بد من انعكاس علم الإنسان على عمله، ومن لم يعمل بعلمه يضل سعيه (جمال الدين ، ١٩٨٣) .

وكذلـك ابن الجوزي فقد اهتم بربط العلم بالعمل وقد تم التعرض لذلك عند الحديث عن المبادئ التربوية عند ابن الجوزي ، ولقد اتفق ابن الجوزي مع التربية الحديثة التي تـنادي بالربط بين العلم والعمل ، حيث يلاحظ الدارس لأهداف التعليم التي تضعها الدول، وفـي كافـة المـراحل تركز على ضرورة تمثل المتعلم للقيم والاتجاهات العلمية بصورة وظيفية، بحيث تنعكس على شخصية المتعلم وتصرفاته (عبد الدائم ، ١٩٩١) .

وقـد تأثـرت التربـية الحديثة واستفادت من هذه النظرة حيث ربطت بين التربية وسـوق العمل حيث يرى الباحث في التربية البراجماتيه أن شعارها هو "تعلم بأن تعمل" وبهـذا تحولـت المدرسـة إلى مؤسسة اجتماعية لتلبية مطالب سوق العمل ، واكتسبت التربـية الطـابع النفعـي المحـض . حيث أن لا بد للتعليم أن تكون له قيمته الفورية ، فالمعـرفة لا تطلب لذاتها، وإنما تعتبر أداة للعمل المنتج ، والأفكار تعتبر خطط عمل لحل المشـاكل . (علـي ، ٢٠٠١) وللتجربة والخبرة دور أساسي في الحصول على المعرفة حيـث يـتم التعلم عن طريق العمل ويتعلم الطفل عن طريق النشاط . (بدران وآخرون ،

٢٠٠١) . وكذلك فإن المتفحص للتطبيقات التربوية للفلسفة البراجماتيه يلاحظ أنها تركز على تنويع أساليب التعليم واختيارها في ضوء الأهداف التعليمية دون التركيز على عملية الحفـظ والاستظهار وتخزين المعلومات ، وذلك بإستخدام أساليب التجريب والمشروعات واستعمال الأسلوب العلمي في حل المشكلات وإتباع طريقة الاكتشاف والاستقصاء ونماذج التعليم والرزم التعليمية (مرعي وآخرون ، ١٩٨٥) .

وكذلك فإن المطلع على تقرير اليونسكو (١٩٩٩) "التعليم ذلك الكنز المكنون" يرى أن هـناك أربع غايات للتربية وهي تعلم لتعرف ، تعلم لتعمل ، تعلم لتكون ، تعلم لتشارك الآخرين . حيث ركز مبدأ تعلم لتعمل على أهمية العلم وربطه بالعمل .

كمـا نلاحـظ تمـثل هذا المبدأ في العملية التربوية من خلال إعداد المعلم حيث يتم إعـداده قـبل الخدمة ، وأثناء الخدمة لمواكبة المستجدات ولتطوير الذات وتطوير كفاية المعلمين .

٤. عدم الجمع بين اكثر من علم في آن واحد :

دعا ابن الجوزي إلى عدم البدء في دراسة علم حتى يتقن ما قبله وعدم الجمع بين أكثر من علم في وقت واحد .

وقـد اتفـق مع ابن الجوزي المفكر التربوي الإسلامي ابن خلدون حيث نادى ابن خلـدون بـأن لا نعلم المتعلمين علمين معاً في وقت واحد ، وذلك لأن ذلك يشغل المتعلمين ويعرضـهم للفشل والإحباط ، حيث يؤكد أن العقل البشري محدود وغير قادر على الإحاطة بأكثر من علم وفي ذلك يقول : "ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر علـى الإحاطـة بالكائنـات وأسبابها والوقوف على تفعيل الوجود كله " . (أحمد، ١٩٨٢).

وفـي ذلك قال ابن خلدون أيضاً : "أن لا يخلط على المتعلم علمان معاً ، فإنه حينئذ قـل أن يظفـر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منها إلى تفهم الآخـر ، فيستغلقان معاً ويستصعبان ، ويعود منهما بالخيبة ، وإذا تفرغ الفكر لتعلم ما هو بسببه مقتصراً عليه ، ربما كان ذلك أجدر بتحصيله" . (العمايرة ، ٢٠٠٠)

ويخـتلف ابن الجوزي مع التربية الحديثة التي تنادي بضرورة التنويع والتغيير في الـدروس لما يسببه العمل الواحد من سأم وملل وتعب عقلي ، فالتنويع بين الدروس يجدد نشاط المتعلمين ويزيد من احتمالهم عليه (الرشدان ، ٢٠٠٢) .

وفـي العصـر الحالـي ، فإنـنا نلاحظ أنه في مدارسنا يتعلم الطالب علوماً مختلفة، ولا يؤثر ذلك في تحصيله في تلك الدروس حيث يدرس الطالب في المناهج المدرسية المواد العلمية والأدبية ، كما يدرس اكثر من لغة في آن واحد .

٥ . الدعوة إلى عدم التقليد :

ينطوي التقليد "على اكثر من مجرد التمسك بالماضي ، رغم أنه يقدس الماضي. التقليد هو واحد من أكثر القوى المضللة للعقل الإنساني وذلك من خلال الوهم المزدوج الـذي يخدع به الإنسان ... وهم الشعور بالأمن من جهة ... ووهم (الإصابة) في كل ما يفعله المقلدون استناداً إلى (حجة) سالفة (رضا ، ١٩٨٦) .

وقد دعا ابن الجوزي إلى عدم التقليد ، حيث رأى أن المقلد أعمى ، وطلب من المتعلم أن تكون له الإرادة الكافية على اختيار المذهب الخاص به ، وأن لا يكون تابعاً لأحد .

ويـتفق ابن الجوزي مع التربية الحديثة بدعوتها إلى عدم التقليد ، حيث تسعى التربـية فـي عصـرنا الحالي – عصر المعلومات – في تحقيق الهدف التربوي "تعلم لـتكون" إلى إضفاء الطابع الشخصي على عملية التعليم ، حيث تجعل المتعلم لا المعلم، هـو محور العملية التعليمية ، بما يتلاءم مع المطالب الخاصة لكل متعلم . كما تسعى إلـى تنمـية ملكة الحكم على الأمور ، وتحمل المسؤولية ، وتنمية القدرة على الإبداع والخـيار مـن خـلال اتباع أساليـب التعلم بالاكتشاف ، ومن خلال التجربة والخطأ. (علي، ٢٠٠١) .

٦ . الاهتمام بقيمة الزمن واستغلاله :

يعتبر الاهتمام بقيمة الزمن واستغلاله أحد الأمور التي دعا إليها الإسلام ، حيث قـال رسـول الله صـلى الله علـيه وسلم : "نعمتان مغبون فيهما الإنسان الصحة والفـراغ " *. فالمسـلم ينعم الله عليه بنعمتين وهما صحة البدن ، والفراغ في الوقت ولذا فعليه أن يؤدي لكل نعمة حقها بشكر الله ، والعمل على مرضاته ، فإن هو فرط في ذلك فسيكون من الخاسرين (كرزون ، ١٩٩٦) .

* صحيح البخاري ، حديث رقم ٦٤١٢ .

وقـد ورد في الأثر الاهتمام بقيمة الزمن واستغلاله . وقد دعا الزرنوجي إلى إستغلال الوقت بقوله " وينبغي لطالب العلم أن يكون مستفيداً من كل وقت حتى يحصل على الفضل والكمال في العلم " (الزرنوجي ، ١٩٨٥) .

وكمـا دعـا إلـى عـدم إضـاعة الوقت بقوله " فينبغي أن لا يضيع الأوقات والسـاعات ويغتنم الليالي والخلوات ، عن يحيى بن معاذ الرازي أنه قال الليل طويل فلا تقصره بمنامك ، والنهار مضيء فلا تكدره بآثامك" (الوحيدي ، ١٩٩٠) .

كمـا قـال النووي (ت ٦٧٦ هـ) ، (١٩٩٥) في ذلك " ينبغي لطالب العلم أن يكـون حريصـاً على التعلم مواظباً عليه في جميع أوقاته ليلاً ونهاراً ، حضراً وسفراً ولا يذهب من أوقاته شيئاً في غير علم إلاّ بقدر الضرورة لأكل ونوم قدراً لا بد منه ، ونحوها كاستراحة يسيرة لإزالة الملل" . كذلـك فقـد دعا إلى الاستفادة من الوقت وعدم إضاعته، وتقديم الأهم من العلوم لاستغلاله .

أمـا في عصرنا الحالي فهناك تنظيم للوقت نراه في المؤسسات التعليمية حيث تكـون المباحـث موزعـة ضمن أوقات محددة . ولكن بسبب تطور نظم المعلومات وظهـور شـبكات التعلـيم ، وحوسـبته والتعلم عن طريق الإنترنت فإنه أصبح من الضروري الانتباه إلى قيمة الوقت حيث يرى ريحان (١٩٩٨) أنه من عيوب الإنترنت قضاء المتعلمين وقتاً طويلاً في البحث .

٠٧ الدعوة إلى الثقافة والمطالعة :

كـان للظروف الثقافية التي عاش فيها ابن الجوزي الأثر الكبير في دعوته إلى المطالعة والثقافة ، حيث ازدهرت الحركة الثقافية وذلك بسبب تنافس أمراء الدويلات الإسـلامية على احتضان العلم ، وبسبب ظهور الجماعات الفكرية والمذهبية ، وتعدد الأجناس بثقافاتهم المختلفة . كما اتسعت حركة الترجمة وأصبح هناك انفتاح ثقافي ، كمـا توفـرت وسائل البحث من مكتبات وأوراق ومناظرات ، وكان هناك دعم مادي للمؤسسات الثقافية والطلاب ، وقد قال العالم الفرنسي سيديو (sedillot) فـي كتابه "تاريخ العرب العام" إن العرب كانوا أساتذة أوروبا في جميع فروع المعرفة وقد حاول الأوروبيون أن يقللوا من شأن العرب ، ولكن الحقيقة ناصعة وليس من مفر أمامنا إلاّ أن نـرد للعرب عاجلاً أم آجلاً ما يستحقونه من عدل" (الرشدان ، ٢٠٠٤) . كل تلك العوامـل حفـزّت ابـن الجـوزي على الدعوة إلى المطالعة حيث توفـرت مصـادر

المعـرفة المختلفة . وأصبحت هناك حاجة إلى الثقافة في كل العلوم نتيجة لارتباطها ببعضها البعض ، ولقد أشرنا إلى آراء ابن الجوزي بشيء من التفصيل عندما تحدثنا عن مبادئه التربوية .

أمـا فـي عصـرنا الحالي فمصادر المعلومات أصبحت متعددة وأصبح هناك انفجـار معرفـي، يسـتطيع الإنسـان في عصرنا هذا -عصر المعلومات- التوصل للمعلومـة من خلال شبكات المعرفة ، وشبكة الإنترنت ، والمكتبات المختلفة ، ولكن نتـيجة لهـذا الانفجـار المعرفي ، والمعلومات المستفيضة ، ظهرت التخصصات ، وأصـبح كل شخص لديه المعلومات الكثيرة حول تخصصه ، ولكنه بحاجة لشيء من المعرفة حول التخصصات الأخرى .

٨٠ التربية المستمرة :

إذا كـان الفرد كمخلوق بشري يسعى إلى تحقيق ذاته بصفة مستمرة ، فلا بد لـه من الخضوع لتربية مستمرة ، نتيجة لحاجته لاكتساب خبرات متلاحقة . وبهذه الاستمرارية يحيا الفرد حياة متطورة متجددة . وتكون التربية المستمرة دون انقطاع مـن أجل تحقيق آمال الفرد وتنمية قدراته وإمكاناته ومهاراته وتمكينه من مواجهة مطالب العالم المتغير ، فالإنسان مطالب بالتعليم والتدريب ، وتحسين قدراته المهنية والعقلـية ، وإمكاناتـه العقلـية ، من أجل رفع مستوى أداءه والارتقاء بعلاقته مع مجتمعه (ناصر ، ٢٠٠١) . *

ولقد أوصت التربية الإسلامية باستمرارية التعليم (خضر ، ١٩٨٢) حيث قال تعالى في محكم كتابه " وقل ربي زدني علماً " (سورة طه: الآية ١١٤) حيث توضح هذه الآيـة الحاجة المستمرة للإنسان للاستزادة من العلم ، كما قال رسول ا صلى ا عليه وسلم "اطلب العلم من المهد إلى اللحد" .

وقـد ورد فـي الأثـر الدعوة إلى استمرارية التعليم حيث دعا الماوردي إلى استمرارية تعلم الكبار حيث لا يرى أي ضرر في تعلم الإنسان في الكبر ما جهله في الصـغر ، ويقـول في ذلك "وربما امتنع الإنسان من طلب العلم لكبر سنه واستحيائه مـن تقصـيره في صغره ، أن يتعلم في كبره فرضي بالجهل أن يكون موسوماً به ،

* انظر أيضاً :
محمد عبد الهادي عفيفي ، وسعد مرسي أحمد – قراءات في التربية المعاصرة – عالم الكتب ، القاهرة ١٩٧٩ – ص (١٦٩ ، ١٧٠).

وآثـره على العلم، أن يصبر مبتدئاً به ، وهذا من خدع الجهل وغرور الكسل ، لأن العلـم إذا كـان فضيلة، فرغبة ذوي الأسنان فيه أولى ، والابتداء بالفضيلة فضيلة ، ولأن يكون شيخاً متعلماً أولى من أن يكون شيخاً جاهلاً" (الماوردي ، ١٩٩٣) .

أما ابن الجوزي ، فالمتتبع لحياة المعلم والمتعلم التي تم ذكرها سابقاً يجد أن التربـية عـند ابن الجوزي تربية مستمرة ، غير مرتبطة بمرحلة عمرية معينة ، أو بمستوى معين من التعليم .

ويتفق ابن الجوزي مع التربية الحديثة التي تنادي باستمرارية التعليم ، حيث أصـبحت التربية المستمرة مطلباً من مطالب العصر ، حيث أن التربية التي تتم على مقاعد المدرسة النظامية لم تعد في عصرنا الحالي إلاّ جزءاً من شبكة تربوية أوسع وأشـمل وأفعـل ، تضم سائر أشكال الإعداد والتدريب وإعادة التدريب ، التي يقدمها المجـتمع للذين يتخرجون من مراحل التعليم النظامية ، ولمن يتسربون من المدرسة قـبل الأوان، ولم يعد هناك تعليم ، يتم مرة واحدة إلى الأبد ، بل اصبح التعليم عملية مستمرة ، تبدأ قبل الولادة عن طريق تدريب الأمهات والعناية بهن ، وتمتد بعد ولادة الطفـل وقـبل دخولـه الروضة ، وتأخذ بعد ذلك صوراً متعددة لدى الذين يغادرون مقـاعد الدراسـة ، مـن إعادة للتدريب أو تجديد له تبعاً لحاجات المجتمع المتجددة ولحاجـات الراشـدين المتغـيرة ، ومن إعداد جديد لوظائف جديدة ، ومن مكافحة لأشـكال الأمية الحضارية المتنوعة ، ومن تربية خاصة بسن الشيخوخة سواء فيما يتصل بالوظائف والأعمال الملائمة لتلك السن أو فيما يتصل بالتربية "من أجل أوقات الفراغ" أو فيما يتصل بالتربية الصحية وسواها (عبد الدائم ، ١٩٩٥) .

أمـا بالنسـبة للعوامـل التي أدت إلى الاهتمام بالتربية المستمرة في العصر الحديـث : التغير المتسارع في مظاهر الحياة المختلفة ، وظهور الحاجة إلى وظائف ومهن جديدة، والانفجار السكاني الذي أدى إلى عجز الأنظمة عن تطبيق مبدأ التربية للجمـيع وذلـك لتزايد أعداد الطلبة وعجز المدرسة عن استيعابهم وقصور الأنظمة الـتربوية عن الوفاء بتلبية حاجات التغير ومواجهة تحديات العصر ، اضطرار بعض الطلـبة إلـى التسرب من المدرسة في مراحل مبكرة لظروف مختلفة ، مما أدى إلى ضرورة توفر فرص للتعليم أمامهم (جرادات وآخرون ، ١٩٨٣) .

٩٠ التعلم الذاتي :

تعرضنا لرأي ابن الجوزي في التعلم الذاتي ، حيث دعا المتعلم إلى العودة إلى التصـانيف المكـتوبة ، والاستفادة منها . أما في عصرنا ، فإن "التقنيات التربوية" الحديـثة تقـدم عونـاً كبيراً في تحقيق التعلم الذاتي ، والتعليم بمساعدة الحاسبات الإلكترونـية بوجـه خاص يفتح باباً واسعاً لإغناء هذا التعلم الذاتي وتطويره وعالم المعلوماتـية بأوجهه المختلفة يفسح مجالاً واسعاً لتعليم الإنسان نفسه بنفسه ، ولعل ابـرز مـثال علـى ذلك الإمكانات التي تتيحها شبكة (الإنترنت) حين يعم استعمالها اللغـات المخـتلفة وحين تذيع في مختلف أنحاء العالم المتقدم والنامي (عبد الدائم ، ١٩٩٥).

والـى جانب التقنيات الحديثة ، ترى الباحثة أن هناك طرقاً تربوية حديثة يتم اسـتخدامها ، وتفيدنا في تكوين القدرة على التعلم الذاتي . ومن هذه الطرق التعليم المفـرد حيث تتم عملية التعلم من خلال التفاعل بين المتعلم والموقف التعليمي وهذا يعـتمد على الدور النشط للمتعلم ، للقيام بالأنشطة المختلفة للحصول على الخبرات والمهارات (شطناوي ، ١٩٨٦) . كما توظف هذه الطريقة طرائق التعلم الذاتي التي تـؤدي إلـى تعميق فهم المتعلم للمادة الدراسية (نشوان ، ١٩٩٣) * . وتغيير دور المعلـم فـي محاضـر إلى مرشد (Blake and Mepherson , 1969) وتجنيبه اسـتخدام المهـارات التقليدية (Howard, 1975) . وكذلك طريقة المشروع التي تعـتمد علـى مبادرة الطالب نفسه وجهده الشخصي (عبد الدائم ، ١٩٨٧) . وترى الباحـثة أيضاً ، أن التعلم الذاتي يتم أيضاً عن طريق ارتياد المكتبات العامة ومراكز المعلومات.

١٠٠ الاهتمام بالعقل وتدريبه :

لقـد تحدثنا في مواطن سابقة عن رؤية ابن الجوزي للعقل ، كما تحدثنا عن اهـتمامه بتنمية العقل وتدريبه ، وتركيزه على العمليات العقلية كالتفكر ، والنظر في عواقـب الأحوال ، والاستدلال على الغائب بالشاهد ، وكذلك فإن عملية التفكير تقود الإنسـان إلـى معـرفة ا وطاعـته . وقد ضرب مثلاً بحبة الرمان ، حيث يتأملها الإنسان ومن خلال ترتيبها يتوصل إلى تعظيم الخالق .

* انظر أيضاً : أحمد بلقيس "تكييف التعليم لمراعاة الفروق الفردية " رسالة المعلم ص ١٥٧ – ١٦٠) .

أمـا في عصرنا الحالي فحدود العقل تكون في عالمنا المحسوس ، عن طريق إعمال الحواس للتوصل إلى المعرفة . فحدود العقل في عالمنا المعاصر هي الحواس. حيـث يـتم التوصل إلى المعرفة عن طريق الخبرة وعن طريق التجربة . والمتتبع للطـرائق الحديثة في التربية يجد أنها تخاطب العقل وتثير التفكير ومن تلك الطرق ، تعلـيم التفكير ، والتفكير الناقد ، وحل المشكلات ، وطريقة منتسوري ، فعلى سبيل المـثال : يـ ـرى سـتنبـرج (Stenberg , 1985) أن التفكـيـ ـر الناقـد " هو عملـيات عقلـية واستراتيجيات وتصورات ، يستخدمها الناس لحل المشاكل واتخاذ القـرارات ، ويتعلمون مفاهيم جديدة . كما يرى بروكفيلد (Brookfieled , 1987) أن التفكير الناقد ، يتضمن أكثر من أنشطة معرفية مثل الاستدلال المنطقي أو فحص المناقشات، للتعرف على التأكيدات غير المؤيدة بدليل امبريقي ، وأنه يتضمن التعرف علـى الافتراضـات المشكلة لعقائدنا وأفعالنا ، ومحاولة إصدار حكم على مصداقية التـبريرات، وأنـه يتضمن البعد التأملي ، الذي يُعرف بأنه عملية الفحص الداخلي ، واكتشاف قضية الاهتمام ، منطلقة من الخبرة التي تخلق وتوضح المعنى بلغة الذات، والتي تؤدي إلى منظور مفاهيمي متغير" .

ولقد اختلفت التربية الحديثة عن التربية القديمة التي كانت تهدف إلى إكساب التلاميذ المعارف والمعلومات العقلية حيث اهتمت بالعقل وأغفلت النواحي الجسمية والنفسـية والاجتماعية ، واعتمدت على حشو دماغ التلاميذ بالمعلومات عن طريق التلقيـن ، حيـث قامت التربية الحديثة على البحث والتجريب والملاحظة ، واهتمت بجميع جوانب النمو عند التلميذ ، كما اهتمت بميوله ورغباته وقدراته واستعداداته ، وأتاحت له فرص التدريب على جميع أنواع السلوك ليتسنى له حل مشكلاته الحياتية (ناصر ، ١٩٩٠) .

١١. العزلة والاختلاط :

تلاحـظ الباحـثة أن العزلة والاختلاط عند ابن الجوزي توازن التربية الفردية الاجتماعـية فـي عصـرنا الحالي . وعند تفحص فوائد العزلة التي تعرض لها ابن الجوزي يلاحظ أنها أسباب مرتبطة بتربية الشخص الدينية والخلقية .

فالتربـية الفردية التي أرادها ابن الجوزي ، بمعزل عن الأمراض الاجتماعية والخلقـية التي كانت سائدة في عصره ، تهدف إلى تربية فرد متفرغ للعبادة ، مبتعد عـن المعاصي التي قد تقوده إليها المخالطة كالغيبة ، وعدم الأمر بالمعروف والنهي

عـن المـنكر ، والرياء ، واكتساب الأخلاق الرديئة التي قد يكتسبها بسبب مخالطته للفاسـدين ، وكذلـك يتخلص الفرد من شر الناس ، ومن طمعهم فيه وطمعه فيهم ، ويـتخلص مـن مشاهدة الحمقى والثقلاء . فتربية الفرد التي يهدف إليها هي تربية خلقـية دينية وبالمقابل فابن الجوزي يرى مساوئ العزلة هي نفسها فوائد المخالطة والتـي تتمـثل بالتعليم والتعلم ، والنفع والانتفاع ، والتأدب والتأديب ، والاستئناس والإيناس ، ونيل الثواب وإنالته ، والتواضع .

والمخالطة تقابل – وكما تراها الباحثة- التربية الاجتماعية ، فالفرد يتعلم من الآخرين ويقوم بتعليمهم ، والمخالطة تفيده في كسب عيشه والانتفاع من الآخرين ، وكذلـك فإن المخالطة تهذب النفس وفق معايير ذلك المجتمع وقيمه الخلقية ، وكذلك فـإن الإنسـان كائن اجتماعي يميل بطبعه إلى مخالطة الاخرين والاستئناس بهم من أجل الترويح عن النفس ، والإنسان عندما يخالط الاخرين ويقوم بواجباتهم فإنه ينال الثواب ، وإذا عمل معه الناس معروفاً فإنه يكون سبباً في إنالتهم الثواب . فالمخالطة تعلم الإنسان صفة التواضع حيث لا تحط من قدر الكبير .

أمـا في عصرنا الحاضر فإن أحد مبادئ التربية الحديثة الأساسية أنها تربية فـردية وسـط روح جماعية (الرشدان ، ١٩٨٧) . وهي تربية تحاول التوفيق بين الطفل والمجتمع ، حيث تتفق الطرق الحديثة جميعها حول العمل على مراعاة طبيعة الطفل وعلى تشجيع ذاتيه ، وتراعى حاجات الزمان والمكان ، فالاعتبارات الأولى لا تخـرج عن كونها اعتبارات سيكولوجية ، والاعتبارات الثانية اعتبارات اجتماعية ، فالتربية الحديثة ذات قطبين : الطفل والمجتمع . ومراعاة طبيعة الطفل تتضمن قيماً واعتبارات سيكولوجية ، ومراعاة طبيعة المجتمع تتضمن قيماً واعتبارات اجتماعية وقـد اتفق جميع رجال التربية الحديثة على ذلك ، فهذا "جون ديوي" عميد المدرسة الأمريكـية يؤكـد قـيم الناحـية الاجتماعـية ولكنه لا يهمل الاعتبارات النفسية ، فالاعتـبارات النفسـية واضحة في كتابه "المدرسة والطفل" ، أما نزعته الاجتماعية فـتظهر في كتابه "المدرسـة والمجتمع ، وتمتزج الناحيتان في كتاب "مدارس الغد" (عبد العزيز، ١٩٦٩).

ولتحقـيق المطالب الفردية والاجتماعية ، تعمل المدارس الحديثة على إتاحة الحـرية لكـل فـرد لاختـيار النشاط الذي يناسبه ، و اختيار المواد الدراسية التي يـتعلمها، ويكون المعلم في هذه الحالة موجهاً فقط . وكذلك تعمل المدارس الحديثة

علـى تنمية الروح الجماعية بين الطلبة حتى لا تطغى الروح الفردية الأنانية وتشكل خطراً على المجتمع وعلى الأفراد أنفسهم ، وذلك عن طريق تشجيع العمل في فرائق كالتعاونيات المدرسية والمطبعة المدرسية ٠٠٠ الخ (الرشدان ، ١٩٨٧) .

ولا يفـوت الباحثة القول أن نظرة ابن الجوزي نحو فردية واجتماعية التربية لا تبـتعد عـن نظرة الإسلام والتربية الإسلامية . حيث اهتم الإسلام بالإنسان كفرد وكعضـو فـي مجـتمع . وتظهر أهمية الفرد في الآية الكريمة "ولقد كرمنا بني آدم وحملـناهم فـي البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" . (سورة الإسراء ، آية ٧٠) . وأهمية علاقة الإنسان بأفراد مجتمعه تظهر فـي الآية الكريمة "والمؤمنون والمؤمنات بعضهـم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر".(سورة التوبة ، آية ٧١) (سرحان ، ١٩٨٢) .

١٢٠ الربط بين الحفظ والفهم :

فكما اهتم المسلمون بالحفظ الذي أولوه عناية كبيرة ، اهتموا بالفهم .

فهـذا الفارابـي ت (٣٣٩ هـ) يقول : -عندما سئل عن الحفظ والفهم أيهما أفضـل – "الفهـم أفضل من الحفظ ، وذلك أن الحفظ فعله إنما يكون في الألفاظ أكثر وذلـك في الجزئيات والأشخاص وهذه الأمور لا تكاد تتناهى ولا هي تجدي وتعني لا بأشخاصـها ولا بأنواعهـا والساعي فيها لا يتناهى كباطل السعي . والفهم فعله في المعاني والكليات والقوانين وهذه أمور محدودة متناهية وواحدة للجميع والذي يسعى في هذه الأمور لا يخلو من جدوى (النجار ، ١٩٨٥) .

وكذلـك الزرنوجي (ت ٥٩١) فقد اهتم بالحفظ ولكنه أولى الفهم عناية كبيرة حيـث طلـب من طالب العلم أن لا يكتب شيئاً لا يفهمه "حفظ حرفين خير من سماع وقرين* ، وفهم حرفين خير من حفظ وقرين" (الرشدان ، ٢٠٠٤) .

أمـا ابـن الجوزي فقد ربط بين الفهم والحفظ ويتضح لنا ذلك من خلال نقده لأصحاب الحديث الذين قصروا أمرهم على حفظ الأحاديث دون فهم . وقد أوضح ذلك بقوله " وينحدر من عادات أصحاب الحديث ، فإنهم يفنون الزمان في سماع الأجزاء

---

* الوقر : الحمل الثقيل .

التي تتكرر فيها الأحاديث ، فيذهب العمر وما حصلوا منها شـيء " (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

ولكـن ابـن الجوزي قدم الحفظ على الفهم حيث طلب من القراء أن يقوموا بحفظ القرآن، ومن ثم فهمه ، ومن ثم العمل به (ابن الجوزي ، ٢٠٠٣ ج) .

أمـا في التربية الحديثة فإن أول أهداف علم النفس التربوي هو فهم الظاهرة السـلوكيـة، حيـث يـتم ربط الظاهرة قيد الفهم مع الظواهر الأخرى (الرشـدان ، ٢٠٠٤).

١٣. الدعوة إلى علو الهمة :

وقد دعا ابن الجوزي إلى علو الهمة وقال في ذلك : "من رزق همة عالية يُعّذ بمقدار علوها كما قال الشاعر :

ولكل جسم في النحـــــول بليةٌ وبلاء جسمي في تفاوت همتـــي

وبيان هذا أن من علت همته طلب العلوم كلها ولم يقتصر على بعضها وطلب مـن كـل علم نهايته ، وهذا لا يمتلكه البدن ، ثم يرى أن المراد العمل ، فيجتهد في قـيام الـليل وصيام النهار ، والجمع بين ذلك وبين العلم صعب . ثم يرى ترك الدنيا ويحـتاج إلـى ما لا بد منه . وفي الجملة يحتاج إلى معاناة وجمع بين اضداد ، فهو أبداً في نصب لا ينقضي ، وتعب لا يفرغ .

ثم إذا حقق الإخلاص في الأعمال زاد تعبه وقوي وصبه *، فأين هو ومن دنت همـته ؟ إن كـان فقيهاً فسئل عن حديث قال ما أعرفه ، وإن كان محدثاً فسئل عن مسـألة فقهـية. قال : ما أدري ولا يبالي إن قيل عنه مقصر . والعالي الهمة يرى التقصـير فـي بعـض العلـوم فضيحة قد كشفت عيبه ، وقد رأت الناس عورته . والقصير الهمة لا يبالي بمنن السؤال ولا يستقبح سؤالهم ولا يأنف من رد ، والعالي الهمة لا يحمل ذلك. ولكن تعب العالي الهمة راحة في المعنى ، وراحة القصير الهمة تعـب وشـين إن كـان ثم فهم . والدنيا دار سباق إلى أعالي المعالي ، فينبغي لذي الهمة أن لا يقصر في شوطه ، فإن سبق فهو المقصود . وإن كبا جواده مع اجتهاده لم يُلم " (ابن الجوزي ، ٢٠٠٤ أ) .

---

* وصبه : تعبه وفتوره .

وعلو الهمة التي يدعو إليها ابن الجوزي ترتبط بدافع الإنسان للحصول على النجاح، وبلوغ الغاية التي يقوم برسمها . والدافع في التربية الحديثة يعني "حالات لدى الكائن الحي ، تدفعه ليسلك سلوكاً معيناً في العالم الخارجي ، وترسم له أهدافه وغاياته لتحقيق احسن تكيف ممكن مع البيئة الخارجية" (الكسواني وآخرون ، ٢٠٠٣) .

وتتفق رؤية ابن الجوزي هذه ، مع نظرية اتكنسون (Atkinson) حيث تركز هذه النظرية على ارتباط الدافعية بالتحصيل ، حيث حدد اتكنسون ثلاثة متغيرات تحدد قدرة الطالب على التحصيل وهي : الدافع لإنجاز النجاح ، حيث يشير هذا الدافع إلى إقدام الفرد على أداء مهمة معينة بنشاط وحماس كبيرين ، وذلك كي يحصل الفرد على خبرة النجاح ، لذلك فإن هناك دافعاً آخر يحرّكه وهو تجنب الفشل ، مما يؤدي إلى ارتباط مستوى الطلبة التحصيلي بمستوى ارتفاع هذا الدافع . أما الدافع الثاني فهو دافع احتمالية النجاح ، حيث يوضح أن الطالب الذي يرى في النجاح قيمة كبيرة تكون احتمالية نجاحه كبيرة ، وذلك لأن قيمة النجاح تعزز لديه الدافعية للتحصيل ، أما المتغير الثالث فهو قيمة باعث النجاح حيث يرتبط مقدار الدافعية للتحصيل بصعوبة المهمة ، فكلما كانت المهمة أصعب ، كلما كانت الدافعية لتحقيقها أكبر (المحاسنه ، ٢٠٠٠) .

العقاب :

يختلف الطلبة في سلوكاتهم وتصرفاتهم كما يختلفون في قدراتهم العقلية وتحصيلهم الدراسي . وكما يتصرف بعض الطلبة تصرفات إيجابية ، فإن هناك البعض الآخر الذين يتصرفون تصرفات سلبية ، لذا فإننا نضطر إلى معالجة تلك التصرفات السلبية وفق أساليب متعددة .

ومن الطرق التربوية المستخدمة في تعديل السلوك العقاب ، فقد اهتم المربون المسلمون في جميع عصور التربية بأمر عقوبة الطفل حيث رأى بعضهم أن العقوبة تبدأ بالإنذار والتوبيخ فالتشهير فالضرب الخفيف ، ورأى آخرون إباحة الضرب والعقوبة الجسدية الشديدة إذا ما تجاوز الطفل حدود المعقول المقبول ولم تنفع معهم طرق الفريق الأول . كما رأى أكثرهم أن العقاب نوعان : روحي وبدني . وكما رأى بعضهم أن الوقاية

خـير مـن العلاج ، فنصح ببذل كل جهد لتأديب الطفل منذ الصغر وتقويمه ، وبذلك تنعدم الحاجة إلى العقاب (عبد الدايم ، ١٩٨٧) .

وقد أشار ابن الجوزي إلى أنه على المربي البدء بالتغافل عن الصبي ، ثم التوبيخ، وينتهي إلى الضرب إذا لم تنفع الطرق السابقة .

أما في عصرنا الحالي فمن النظريات التربوية في أوائل هذا القرن التي تطرقت إلى الابـتعاد عـن الشـدة مع المتعاملين واستخدام الثواب كعامل من عوامل التعزيز ، نظرية ثورندايك ، حيث ترى : "أن الإنسان إذا اقترن عمله بما ينقبض له صدره كالعقاب فإن هذا العمل لا يتمكن في نفسه ولا يرسخ في ذهنه وذلك على اعتبار أن الإنسان يميل بطبعه إلى ما يسره ويتجنب ما يسؤوه" (شهلا ، ١٩٦١) .

وكذلك "فإن المدرسين الذين يعدون ناجحين إلى حد بعيد في ضبط الفصل يستعملون المكافـآت ويسـاعدون الأطفال مساعدة مباشرة أكثر مما يفعل المدرسون الآخرون ، أما المدرسون الذين يعدون أقل من غيرهم نجاحاً في ضبط الفصل فيلجأون إلى العقوبات اكثر مما يلجأ إليها المدرسون الآخرون " . (جيتس وآخرون ، ١٩٥٣) .

أمـا شـهلا (١٩٦١) فـيرى أن العقاب يعني الألم بشقيه المادي والمعنوي، وكما يوضـح بأنه ربما يكون الألم المعنوي ذا أثر أكبر من الألم المادي ، وعندما يقرن الطالب الألم بسوء تصرفه ، فإنه قد يمتنع عن سلوكه السيئ مستقبلاً ، وكذلك إذا أدرك الطالب أن العمل المذموم يعقبه عقاب ، فإنه قد يبتعد عن ذلك العمل ، فالإنسان بطبعه يميل إلى تجنب العمل المقرون بالألم والكدر ، كما يميل إلى العمل المقرون بالسرور .

وكذلك فقد قال فينكس (١٩٦٥) : "عندما لا يقوم التلميذ بالمطالب المفروضة ، فإن الـنظام يصـبح ضرورة ، وهذا يعني استعمال الوسائل القهرية لتحقيق السلوك المرغوب فيه".

أمـا يوسـف (١٩٥٨) فـيرى : أن التربـية الحديثة ترى أن العقاب ضرورة من ضـرورات التربية ولكن يجب أن يختلف في قوته وشدته ونوعه حسب الذنب نفسه إذ هو نـوع من أنواع الألم يقصد لذاته لكي يحس به الذي قصر أو أهمل أو خرج عن القانون أو العرف أو التقاليد ، فلا يعاود ما اقترف أو يعود إلى ما عمل .

كمـا يقول الفيلسوف المعاصر (برتاندرسل) : "إنني شخصياً اعتقد أن للعقاب مكاناً ثانوياً جداً في التربية ، ولكنني أشك في أن هل من حاجة إلى الشدة" (نابليه ، ١٩٨٤) .

أما الفلسفات الحديثة فرؤيتها للعقاب تتمثل بما يلي :

تـرى التربـية البراجماتـية أن استعمال العقاب البدني وسيلة غير فعالة في ضبط السلوك . وإذا كانت هناك ضرورة لاستعمال العقاب فتكون بإستخدام الطرق التالية : إحالة الطالـب المخـالف إلـى مجاس الطلبة ، وخصوصاً في المراحل العليا . وكذلك المقابلات الفـردية للطالـب المخالف من أجل إرشاده وحل مشكلته . وكذلك تشجيع السلوك الحسن ومكافأتـه . كمـا يفضـل إحضار أولياء الأمور والاجتماع بهم في الحالات المستعصية . (الرشدان ، ١٩٨٧) .

أمـا التربية الوجودية فهي تبيح للمعلم أن يعاقب التلميذ بكافة الوسائل ، إلاّ أنها لا تذكـر تلـك الوسـائل وكيفـية تطبيقها ، ولكنها تشترط على المعلم عدم إذلال التلميذ أو تجريحه، وترفض من المعلم تحقير الطالب أو تحقير ذاتيته . (ناصر ، ٢٠٠١) .

ممـا تقـدم نلاحـظ أن معظم علماء التربية الحديثة يؤيدون موضوع العقاب وفق أضـيق الحـدود ، ويعتـبرونه وسـيلة لتعديل سلوك الطلبة ، وبذلك فهم يتفقون مع ابن الجـوزي الذي أيد العقاب وتدرج به وفق أضيق الحدود ، ولكن التربية الحديثة تختلف مع ابن الجوزي في استخدام العقاب البدني ، حيث يراه ابن الجوزي آخر الحلول ، أما التربية الحديثة فهي لا تؤيده .

التربية الخلقية :

يعـد ابن الجوزي أحد المربين المسلمين الذين يعتبرون الدين أصل الأخلاق ، ولذا فهـم يعتبرون الدين أساساً للتربية الخلقية ، ولذلك يجب على التعليم أن يعمل على تهذيب الأخـلاق التي أساسها الضمير الخلقي المستمد من الدين والتي تكتسب بالتعليم والقدوة . فـالهدف من التعليم عند المسلمين هو توجيه سلوك الفرد والمجتمع طبقاً للتعاليم الإلهية . (الرشدان ، ٢٠٠٤) .

ويتتبع نظرة ابن الجوزي للأخلاق يُلاحظ أنه يعتبرها قابلة للتغيير والتبديل ، واعتدال الأخلاق دليل على صحتها . والأخلاق التي ذكرها ابن الجوزي ترتبط بالفرد ولكن تأثيرها كبيرٌ في المجتمع .

حيث أراد الاعتناء بخلق الفرد ، وتحسين سلوكه ، وفقاً للمعايير الإسلامية ، والتوقعات المجتمع المسلم ، فالمسلم عليه أن يكون حسن الأخلاق ، متعرفاً على عيوب نفسه بعيداً عن آفات الكلام ، وعن الغضب والحقد والحسد ، والحرص والطمع ، والبخل ، والجاه ، والرياء ، والكبر ، والغرور . وذلك كي يكون إنساناً صالحاً في المجتمع المسلم ، يفيد الآخرين ولا يؤذيهم ، ينفعهم وينفعونه ، ويكسب بذلك الدنيا والآخرة .

وكذلك فقد كان يعالج كل مرض خلقي على حدة واضعاً العلاج لذلك المرض مستخدماً أسلوب الترهيب والترغيب ، والتذكير بالرقابة الإلهية ، وبالموت والحساب . كما يرى بأن علاج كل مرض يكون بضده .

وابن الجوزي يرى أن الأخلاق ترتبط بالدين وهو بذلك يكون كغيره من المفكرين الذين يبحثون في الأخلاق والقيم فهم يجمعون أن هذه القيم التي لا تخدشها المصالح لا بد أن تكون مرتبطة بالدين . "أما الثقافات الأخرى كالرأسمالية التي لا تعترف إلاّ بالدافع المادي للقيام بالأعمال ، وتستبعد أي دافع روحي أو معنوي لدى الإنسان فإنها تهبط بالإنسان إلى درك لا يليق بإنسانيته ، فهي تهتم بالمتاع المادي ولا تولي أهمية للقيم أو المثل أو الأخلاق" (العمايره ، ٢٠٠٠) .

ونلاحظ أن القيم الخلقية التي دعا إليها ابن الجوزي ، هي قيم ثابتة ترتبط بأصول التشريع ، وهذه القيم مطلقة وثابتة لا تتغير بتغير الزمان . أما الفلسفات الحديثة لا تؤمن بوجود أخلاق مطلقة ، فالقيم الأخلاقية في الفلسفة البراجماتية، والماركسية والتقدمية ، قيم متغيرة ، نسبية ، غير ثابتة (ناصر ، ٢٠٠١) .

وبالرغم من عدم اعتراف الفلسفات الوضعية ، بارتباط الأخلاق بالدين ، فهذا اميل دوكهايم الذي لم يكن هو الآخر يعترف بذلك يعود ويعترف قائلاً : "مما لا شك فيه أن الدين ما زال ذا أثر بيّن في الأخلاق ، فهو الذي يضمن لها الاحترام ويقوم بردع من تحدثه نفسه بخرقها ، ولا يزال كثير من الناس يعتقد أن كل إهانة موجهة للخالق إنما هي تفريط في جنب الإله ، ولكن وظيفة الدين الآن تقتصر على حماية الأخلاق ، فالنظام الخلقي لم يشرع

للآلهة، وإنما شرع للناس ، والدين إنما يتدخل ليضمن له قوة النفاذ ، ومن ثم يؤكد بعض الباحثيـن أن محاولة بعض علماء الاجتماع المعاصرين القضاء على ارتباط الأخلاق بالدين وتأسيس الأخلاق على علم الاجتماع وحده قد باءت بالفشل" . (الرشدان ، ٢٠٠٤) .

دور الأسرة في التربية في فكر ابن الجوزي والتربية الحديثة :

تعتبر الأسرة الجماعة الإنسانية ، التي يعيش فيها الفرد السنوات التشكيلية الأولى مـن عمـره ، حيـث يؤكـد علمـاء النفس والتربية الحديثة أن لها كبير الأثر في تشكيل شخصيته تشكيلاً يبقى معه بعد ذلك ، بشكل من الأشكال له من السمات ما يميزه عن سواه (الرشدان، ١٩٨٧) .

ويرى شرابي (١٩٧٥) أن الأسرة ، كمؤسسة اجتماعية هي الوسيط الرئيسي بين شخصـية الفـرد والحضارة الاجتماعية التي ينتمي إليها ، حيث تتكون شخصية الفرد في إطار تلك الأسرة ، وكذلك فإن قيم المجتمع وأنماط السلوك فيه تنتقل للفرد من خلال الأسرة وتقوى بواسطتها .

وقـد عـرّف بـرجس ولوك الأسرة بأنها : "مجموعة من الأشخاص يرتبطون معاً بـروابط الزواج أو الدم أو التبني ، ويعيشون تحت سقف واحد ويتفاعلون معاً وفقاً لأدوار اجتماعية محددة ويخلقون ويحافظون على نمط ثقافي عام " * (حسن ، ١٩٨٢) .

وقـد كانت الأسرة قديماً تقوم بوظائف عديدة ، زراعية وصناعية وسياسية ودينية وترفيهـية وصحية ، أما في المجتمعات الحديثة ونتيجة لتعقد الحياة وظهور التخصص في شتى الميادين ، فقد تناقصت هذه الوظائف نظراً لظهور مؤسسات متخصصة تكفلت بالقيام بهـذه الوظـائف ولـم يـبق لها إلاّ وظيفتان ، مهمتان هما الوظيفة البيولوجية والوظيفة الثقافية (الرشدان ، ١٩٩٩) .

وتقوم الأسرة بوظائف مهمة ، لا تقل أهمية عما فقدته من وظائف ويمكن إجمالها بمـا يلـي : تعتبر الأسرة هي اصلح نظام للتناسل ، يضمن للمجتمع استمراره ونموه عن

---

* انظر أيضاً : عبد الله الرشدان ، علم اجتماع التربية ، ط ١ ، ١٩٩٩ ، دار الشروق ، عمان ، ص١١٦.
وإبراهيم ناصر ، علم الاجتماع التربوي ، ط١ ، ١٩٩٢ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، مكتبة الرائد العلمية عمان – الأردن ، ص ٦٣.
وعبد الله الرشدان ، علم الاجتماع التربوي ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٨٤ ، ط١ ، ص ١٣٠.

طـريق الإنجاب ، كما تتولى الأطفال من حيث التنشئة والتغذية . كما تعتبر الأسرة المكان الطبيعـي لنشأة العقائد الدينية واستمرارها والأسرة تعتبر المدرسة الأولى التي يتعلم فيها الطفل لغته القومية ، كما تقوم بتنشئة الطفل وتوجيهه بمشاركة النظم التعليمية الموجودة . كمـا تعتبر الأسرة بالنسبة للطفل مدرسته الأولى التي يتلقى فيها مبادئ التربية الاجتماعية والسـلوك وآداب المحافظـة علـى الحقـوق والقيام بالواجبات . كما تعكس الأسرة على المجتمع صفاتها ، حيث تقوم بتكوين الطفل وتعمل على تكامل شخصيته أولاً ، ثم أنها ذات عـادات وتقالـيد خاصة تربط أفراد الأسرة بعضهم ببعض ثم تربطهم بمجتمعهم (دسوقي ، ١٩٧١)* فالأسـرة تقـوم بوظائف تربوية للفرد كانت ولا تزال مجال اهتمام رجال التربية علـى مـر العصـور وهي : التربية الجسمية ، والتربية الخلقية ، والتربية الاجتماعية ، والتربية الدينية، والتربية الترويحية . (ناصر ، ١٩٩٠) . ** .

وتلعب التربية الأسرية في عصرنا الحاضر دوراً كبيراً في أخلاق الأبناء وخصوصاً فـي السـنوات الأولى من حياتهم . ففي البيت توضع البذور الأولى لتكوين الشخصية وما سـتكون علـيه في المستقبل ، وقد أثبت ذلك اتباع مدرسة التحليل النفسي . فالأسرة تعلم الطفـل التراث الاجتماعي من كلام وعادات ، وتعلمه ظواهر اجتماعية مختلفة ، كما تلقن الطفـل دروس الدين الأولى وتعلمه القيم والاتجاهات والحقوق والواجبات ، كما يتأثر نمو الطفـل بظروف الأسرة المادية ، كما تلعب الروابط بين الوالدين دوراً هاماً في نشأة الطفل حيـث يـرى علماء النفس أن الحياة الأسرية المضطربة والمشاحنات بين الوالدين ، تؤثر تأثـيراً بالغـاً في تكوين ميول الطفل وشخصيته . كما أن اكثر الأمراض الخلقية كالأنانية والفوضـى ، والـرياء والـنفاق ، تنشـأ جرثومتها الأولى في البيت ، حيث يصعب على المدرسة والمجتمع استئصالها (عبد العزيز ، ١٩٦٩) . ***

وإذا نظرنا إلى دور الأسرة في التربية عند ابن الجوزي فإننا نلاحظ أنه اهتم كثيراً بالوظيفة البيولوجية للأسرة من حيث التناسل والإنجاب وشروط اختيار الزوجة ، والابتعاد عـن زواج الأقارب **** كما رأى أن وظيفة الأسرة تتمثل بتوفير الحماية للطفل عن طريق تهذيـبه وإكسابه الأخلاق الحسنة ، كما اهتم بتربية الطفل الاجتماعية حيث عليه أن يكون كائـناً اجتماعـياً يسـير وفـق توقعات الآخرين منه ، بحيث يتمثل الاتجاهات والقيم التي

---

* انظر أيضاً ، عبد الله الرشدان ، علم الاجتماع التربوي ، ص ١٣٧- ١٣٨ .

** انظر أيضاً : إبراهيم ناصر ، علم الاجتماع التربوي ، ص ٦٦-٩٦ .

*** انظر أيضاً : صالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد : التربية وطرق للتدريس . ط ١٢ ، ج١ ، ص(٨٤-٨٨).

**** قد تم توضيح ذلك عند الحديث عن المرأة في فكر ابن الجوزي .

يرضـاها المجتمع ، حيث يدعو ابن الجوزي إلى إكساب الطفل بعض العادات كعدم البصاق فـي المجالس ، وعدم التثاؤب ، وأن لا يضع رجلاً على رجل ، وأن لا يكثر من الكلام ، وأن يحترم من هم أكبر منه ويحسن الاستماع لهم ، وأن لا يرافق رفقاء السوء . كما يركز على التربية الدينية والتي تبدأ بتعليم الطفل الصلاة ، والطهارة ، والأخلاق الإسلامية . كما يدعـو الأسـرة إلى التربية النفسية للطفل حيث تكافؤه على الأعمال الحسنة وتعاقبه على الأفعال القبيحة .

ويدعـو الأسـرة إلى الاهتمام بتربية الطفل الجسمية حيث يدعو الأسرة إلى تعويد الطفل على المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل . كما يهتم بالمرحلة الأولى فـي حـياة الطفـل والتـي تكون ضمن إطار الأسرة ، لما لها من أهمية بالغة في تكوين شخصـيته . ويهـتم بمـرحلة المـراهقة حيث يدعو الأهل إلى مراعاة المراهق ويذكرهم بمرورهم بتلك المرحلة .

ومـن خلال المقارنة تلاحظ الباحثة أن هناك توافقاً واضحاً بين رؤية ابن الجوزي لدور الأسرة في التربية وبين الرؤية التي تراها التربية الحديثة .

مما سبق لاحظت الباحثة أن الأهداف التربوية عند ابن الجوزي كانت أهدافاً دينية وخلقية . أما في عصرنا الحاضر لم تكن هناك أية إشارة إلى ربط الدين بالتعليم ، كما أن القـيم التي كانت تضمها تلك الأهداف ، قيماً غير دينية ، متغيرة ، مرتبطة بفلسفة الدولة نفسها ، وأسسها الفكرية .

أما المعلم فقد أعطاه ابن الجوزي قيمة كبيرة واعتبره مصدراً للمعلومة ، كما طلب مـن المعلـم عـدم أخذ الأجرة من المتعلمين ، وأن يطلب اجره من الله عز وجل . كما أن وظـيفة المعلـم بالإضـافة إلى تقديم المعلومة ، تقديم النصح للمتعلم ، والقيام بتهذيبه ، وزجره عن سوء الأخلاق ، كما على المعلم مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة ، وأن يعمل بعلمـه ليكون قدوة للمتعلم . كما طلب من المعلم أن يلتزم ببعض الآداب التي كانت سائدة فـي عصره كعدم الخروج مكشوف الرأس . وأن يلتزم بالنظافة . وعدم المباهاة والمغايبة لذا فهو يطلب منه الابتعاد عن المناظرة ، ويطلب منه أن يتعلم طيلة حياته .

أمـا في عصرنا الحاضر فقد أصبح هناك تغيرٌ في دور المعلم ، حيث اصبح مرشداً وموجهاً للطالب ، ولم يعد الاهتمام بحشو دماغ الطالب بالمادة الدراسية ، بل أصبح الطالب

هـو محـور العملـية الدراسـية ، يـتعلم عن طريق العمل وعن طريق الاكتشاف ، وحل المشكلات، ولم يعد المعلم مصدر المعلومة ، حيث أصبحت التربية الحديثة تركز على التعلم الذاتي ، كما أصبح التعليم مهنة يتلقى المعلم فيها أجراً مقابل عمله .

أمـا بالنسـبة لطالب العلم فقد تحدث ابن الجوزي عن أنواع الطلبة ، موضحاً بأنه توجد فروقات فردية بين الطلبة . كما ركز على الآداب التي ينبغي لطالب العلم مراعاتها ، مـثل تصـحيح القصد والإخلاص ، ومن ثم الحصول على المعلومة من قبل المعلم ، ومن خـلال الكتـب حيث ركز ابن الجوزي على قضية التعلم الذاتي ، كما رأى أنه على الطالب اسـتخدام الحفـظ ، والـنظر في منهاج السابقين للاقتداء بهم ، ومجاهدة النفس ، والعمل بـالعلم . كمـا أن ابن الجوزي يطلب من المتعلم "إلقاء نفسه إلى معلمه إلقاء المريض إلى الطبيب : حيث يتواضع له ويبالغ في خدمته ، وأن يترك رأيه ويأخذ برأي معلمه فإن خطأ المعلـم انفع للمتعلم من صواب نفسه" . ولكن هذه النظرة تتعارض مع أفكار ابن الجوزي نفسه التي تدعو إلى إعمال العقل ، كما تتعارض مع التربية الحديثة التي تركز على تربية الفـرد تربـية تكاملية ، بحيث تركز على التربية العقلية ، واستخدام التفكير الناقد ، وعدم قبول أية فكرة دون العمل على دراستها ومحاكمتها .

أمـا بالنسـبة للوسائل التي استخدمها ابن الجوزي فما زالت مستخدمة حتى وقتنا الحالي ، إلاّ ما يتعلق بالمجالس الوعظية وقد أوضحنا ذلك سابقاً .

أمـا مـا يـتعلق بالمـبادئ التربوية فإن الباحثة تلاحظ بأن هناك توافقاً كبيراً في المـبادئ عـند ابن الجوزي والتربية الحديثة ما عدا الاهتمام والتركيز على الحفظ ، حيث ركز ابن الجوزي على الحفظ وقدمه على الفهم ، على الرغم من ربطه بين الفهم والحفظ ، أمـا التربـية الحديـثة فلم تعد تهتم بالحفظ ، حيث ركزت على كيفية التعليم ، وليس على المادة المحفوظة .

أمـا فـيما يـتعلق بـنظرة ابن الجوزي لتعليم المرأة فقد اتفق مع التربية الحديثة بـالدعوة إلـى تعليم المرأة حيث كانت دعوته مستمدة من الدين الإسلامي . واختلف معها حيـث اقتصـر تعلـيم المـرأة عند ابن الجوزي على الواجبات الدينية بينما فتحت التربية الحديـثة فـي القرن العشرين المجال للمرأة لتتعلم كافة العلوم وهي متساوية في حقوقها التعليمية مع الرجل.

أما تربيته الخلقية فقد كان أساسها الدين الإسلامي ، كما ركزت على تهذيب النفس الإنسانية ، ومحاولة القضاء على الآفات الخلقية ، من أجل بناء شخصية مسلمة صالحه ، يؤدي صلاحها إلى صلاح المجتمع . وقد اختلف بذلك مع التربية الحديثة التي لم تعد تركز علـى تلـك القـيم الخلقية ، بل حلت محلها القيم النفعية الوضعية المتغيرة . وسبب ذلك الاخـتلاف يعـود للأسـس الفلسفية التي يعتمد عليها ابن الجوزي وتلك التي تستند عليها التربية الحديثة .

أمـا بالنسـبة لتقسيم العلوم فقد قسمها ابن الجوزي إلى علوم محمودة وهي تضم فـرض العيـن وفـرض الكفاية ، وعلوم مذمومة كالسحر والطلسمات وعلم النجوم . أما التربـية الحديـثة فلـم تعتبر دراسة العلوم فرضاً دينياً . ولم تفرق بين علوم فرض العين وفرض الكفاية ، بل لم تعد تركز على العلوم الدينية والنظرية وركزت على العلوم التطبيقية بكافة أنواعها .

ولكـنها كذلك ، لا تقوم بإعطاء أي مكان لدراسة السحر والطلسمات في مناهجها ، أمـا مـا يـتعلق بعلـم النجوم فترى الباحثة أن ابن الجوزي قصد التنجيم وهو محرم في الإسـلام. أما علم النجوم الآن فإنه يرتبط بنواح علمية حيث يتم من خلاله القيام بالتنبؤات الجوية ، ودراسة النجوم المرتبطة بعلم الفلك ولذا فإنها موجودة في التربية الحديثة .

أما بالنسبة لوسائط التربية عند ابن الجوزي ، فهي نفسها في التربية الحديثة حيث ركـز علـى دور الأسرة ، ودور المعلم سواء في المسجد أو المدرسة ودور الرفاق وكذلك التربـية الحديثة إلاّ أن التربية الحديثة ترى وسائط أُخرى كالمدرسة كنظام اجتماعي يؤثر في الطالب من حيث زملائه ، ومعلميه ، ومدير المدرسة ، وأصدقاء المدرسة وغير ذلك ، وكذلك النوادي ، ووسائل الإعلام .

ثانياً : درجة تطبيق هذه الأفكار التربوية في العالم العربي في عصرنا الحالي :

بالنسـبة لأقسـام العلوم : فإن المتتبع لأقسام العلوم في عالمنا العربي يلاحظ بأن التعلـيم في المرحلة الأساسية يتضمن اللغة العربية والتربية الدينية والاجتماعية ، والعلوم والرياضـيات ، والتربـية الرياضـية والفنية ، والنشاطات العلمية ، واللغة الإنجليزية أو الفرنسـية . * وهـذا التقسـيم يختلف عن تقسيم ابن الجوزي ، حيث يرى أن العلوم إما محمـودة وإمـا مذمومة والمحمودة تقسم إلى فرض كفاية وفرض عين ، ففي عصر ابن الجـوزي كان التركيز على العلوم الدينية والنظرية . أما في عصرنا الحالي فالباب مفتوح أمام الدارسين لتلقي العلوم الأدبية والعلمية والتطبيقية .

الأهداف :

أمـا بالنسـبة للأهداف التربوية فعند دراستنا للأهداف التربوية في الدول العربية نلاحـظ أن تلـك الأهـداف مشتقة من المنطلقات التالية : الدين الإسلامي ، الأمة العربية الواحـدة . العالم والعصر والتقدم – العدل الاجتماعي ، الحرية والديمقراطية والشورى – والـتقدم الشامل والتنمية الشاملة في شتى جوانب الحياة الإقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية وسواها (عبد الدائم ، ١٩٩١) .

كما يرى عبد الدايم (١٩٩١) أنه بالإمكان إجمال الفلسفة التربوية التي تجمع عليها الـبلدان العربية في عبارة مقتضبة وردت في قانون التعليم العام المصري ، والعبارة تقول "يهدف التعليم قبل الجامعي إلى تكوين الدارس ثقافياً وعلمياً وقومياً على مستويات متتالية، مـن النواحـي الوجدانية والقومية والعقلية والاجتماعية والصحية والسلوكية والرياضية ، بقصـد إعداد الإنسان العربي (في النص الأصلي : المصري) المؤمن بربه ووطنه ، وبقيم الخـير والحـق والإنسـانية ، وتـزويده بـالقدر المناسب من القيم ، والدراسات النظرية والتطبيقـية ، والمقومات التي تحقق إنسانيته وكرامته وقدرته على تحقيق ذاته أو الإسهام بكفاءة في عمليات وأنشطة الإنتاج والخدمات" .

والمـتأمل فـي ذلك النص يلاحظ عدم الإشارة إلى الأهداف المتصلة بالقيم العربية والإسلامية إشارة صريحة واضحة ويُكتفى بالإشارة إلى القيم بوجه عام .

* انظر مثلا وزارة التربية التعليم ، الكتاب السنوي ١٩٩٩ /٢٠٠٠ منجزات ومؤشرات ، ٢٠٠٠ / الأردن ، ص ٦١ .
وانظر أيضاً عبد الله عبد الدايم ، بحث مقارن عن الاتجاهات السائدة في الواقع التربوي في البلاد العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٩٣ .

فـالأهداف الـتربوية العربية يمكن وضعها تحت ثلاثة ألوية الأهداف المشتقة من الإسـلام ، والأهـداف المشـتقة مـن العـروبة ، والأهداف المشتقة من اتجاهات العصر وخصائصـه ومسـتلزماته (عبد الدائم ، ١٩٩١) . أما الأهداف التربوية عند ابن الجوزي مشـتقة من الدين الإسلامي مستنداً على القرآن والسنة النبوية . فالهدف من العلم معرفة الخالق والعمل على طاعته . وقد تأثرت النظم التربوية في البلاد العربية بالعوامل السياسة حيـث تأثرت نظام التعليم في البلاد العربية بنظام التعليم للدول التي سبق وأن استعمرتها ، كمـا تأثـرت بالتطور العلمي والتكنولوجي والانفجار المعرفي ، مما أدى إلى ظهور بعض المصطلحات والمستجدات التي لم تكن موجودة في عهد ابن الجوزي .

أما بالنسبة لمدى تطبيق التربية العربية لمبادئ ابن الجوزي التربوية ، فإننا نلاحظ عـند إلقاء نظرة على الأهداف التربوية في الدول العربية نلاحظ أنها تركز على ديمقراطية التعليم والتي تعني "تكافؤ الفرص التعليمية لكافة أبناء الشعب ومعاملتهم بالتساوي والعدل وإعطائهم حرية التعليم والمساواة ، وفقاً لقدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم الشخصية وليس وفق طبقاتهم الاجتماعية وإمكاناتهم الإقتصادية ، أو حالتهم الدينية أو أصولهم الوراثية أو اتجاهاتهم السياسية أو جذورهم العرقية (ناصر ، ١٩٩٤) .

هـذا يعني ضمناً أن ديمقراطية التعليم تركز على مراعاة الفروق الفردية ، وتعليم كل فرد وفقاً لميولـه وقدراته . وكذلك فهناك الكثير من الدول التي أوضحت أن أحد أهداف التربـية هـو مـراعاة الفـروق الفردية ومن الأمثلة على تلك الدول الأردن ، والمغرب ، وسوريا ومصر . (عبد الدائم ، ١٩٩١) .

أما بالنسبة لأسلوب الحفظ ، فإننا نلاحظ أن مناهجنا ما زالت تعنى بحفظ المعلومات واستظهارها والازدحام بالمعلومات والمعارف التي يصعـب فهمها (الرشدان والهمشري، ٢٠٠٢) . مما يدل على أننا ما زلنا نركز على أسلوب الحفظ في التعليم .

أمـا بالنسبة للربط بين العلم والعمل فيلاحظ كذلك أن السياسات التعليمية تدعو إلى الـربط بين العلم والعمل من الأمثلة على تلك الدول السودان ، وسوريا ، وليبيا ، ومصر، ودول الخليج (عبد الدائم ، ١٩٩١) ، ولكننا إذا نظرنا إلى أرض الواقع فإننا نلاحظ أن نظام التعلـيم فـي البلاد العربية ما زالت تعاني من عدم التوازن بين التعليم الأكاديمي والمهني (احمـد ، ١٩٨٤) . فالتعلـيم ما زال أسير التنظير الذي كان سائداً في العهود السابقة ، فالناحية الأكاديمية واللفظية بقيت غالبة على الناحية العملية والوجدانية ، وقد أدى ذلك إلى

عجز التعليم العربي عن الوفاء بمتطلبات التنمية الشاملة التي قصدتها بعض البلاد العربية سـواء أكان ذلك على المستوى القطري أم المستوى القومي (الراوي ، ١٩٦٣) . وهذا لا يعني أن التربية العربية لا تربط بين العلم والعمل، فهناك جهود تبذل من أجل الموازنة بين الجانـب الـنظري والعملي . ولنا في مصر خير مثال حيث قامت مصر بالتوسع في التعليم الفنـي على حساب التعليم العام وذلك عن طريق قبولها نحو ٧٠% من جملة عدد الطلاب المقبولين بالمرحلة الثانوية في التعليم الثانوي الفني (حلمي ، ١٩٩٨) .

أمـا بالنسـبة إلـى عدم الجمع بين علمين ، فإن هذا المبدأ غير مطبق في العالم العربـي حيث يتم تعليم الطالب المباحث المختلفة معاً ، وترى الباحثة أن هذا لا يؤثر سلباً علـى درجـة إتقـان الطالب لتلك العلوم ، كما أن الطالب يحتاج إلى التنويع حتى لا يشعر بالملل .

أما بالنسبة للاهتمام بقيمة الزمن واستغلاله فتعمل التربية في البلاد العربية جاهدة علـى الاستفادة من الوقت داخل المدرسة حيث يتم توزيع المباحث حسب حصص معينة أو سـاعات معـتمدة ، يعطـى خلالهـا الطلبة فرصة للاستراحة . هذا بالنسبة إلى المدارس والجامعـات . أمـا إذا نظرنا إلى التربية نظرة أوسع لتشمل الحصول على المعلومات عبر الإنترنت فإن هناك بعض المضيعة للوقت وذلك لأن بعض الطلبة يقضون عدة ساعات على الإنترنـت منشـغلين بـه ، للحصول على معلومات لا يحتاجونها . ولذلك يجب أن تسعى التربـية في عصر المعلومات وعصر التكنولوجيا إلى إكساب الطالب المعرفة بقيمة الوقت وكيفية استغلاله .

أمـا عـن المطالعـة والثقافة فالباب مفتوح أمام الطلبة لذلك ، وذلك بسبب تنوع مصـادر المعـرفة مـن تلفاز ، وراديو ، وفيديو ، وحاسوب ، وانترنت ، ومكتبات ، ومن شـبكات فضـائية عـبر الكرة الأرضية ، بحيث اصبح العالم كقرية واحدة . أما الثقافة في عصـر ابن الجوزي فكانت محصورة بالكتب أما في عصرنا الحالي ، فالثقافة يتم الحصول عليها عبر مصادر متنوعة فالمجال للثقافة والمطالعة أوسع بكثير من عصر ابن الجوزي .

أمـا بالنسـبة للتربية المستمرة ، فإن الدول العربية تعمل على تطبيقها وذلك عن طريق تدريب المعلمين أثناء الخدمة * ، وتعليم الكبار . فعلى سبيل المثال – لا الحصر-

* لمزيد من التفصيلات حول تدريب المعلمين أثناء الخدمة، انظر:
- انطون رحمة "اثر الأعداد التربوي للمعلمين في عملهم المدرسي" المجلة العربية للبحوث التربوية ، العدد (١)– يوليو ١٩٨١.

يكاد يكون الأردن من الدول التي استطاعت أن تجابه الأمية وتحد منها بمعدلات قياسية ، حيث وصلت نسبة الأمية حتى عام ١٩٩٩ م إلى حوالي ١٣% بعد أن كانت عام ١٩٦١ (٦٨%) وكانت عام ١٩٨٨ (٢٣%) (وزارة التربية و التعليم ، ١٩٩٩) .وعلى الرغم من الجهود التي تبذلها الدول العربية من أجل جعل التربية عملية مستمرة ، فلقد بقيت الأمية متفشية .

أما بالنسبة إلى الدعوة إلى عدم التقليد ، تدعو التربية العربية لتنمية شخصية الفرد في جميع النواحي العقلية والصحية وتكوين قدرته الإبداعية (عبد الدائم ، ١٩٩١) وعلى الرغم من دخول الأساليب والطرق التعليمية الجديدة في العالم العربي مثل مناهج النشاط والوحدات والمشروعات والتعيينات (سلطان ، ١٩٧٩) ، التي تعتمد على ميول ورغبات الطلبة ، وتعمل على تنمية الإبداعات والقدرات فما زالت فلسفة التربية قاصرة عن تجسيد روح البحث . فعلى سبيل المثال يرى الرشدان والهمشري (٢٠٠٢) عند الحديث عن نظام التربية والتعليم في الأردن أن فلسفة التربية قاصرة عن تجسيد روح البحث لدى الطلاب واقتصار العملية التربوية على الحفظ والتلقين وضعف ربط النظرية بالتطبيق العملي على نحو عام . وهذا يؤدي بدوره إلى بروز شخصية لا تسعى للخلق والإبداع ، وإنما تسعى إلى التقليد .

أما بالنسبة للتعلم الذاتي فنظراً للانفجار المعرفي ، واستخدام التكنولوجيا الحديثة ، بدأت التربية العربية تتوجه نحو التعلم الذاتي ، فأصبح هناك استخدامٌ لطرائق التعليم الحديثة فانتشر التعليم عن طريق المراسلة ، فعلى سبيل المثال ، يعتمد الطلبة المنتسبون لجامعة بيروت العربية على هذا النظام ، حيث يقومون بدراسة مقررات محددة ويتقدمون في نهاية العام للامتحانات في الجامعة .

كما يعتبر التلفزيون التعليمي بالمراسلة من أحدث هذه الطرق المطورة حيث تتعلم جموع الطلبة والعاملين عن طريق البرامج التلفزيونية التي تعرض الدروس وتشرحها من داخل الأستوديو ثم يقوم كل هؤلاء الدارسين بعد ذلك بتأدية الواجبات وحل التمارين

- حسن خطاب ضحى "تجربة جمهورية العراق" المجلة العربية للتربية المجلد ١٣ ، العدد الأول ، يونيه ١٩٩٣ .
- خالد الشيخ وآخرون "تجربة المملكة الأردنية الهاشمية" المجلة العربية للتربية المجلد ١٣ ، العدد الأول ، يونيه ١٩٩٣ .
- عبد الله عبد المنعم و د. غسان الحلو " إعداد معلم التعليم الثانوي الفلسطيني في ظل ظروف الواقع وتصورات المستقبل" ، مجلة العلوم التربوية ، السنة الأولى ، العددان الثالث والرابع ، رجب / شوال ١٤١٥ هـ - ديسمبر ٩٤ – مارس ١٩٩٥ م .
- محمد أحمد الرشيد ، "مهام كليات التربية في المملكة العربية السعودية في إعداد المعلمين للتعليم العام وتدريبهم أثناء الخدمة وتطوير أعمالهم فيها ، المجلة العربية للبحوث التربوية ، المجلد السادس ، العدد الأول ، يناير ١٩٨٦ .
- محمد السيد محمد حسونه "تجربة مصر العربية" المجلة العربية للتربية ، المجلد الثالث عشر ، العدد الأول، يونيه ١٩٩٣.
- نخله وهبه ، "تجربة دولة البحرين" ، المجلد الثالث عشر ، العدد الأول ، يونيه ١٩٩٣ .

تحريـرياً وإرسـالها بالبريد لمراجعتها وتصحيحها (الحمد ، ١٩٨٢) . ولنا في مصر خير مـثال، حيـث اسـتخدمت طريقة التعلم عن بُعد لتأهيل معلمي المرحلة الابتدائية للمستوى الجامعـي ، وبدأت الدراسة في البرنامج عام ١٩٨٣ حيث التحق بذلك البرنامج ستة آلاف طالب ثم توسع ذلك البرنامج ليبلغ عدد الخريجين عام ١٩٩٢ ، عشرة آلاف خريج وتعتمد هـذه الطريقة على توصيل المادة التعليمية إلى الدارسين أينما وجدوا خلال العام الدراسي نظـراً لصعوبة تفرغ المعلمين للدراسة ، وانتقالهم إلى مراكز الدراسة ، كما اعتمدت على اسـتخدام الـدارس لأسـاليب الـتعلم الذاتـي الـذي يعـتمد على وسائط تعليمية متعددة Multimedia مـن كتب وأدلة وبرامج تلفزيونية وإذاعية ، وغير ذلك من أساليب التعلم الذاتـي ، كمـا تعـتمد علـى حضور الدارسين إلى مراكز تجمع (مراكز دراسية لعدد من السـاعات فـي أوقـات فراغهم في أيام الجمع أو الإجازات للحصول على المادة التعليمية والتشـاور مـع أعضـاء هيـئة الـتدريس فيما يقابلهم من مشكلات أو أمور تحتاج إلى استيضـاح) ويمثل هذا النظام نوعاً من أنواع التعلم عن بعد (حسونه ، ١٩٩٣) . وكذلك تقوم الفضائيات ببث بعض البرامج التعليمية ، كإذاعة مصر التعليمية ، كما أن هناك الكثير من المعلومات يتم الحصول عليها عبر الإنترنت ، وعبر المكتبات العامة .

أمـا بالنسـبة للعقل وتدريبه ، فهناك تركيز كبير في الأهداف التربوية والسياسات التعليمية على تنمية قدرات الطالب العقلية ، وتنمية قدراته التعليمية ، لذا فقد أدخلت طرق تعليمـية كاستخدام التفكير الناقد ، وحل المشكلات ، وأصبحت التربية حريصة على تدريب المعلميـن لاسـتخدام تلك الطرق . ولنا في الأردن خير مثال : فقد نصت توصيات المؤتمر الوطنـي الأول للـتطوير الـتربوي ١٩٨٧ على ضرورة الاهتمام بصقل أدوات الفكر عند المـتعلم وتطويـر قدراته على التحليل والنقد والمبادرة والحوار الهادف ، وضرورة اتباع نسـق جديـد فـي تأليف الكتب المدرسية يبتعد عن السرد ويعتمد على أساسيات المعرفة والتفكير الناقد والتحليل والربط والتفسير (وزارة التربية التعليم ، ١٩٨٨) .

كمـا نـص قانون التربية والتعليم رقم (٣) لسنة ١٩٩٤ في الفقرة (ي) على أن أهـداف التربية في المملكة الأردنية الهاشمية تتمثل في تكوين المواطن المؤمن با تعالى المنتمي لوطنه وأمته ، المتحلي بالفضائل الإنسانية ، النامي في مختلف جوانبه الشخصية والجسـمية والعقلـية والروحية والوجدانية والاجتماعية ، بحيث يصبح الطالب في نهاية مـراحل التعليم مواطناً قادراً على التفكير النقدي والموضوعي وإتباع الأسلوب العلمي في المشاهدة والبحث وحل المشكلات .

وبناءً على ما سبق ، لقد بدأت وزارة التربية والتعليم في الأردن بتدريب المعلمين ليكونوا قادرين على تعليم التفكير لطلبتهم ، فقامت بإعداد وتنفيذ خطة لتدريب المعلمين والتي كان من ابرز أهدافها توجيه التدريس نحو مهارات التفكير الناقد لدى الطلبة .

وعلى الرغم من ذلك فإن التربية العربية ما زالت تطبق الطرق القديمة ، التي تقوم على حشو أدمغة الطلبة بالمعلومة ، وجعل الطالب متلقياً للمعلومة ، وحيث يكون المعلم مصدراً لتلك المعلومة ، وهي بذلك لا تعمل على تنمية القدرات العقلية ولا تقوم بتعليم الطالب كيف يكون مبدعاً ، محاكماً للأمور ، قادراً على حل المشكلات وعلى التفكير . وذلك وكما ترى الباحثة يعود إلى عدم إعداد المعلمين الإعداد المناسب الكافي لفهم الطرق والاستراتيجيات والمهارات لفهم التفكير الناقد ، وفهم الطرق الحديثة التي تنمي القدرات العقلية عند الطلبة ، كما أن هناك عدداً من المعلمين الذين يميلون إلى استخدام الطرق التقليدية في التدريس بسبب تعودهم عليها ، حيث تعودوا على أُسلوب التلقين ، واستخدام أُسلوب التعليم البنكي . وكذلك فإن المناهج لم تعد بطريقة مناسبة لتنمية قدرات الطالب العقلية ، وتنمية طرق التفكير لديه . وكذلك فإن البيئة المدرسية والاجتماعية كان لها كبير الأثر على المتعلم ، بحيث صنعت منه إنساناً يتلقى المعلومة ، دون الحكم على هذه المعلومة أو إعطاء رأيه فيها ، أو تقييمها .

أما بالنسبة للعزلة والاختلاط والتي سبق وأن ذكرنا بأنها توازي التربية الفردية الاجتماعية في وقتنا الحالي . فإننا نلاحظ بأن أهداف التربية العربية وكما رسمتها المؤتمرات التربوية العربية المتكررة تشتمل على الإتجاه الفردي حيث تعنى بتكوين الشخصية الإنسانية الحرة ، المتكاملة تكاملاً إبداعياً ، وتنشئة الأفراد الأقوياء ، جسمياً وعقلياً ، وخلقياً وسلوكياً ، والاتجاه الاجتماعي حيث تعنى بتلبية حاجات المجتمع ، وإعداد الأفراد إعداداً اجتماعياً ، محبباً إليهم التعاون ، واحترام حقوق الاخرين ، وخلق الجو الديمقراطي . أما من ناحية التطبيق فهناك نوع من الاهتمام بالفرد ، وتكوين شخصيته ، وإن كان هناك بعض القصور وكذلك فإن هناك تركيزاً على الإتجاه الاجتماعي حيث أصبحت التربية العربية تركز على ذلك من خلال استخدام أُسلوب التعليم في مجموعات ، ومن خلال تعاون الطالب مع المجتمع المحلي ، وتعاون المدرسة مع أولياء الأمور ، حيث أصبحت المدرسة منفتحة على المجتمع .

أما بالنسبة للربط بين الحفظ والفهم فما زالت مناهجنا تزخر بالمعلومات التي تعتمد على الحفظ والتلقين حيث تزخر مناهجنا بالمعلومات والمعارف التي يصعب فهمها (الرشدان والهمشري ، ٢٠٠٢) .

ولكن الباحثة لا تستطيع تعميم ذلك ، لأن هناك أيضاً الكثير من المعلومات التي يقوم الطالب بفهمها وحفظها ، فمثلاً في مناهج اللغة العربية ، تتم عملية الشرح والمناقشة للقصائد ودراسة الأفكار والمفردات ثم يطلب من الطالب القيام بحفظها . وكذلك في مناهج التربية الإسلامية ، فتتم مناقشة الآيات ويتم شرحها ومن ثم يقوم الطالب بحفظها . ولكن في مادة العلوم يعزف بعض المعلمين والطلبة عن استخدام المختبرات رغم وجودها وتجهيزاتها، مما يؤدي إلى الطلب من الطلبة حفظ معلومات نظرية ، لم يطبقوها على ارض الواقع ، وبالتالي يصعب فهمها .

أما بالنسبة للدعوة إلى علو الهمة فإن الأساليب الحديثة تطلب من المعلم القيام بتعزيز الطلبة والاهتمام بإثارة دافعيتهم على التحصيل ، وهناك تطبيق في مدارسنا لهذا المبدأ .

أما فيما يتعلق بالأساليب التربوية عند ابن الجوزي ودرجة تطبيقها فيلاحظ بأن المجالس الوعظية لم تعد واسعة الانتشار وأصبح استخدامها مقصوراً على خطب الجمع ، والدروس الدينية التي تعطى بالمساجد وقد سبق الحديث عنها سابقاً . أما القصة واستخدام الأمثلة فإن مناهج التربية الإسلامية والعربية ، واللغة الإنجليزية تحتوي على كثير من القصص والأمثلة . وهذا الأسلوب مستخدم في مدارسنا وعلى نطاق واسع . أما بالنسبة للتعليم عن طريق إعداد التصانيف فالمكتبات زاخرة بالكتب في شتى الموضوعات ، ومن شتى العصور ، حيث يرجع لها الطالب ، وخصوصاً في الدراسات الجامعية والدراسات العليا.

أما بالنسبة لتعليم المرأة ، فقد دعا ابن الجوزي إلى تعليم المرأة وذلك لاعتباره أن التعليم فرض على كل مسلم ومسلمة ، ولكنه حصر تعليم المرأة على علم الواجبات في العلوم الدينية ، أما في عصرنا الحاضر ، فجميع الدول العربية تدعو إلى ديمقراطية التعليم، وترى أن التعليم حق لجميع الأفراد بغض النظر عن لونهم أو جنسهم أو عقيدتهم (عبد الدائم، ١٩٩١)، وهذا يعطي الحق للمرأة بالتعلم في كافة المجالات وجميع التخصصات .

هذا من حيث المبادئ والأهداف أما من حيث التطبيق فإن تعليم المرأة ما زال يشهد تأخـراً بالنسبة لتعليم الرجل في البلاد العربية (مرسي ، ١٩٨٠) ، ومشكلة تعليم المرأة لا تعانـي مـنها المجتمعات العربية فقط ، بل ما زالت تعاني منها كافة المجتمعات في العالم حيث يرى الدكتور عاقل (١٩٦٤) أن نسبة المتعلمين من الرجال تفوق نسبة المتعلمات من النسـاء ومع منتصف القرن العشرين زاد الاهتمام بتعليم المرأة العربية حيث سمح للإناث الدخول في المجال التعليمي على جميع المستويات (ظاهر ، ١٩٨٧) .

ويـرجع الاهتمام النسبي بتعليم الفتاه في البلاد العربية إلى عدة عوامل منها تطور الوعـي الاجتماعي نحو المرأة مما أدى إلى تزايد حصول المرأة على حقوقها ومن ضمن تلـك الحقوق حقها في التعليم ، وتطور البلاد العربية من الناحية الإقتصادية بعد استقلالها ممـا أدى إلـى تـزايد دخول المرأة إلى ميدان العمل ، واستقلالها الاقتصادي عن الرجل، وانتشار ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص التعليمية أدى إلى ظهور مجانية التعليم والزاميته لكلا الجنسين (مرسي ، ١٩٨٠) .

وعلـى الرغم من الاهتمام بتعليم المرأة إلاّ أن هناك تأخراً في تعليم الفتاه العربية ويعـود ذلك إلى حرمانها من حقوقها السياسية والاجتماعية وبقائها تابعة للرجل . وشيوع الاعتقاد بأن مكان المرأة المناسب هو منزلها ، وأنه لا داعي لتعليمها . وكذلك وقوع البلاد العربـية تحـت الحكـم التركي العثماني وما أصاب البلاد العربية من تأخر وجمود فكري وحضاري . وأثر ذلك على المرأة العربية حيث انتقل إلى العالم العربي نظام الحريم والفصل بين الجنسين (مرسي ، ١٩٨٠) .

ويرى رضا (١٩٨٦) أنه يجب العمل من خلال التربية على توجيه الأجيال العربية نحـو تحرير المرأة من تبعية الرجل ، ودعوتهم إلى اكتشاف الأسس البيولوجيه والأخلاقية للمساواة بين الرجل والمرأة .

فمشـكلة ضآلة نصيب المرأة في الفرص التعليمية ، يعتبر مشكلة حضارية معقدة في أسبابها ونتائجها تتصل جميعها بمكانة المرأة في المجتمع وبفرص العمل ، وفي نطاق الأسـرة وفـي العـادات والتقالـيد والواجبات ، والتمييز بين الجنسين الناجم عن مواقف حضـارية وتاريخية لا تتفق مع أصول العقيدة أو مع مطالب المجتمع والحضارة المعاصرة (احمد ، ١٩٨٢) .

أمـا بالنسـبة للتربية الخلقية فقد ذُكر سابقاً أن التربية الخلقية عند ابن الجوزي منـطلقة من الدين الإسلامي ، وتعاليمه ، فهي تربية خلقية دينية ، أما في عصرنا الحاضر فقـد أكـدّت معظـم الدول العربية على أهمية الإلتزام بالقيم الدينية . ولكن التربية العربية تواجـه ضـغوطاً خارجية وداخلية في هذا الشأن ، ففي ظل انتشار القيم المادية ، وضعف نـزعة الانـتماء للوطن ، فالتربية العربية تعيش في أزمة ، ويرجع بعض أصحاب الرؤية الدينـية أسـباب هذه الأزمة إلى إغفال القيم الإسلامية وذلك بسبب استعارة الدول العربية نظمها التعليمية من الخارج ، حيث تسعى تلك النظم المستعارة إلى إضعاف الثقافة العربية. إن التربية العربية المعاصرة تعاني من حيرة بين سلطان الماضي وضغوط الحاضر وعولمة تربيـته ، والمعلـم العربـي لا ينقل إلى طلبته معرفته فقط ، بل ينقل عقائده أيضاً (علي، ٢٠٠١) ويـرى الدكـتور علـي (٢٠٠١) أن الجامعات الدينية ، كالأزهر ، تستطيع وضع التعليم في إطار من القيم بطريقة تعجز عنه الجامعات العلمانية . حيث يرى أن القيم الدينية لا تتـناقض مـع فكـر عصر المعلومات وقيمه ومبادئه المتمثلة في احترام المعلم ورعاية المتعلم والتأكيد على العلم وعدم البخل به .

وتـرى الباحـثة أنـه مـن الممكـن القول أن القيم الإسلامية تتفق مع قيم عصر المعلومـات التـي تتعلق بقيمة العلم والمعلم ، ورعاية المتعلم . ولا يمكن القول إن القيم المـتعلقة ببناء الشخصية المسلمة والتي ذكرها ابن الجوزي في تربيته الخلقية ، تتفق مع روح ومـع فكـر عصـر المعلومات ، حيث القيم المتغيرة والمرتبطة بالمصالح وبالمنفعة الشخصـية . نحـن بحاجـة إلى تلك التربية الخلقية ، تربية ابن الجوزي ، وتوظيفها في مناهجـنا وفي أساليبنا التربوية من أجل إكسابها لطلبتنا ، من أجل بناء الشخصية العربية المتكاملة علمياً وعملياً ، دينياً ودنيوياً .

الفصل السابع

الاستنتاجات والتوصيات

أولاً : الاستنتاجات .

ثانياً : التوصيات .

الاستنتاجات والتوصيات

أولاً : الاستنتاجات :

خلصت الباحثة إلى الاستنتاجات التالية والتي تم التوصل إليها من خلال الإجابات عن أسئلة الدراسة :

أ : ما المبادئ والأفكار والأسس المتضمنة في مؤلفات ابن الجوزي ؟

- ركز ابن الجوزي على قيمة العلم والعلماء مستشهداً بالآيات والأحاديث النبوية .
- أوضح أن طلب العلم فريضة على كل مسلم .
- الغاية من العلم عند ابن الجوزي معرفة الخالق والعمل على خدمته .
- الهدف من العلم هدف ديني وخلقي يقود الإنسان إلى الاقتداء بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ، مما يؤدي إلى نفع الإنسان في دينه ودنياه .
- قسم العلم إلى علوم محمودة تتمثل في الأصول والفروع والمقدمات والمتممات . والعلوم المذمومة كعلم السحر والطلسمات والتلبيسات .
- اهتم ابن الجوزي بالمعلم ، وأعطاه منزلة كبيرة . كما ركز على الوظائف التي على المعلم القيام بها .
- قسم العلماء إلى قسمين ، علماء السوء الذين يقصدون من العلم الاستمتاع بالدنيا والتوصل إلى مكانة رفيعة عند أهلها ، وعلماء الآخرة الذين يفعلون ما يأمرهم الله ويبتعدون عن نواهيه ، ويطابقون بين العلم والعمل ، ويميلون إلى العلوم النافعة ، وينقبضون عن السلاطين ، ولا يتسرعون في الإفتاء .
- ركز على الآداب التي على المعلم أن يتحلى بها .
- أكد على أهمية التصنيف التي يقوم بها المعلم .
- ركز على التربية المستمرة في المراحل المختلفة التي يمر بها العالم .
- ركز على الأنواع المختلفة للطلبة والفروقات الفردية بينهم .
- اهتم بالآداب التي على المتعلم التحلي بها .
- ركز على التربية المستمرة للمتعلم وذلك من خلال المراحل العمرية التي يمر بها المتعلم .

أما بالنسبة للأساليب العامة في التعليم فقد كانت كما يلي :

- ركـز علـى تعليم المرأة الأمور التي تقتصر على الأمور الدينية واعتبر العلم واجباً عليها .
- اعتبر السن المناسب للبدء بالتعليم هو سن الخامسة .
- طلب من المعلم عدم أخذ الأجرة على التعليم ، وطلب الأجر من الله تعالى .
- اهتم بتربية الحكام وركز على الأساليب المناسبة لوعظهم .

أما بالنسبة للمبادئ التربوية التي تم استخلاصها بالنظر إلى مؤلفاته فكانت كما يلي: مراعاة الفروق الفردية ، واستخدام أسلوب الحفظ ، والربط بين العلم والعمل ، وعـدم الجمـع بيـن اكـثر مـن علم في آن واحد ، والدعوة إلى عدم التقليد ، والاهـتمام بقـيمة الزمـن واستغلاله ، والدعوة إلى الثقافة والمطالعة ، والتربية المستمرة ، والتعلم الذاتي، والاهتمام بالعقل وتدريبه ، والعزلة والاختلاط ، والربط بين الحفظ والفهم ، والدعوة إلى علو الهمة .

أمـا بالنسـبة لوسـائط التربـية فقـد اهتم بدور الأسرة في تربية النشىء ، وخصوصاً في مرحلة الطفولة والمراهقة ، كما ركز على دور الرفاق في التربية ، ودور المعلم.

ب : ما الأساليب التي اتبعها ابن الجوزي في تحصيل طلابه للعلوم ؟

- اسـتخدم ابن الجوزي الطريقة الوعظية التي كان يقدمها في مجالسه الوعظية فـي سـاحات المساجد وكانت تتمثل بالبدء بشيء من القرآن ، ومن ثم إنشاد بعـض الشعر ، وبعد ذلك كان يأتي بالخطبة ، وبعد الإنتهاء من الخطبة، كانت تأتـيه الأسـئلة عـن طـريق الـرقاع المتطايرة إليه ، فيقوم بدوره بقراءتها والإجابـة عنها.
- اتبع ابن الجوزي أسلوب القدوة في التعليم حيث كان نموذجاً لطلبته . كما ركز على ضرورة ربط المعلم بين علمه وعمله ليكون قدوة للمتعلمين .
- اسـتخدم أسـلوب القصة في تعليمه ويظهر ذلك من خلال كتابه التبصره حيث تعـرض لقصـص بعـض الأنبياء . كما ذكر الكثير من القصص - في كتابيه

الأذكياء ، وأخبار الحمقى والمغفلين - كنماذج للشخصيات الذكية والشخصيات الحمقاء .

- دعـا المعلـم إلى استخدام أسلوب إعداد التصانيف ، حيث تمكّن هذه الطريقة المـتعلم من العودة إلى التصانيف ودراستها في العصور المختلفة ، دون التقيد بزمان أو مكان . مما يؤدي إلى التعلم الذاتي .

ج : ما اوجه النقد التي وجهها ابن الجوزي إلى العلماء والفئات الأخرى من مجتمعه ؟ .

- يدل استخدام الأسلوب النقدي الذي استخدمه ابن الجوزي على نظرته الثاقبة ، ووعيه العلمي المتعمق . حيث يقدم من نفسه نموذجاً على إعمال العقل ، وذلك للتأكـيد على تربيته العقلية . كما أن استخدامه للنقد يدلنا على أنه ليس مجرد نـاقل للمعرفة ، وإنما هو صاحب موقف ووجهة نظر . وقد ساق ابن الجوزي نماذج لبعض الأخطاء التي يقع فيها عدد من علماء المسلمين تتمثل بما يلي :

- أخـذ ابن الجوزي على القراء الاشتغال بالقراءات الشاذة وجمعها وتحصيلها ، والانشـغال بذلـك عن معرفة الفرائض والواجبات ، والانشغال بقراءة القرآن دون العمل به ، وإحداث قراءة الألحان في القرآن ، والتسامح ببعض الأخطاء كالغيبة وغيرها من الذنوب ظناً منهم أن حفظ القرآن يرفع عنهم العذاب .

- أمـا أصحاب الحديث فقد قسمهم إلى قسمين : قسم قصد أصحابه حفظ الشرع بمعـرفة صـحيح الحديـث من سقيمه ، وهؤلاء جهدهم مشكور ، لكن عيبهم الأساسـي أنهم لا يدركون أهمية الوعي والفهم المعبر عنه (بالفقه) ، واهتموا بـالحفظ . أما القسم الثاني فيعود إلى محدثين أكثروا سماع الحديث، ولم يكن مقصـودهم صـحيحاً ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره ، وإنما كان مرادهم معـرفة غريـب الحديث . وذلك كي ينفردوا عن غيرهم بتلك الأحاديث . وكان هدفهم المباهاة والاستعلاء وكذلك فهم يقدحون ببعضهم البعض بدافع التشفي ، ويوهمـون الناس بأن ذلك يدخل في باب الجرح والتعديل . كما أنهم يقومون برواية الأحاديث الموضوعة بهدف وفرة الروايات عنهم .

- أمـا الفقهـاء فـيرى ابـن الجوزي انهم يعتمدون على الجدل بهدف المباهاة والمفاخرة . وكذلك مخالطة السلاطين والأمراء دون أمرهم بالمعروف ونهيهم

عـن المـنكر ، وقـيامهم بمـدح الـنفس وغيبة الآخرين ، والأكل من وقف المدرسة، ولبس بعضهم الحرير ، وازدرائهم للوعاظ والقصاص .

- أمـا الوعاظ والقصاص فقد انتقدهم ابن الجوزي بقيام بعضهم بوضع أحاديث الترغيـب والترهيـب بهـدف الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر . وإنشاد الأشـعار الغزلية ، واستخدام الألحان في القراءة ، وإنشاد بعض أشعار النوح على الموتى ، والاهتمام بالألفاظ دون المعاني ، والتركيز على جانب الترغيب دون مزج الحديث بالترهيب .

- أما أهل اللغة والأدب فقد أخذ عليهم ابن الجوزي انشغالهم بعلوم النحو واللغة عـن فـرض العين كمعرفة العبادات والآداب . كما أخذ عليهم تميزهم بالكبر والغرور ، واهتمامهم بأشعار الجاهلية ، وقلة فقههم .

- أمـا الشعراء فقد أخذ عليهم شعورهم بالتميز عن الآخرين بالفطنة ، ولبسهم للحريـر ، ولوم الأقدار ، واستخدام شعرهم كوسيلة للضغط على الآخرين كي يقوموا بإعطائهم إما بدافع الخوف من الهجاء أو طلباً للمدح .

- أما الكاملون من العلماء فقد انتقد فيهم ابن الجوزي تعظيمهم لأنفسهم لما نالوا مـن العلـم ، واتصاف بعضهم بالكبر بالعلم والحسد لنظرائهم ، والرياء بقصد الوصول إلى الرياسة .

- ومـن خـلال اسـتعراض تلـك الانتقادات لعلماء العصر الذي عاش فيه ابن الجـوزي، تـرى الباحثة أن تلك الآفات موجودة في كل عصر ، ولا سيما في عصرنا الحالي ، حيث على العلماء العمل على تجنبها .

أما نقده لفئات مجتمعه فقد تمثل بما يلي :

- وجه ابن الجوزي عدة انتقادات للولاة والسلاطين منها أنهم يظنون أن الله عز وجل ولاّهم سلطانه حباً فيهم ، كما أنهم يرون أنه من الهيبة المقترنة بالولاية التكبر عن طلب العلم وحضور مجالس العلماء ، كما أخذ عليهم الإحتجاب عن الـناس خوفـاً مـن الأعداء، مما يؤدي إلى حجب المظالم عنهم ، وكذلك فقد انـتقدهم بأنهم يوظفون أشخاصاً يتصفون بعدم العلم والتقوى ، وكذلك التفريط

في أموال بيت المال ، واستحسان بعض الأعمال القبيحة . وقد وضع ابن الجوزي حلولاً لتلك الآفات ، كما أدى وجود هذه الأخطاء إلى بروز تربية الحكّام التي تم التعرض لها في الفصل الخامس .

- أما نقده للعوام فتمثل بتفكيرهم في ذات ا وصفاته مما يؤدي إلى تشكك الفرد حول هذا الموضوع ، وكذلك أخذ عليهم العصبية للمذاهب ، والقدح في العلماء، وعدم تقبل النقد والإغراق في المعاصي ، واغترارهم بالنسب ، وعدم تطبيقهم للسلوكات الحسنة التي يتعلمونها في مجالس الذكر .

- أما أصحاب الأموال فقد انتقدهم بأنهم لا يهتمون بمصدر المال الذي يحصلون عليه . كما أخذ على بعضهم البخل بالأموال وعدم أداء الزكاة ، وانتقد البعض الآخر على إسرافه في إنفاق المال وتبذيره .

- أما النساء فقد انتقدهن ابن الجوزي بسبب جهلهن في العبادات . والإساءة إلى الزوج.

وكان نتيجة لإدراك ابن الجوزي لتلك الآفات الموجودة في عصره بروز تربيته الخلقية، تلك التربية الوقائية العلاجية ، كما أدى ذلك إلى اهتمامه بتعليم المرأة الأمور الدينية .

د : ما اوجه الشبه والاختلاف بين الفكر التربوي عند ابن الجوزي والفكر التربوي الحديث ؟

- اتفقت التربية الحديثة مع ابن الجوزي بأن الذكاء موروث من جهة ، ومكتسب من جهة أُخرى . كما اتفقت معه بأن الذكاء هو قدرة على الفهم والتوجيه للسلوك ونقده . وأن هناك ارتباطاً بين الذكاء والتحصيل . واختلفت معه في الصفات الصورية التي ربطها بالذكاء ، حيث لم تربط التربية الحديثة الذكاء بلون العينين أو طول القامة ، أو حجم الرقبة كما فعل ابن الجوزي .

- اتفقت التربية الحديثة مع ابن الجوزي بضرورة التعليم ، حيث اعتبره ابن الجوزي فرض على المسلم . كما اعتبرته التربية الشيوعية إلزامياً للجميع . أما الدول الرأسمالية فلم تجعله إلزامياً ولكنها أتاحت الفرصة أمام الجميع للتعلم وذلك من خلال إقرارها مبدأ ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص التعليمية .

- أمـا بالنسـبة للغايـة مـن طلب العلم فهناك اختلاف واضح بين ابن الجوزي والتربية الحديثة ، حيث يركز ابن الجوزي على أن الغاية من طلب العلم معرفة الخـالق والعمـل على طاعته وإذا نظرنا إلى التربية الحديثة فإننا لا نجد هذه الغاية ، كما

- أن هـناك اختلافاً واضحاً في الأهداف ، حيث يرى ابن الجوزي أن الهدف من التربـية هـدف دينـي وخلقـي بينما هناك أهداف مختلفة للتربية الحديثة تم الـتعرض لها ، حيث تتمحور حول الفرد ومنفعته والرقي به ، وليس هناك أي هدف ديني في أهداف التربية الحديثة .

- اتفقت التربية الحديثة مع ابن الجوزي على احترام المعلم ولكن الاختلاف يعود إلـى التطور الزمني ، مما أدى إلى ظهور أدوار جديدة للمعلم لم تكن موجودة في عصر ابن الجوزي وقد تم ذكرها . كما أن المعلم في التربية الحديثة موجه ومرشـد أما في فكر ابن الجوزي مصدر المعلومة وعلى المتعلم أن يأخذ العلم منه وإن كان على خطأ .

- هناك اتفاق بين ابن الجوزي والتربية الحديثة على الاهتمام بالمتعلم من جميع النواحي النفسية ، والعقلية ، والوجدانية ، والجسمية ، وعبر المراحل العمرية المخـتلفة . إلاّ أنـنا نلمـس أن التربـية الحديـثة تعتبر الفرد محور العملية التعليمية، وتركيزها على الفرد اكبر من تركيز ابن الجوزي على ذلك.

- أمـا بالنسـبة للمبادئ التربوية فإننا نلاحظ بأن هناك توافقاً بين ابن الجوزي والتربية الحديثة في المبادئ التالية :

مراعاة الفروق الفردية ، والربط بين العلم والعمل ، والدعوة إلى عدم التقليد ، والاهتمام بقيمة الزمن ، والدعوة إلى الثقافة والمطالعة ، والتربية المستمرة ، والـتعلم الذاتـي ، والاهـتمام بـالعقل وتدريبه ، والعزلة والاختلاط (التربية الفـردية-الاجتماعية) ، والربط بين الحفظ والفهم ، والدعوة إلى علو الهمة . كمـا اختلفـت التربـية الحديثة معه باستخدام أسلوب الحفظ ، حيث يركز ابن الجوزي على ذلك، أما التربية الحديثة فلا تهتم بالحفظ والتلقين ، وتهتم بالتعلم عـن طريق العمل وغير ذلك من الطرق الحديثة . كما اختلفت التربية الحديثة مـع ابـن الجوزي في رؤيته إلى عدم الجمع بين علمين ، حيث رأى ضرورة

إتقـان العلـم الأول ومـن ثم الانتقال إلى علم آخر ، أما التربية الحديثة فترى ضرورة تعليم المباحث المختلفة معاً كي لا يشعر الطالب بالملل .

- فقـد اتفـق معظـم علماء التربية الحديثة مع ابن الجوزي بضرورة العقاب ، ولكـنهم اختلفوا معه حول العقاب البدني حيث اعتبره ابن الجوزي الحل الأخير في قائمة العقوبات ، أما التربية الحديثة فقد رفضته .

- أمـا بالنسبة للتربية الخلقية فقد اختلف ابن الجوزي مع التربية الحديثة ، حيث كانـت تربيـته الخلقية تربية مستمدة من الدين ، أما الأخلاق بالنسبة للتربية الحديثة فهي نفعية نسبية ومتغيرة .

- أما بالنسبة للأساليب التي استخدمها ابن الجوزي والمتمثلة بالمجالس الوعظية فهي غير موجودة في التربية الحديثة ، وإن كانت هناك بعض الدروس الدينية التـي توازنهـا . كما أن طريقة القصة ، والقدوة ، وإعداد التصانيف ما زالت مسـتخدمة حتى وقتنا الحاضر ، وبالإضافة إلى ذلك فقد ظهرت طرقاً جديدة لم تكن موجودة في عصر ابن الجوزي كطريقة المشروع وغيرها .

هـ : ما درجة تطبيق هذه الأفكار التربوية في عصرنا الحالي ؟

- هـناك اخـتلاف بيـن تقسيم العلوم عند ابن الجوزي حيث يقسم العلوم إلى محمـودة ، وتقسـم هـذه العلـوم إلـى فرض عين وفرض كفاية ، وعلوم مذمومة، أما في وقتنا الحالي فليس هناك ما هو فرض عين أو فرض كفاية، فالـباب مفـتوح أمام الدارسين لتلقي العلوم الأدبية والعلمية ، والتطبيقية ، والدينية .

- تخـتلف أهداف التربية العربية عن أهداف ابن الجوزي فهي أهداف مشتقة من الإسلام ، ومن العروبة ، ومن اتجاهات العصر وخصائصه ومستلزماته . أما أهداف ابن الجوزي فهي مشتقة من الدين الإسلامي .

- أمـا بالنسبة لدرجة تطبيق مبادئ ابن الجوزي التربوية في عالمنا العربي ، فـيلاحظ أن هناك تطبيقاً لمبدأ مراعاة الفروق الفردية . أما بالنسبة لأسلوب الحفـظ، فما زالت مناهجنا تعنى بحفظ المعلومات واستظهارها ، على الرغم

مـن الدعوة إلى استخدام الأسلوب الناقد ، وأسلوب حل المشكلات ، والتعلم عـن طـريق العمـل . أما بالنسبة للربط بين العلم والعمل ، فإن السياسات التعليمـية تدعو لذلك ولكن رغم الجهود المبذولة لتحقيق ذلك ما زالت الدول العربـية تعانـي من عدم التوازن بين التعليم الأكاديمي والمهني ، فالناحية الأكاديمية واللفظية بقيت غالبة على الناحية العملية والتطبيقية .

- أما بالنسبة إلى عدم الجمع بين علمين ، فإن هذا المبدأ غير مطبق في العالم العربـي حيث يتم تعليم الطالب المباحث المختلفة معاً . أما بالنسبة للاهتمام بقيمة الزمن فتعمل التربية في البلاد العربية جاهدة لتحقيق ذلك للاستفادة من الوقـت داخـل المدرسة وفق برنامج معين . أما بالنسبة للمطالعة والثقافة فالباب مفتوح أمام الجميع لذلك ، وذلك بسبب تنوع مصادر المعرفة .

- أمـا التربية المستمرة ، فإن الدول العربية تعمل على تطبيق هذا المبدأ من خـلال برامج تدريب المعلمين أثناء الخدمة ، وتعليم الكبار ، ومحو الأمية ، إلاّ أنـنا بحاجـة إلـى التركيز على استمرارية ا لتعليم ، وذلك لبقاء الأمية متفشـية في مجتمعنا العربي . أما بالنسبة للتعلم الذاتي ، فإن الدول العربية تقوم بتطبيقه وذلك من خلال استخدام أسلوب التعليم بالمراسلة ، والتعلم عن بعد ، وشبكة الانترنت .

- أما العقل وتدريبه ، فهناك تركيز في الأهداف والسياسات التربوية على تنمية قـدرات الطالـب العقلـية ، وأدخلت طرق تعليمية تحث على استخدام العقل كالتفكـير الناقد ، وحل المشكلات . ولكننا بحاجة إلى بذل جهد أكبر لتحقيق ذلـك ، وذلك لأن مناهجنا ما زالت ممتلئة بالمعلومات التي تعتمد على الحفظ والتلقيـن ، وطرقـنا مـا زالـت تقلـيدية ، تقوم على حشو أدمغة الطلبة بالمعلومات.

- أما بالنسبة للعزلة والاختلاط ، يلاحظ أن التربية العربية تتفق مع هذا المبدأ حيـث تهتم بالتربية الفردية والاجتماعية للفرد ، أما بالنسبة لإثارة الدافعية فهذا المبدأ مطبق في مدارسنا .

- أمـا بالنسـبة للأسـاليب التـي اتبعها ابن الجوزي في تدريسه فيلاحظ أن المجـالس الوعظية لم تعد واسعة الانتشار واصبح استخدامها مقصوراً على خطـب الجمعة والدروس الدينية . أما القصة ، واستخدام الأمثلة ، والتعليم بطريق القدوة ، واستخدام التصانيف ، فما زالت مستخدمة في مدارسنا .

- أما بالنسبة لتعليم المرأة ، فجميع الدول العربية تدعو إلى ذلك في سياساتها التعليمية . أما على أرض الواقع فما زال هناك تأخر في تعليم المرأة بالنسبة للرجل في البلاد العربية .

ثانياً : التوصيات :

على ضوء النتائج التي توصلت لها الباحثة في هذه الدراسة ، وللاستفادة من هذه الدراسـة فإن الباحثة تتوجه إلى المعنيين والمهتمين بالعملية التربوية بالتوصيات التالية :

- التركيز على التربية المستمرة وإتاحة الفرصة للجميع للحصول على المعرفة ، للمعلـم أثناء قيامه بالعملية التعليمية ، ولكبير السن الذي فاتته فرصة التعليم في الصغر ، وللشاب الذي تسرب من مقاعد الدراسة لظروف معينة .
- التركـيز على التربية العقلية من خلال استخدام الأسلوب الناقد ، وأسلوب حل المشكلات .
- التركـيز علـى مـبدأ التعلم بالعمل ، والموازنة بين التعليم النظري الأكاديمي والتعليم المهني .
- الاهتمام بإثارة دافعية المتعلم .
- الاهتمام بمرحلة الطفولة والمراهقة في حياة الطالب .
- العمل على مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة .
- الاهتمام بالتربية الخلقية من خلال توظيفها وخاصة في مادة التربية الإسلامية، واللغة العربية .
- العمل على تنمية شخصية الطالب وقدراته الإبداعية ، ودعوته إلى عدم التقليد.
- التركيز على التعلم الذاتي والاستفادة من مصادر المعلومات المتنوعة في عصر الانفتاح المعرفي .
- العمل على احترام المعلم والاهتمام به عن طريق الترفيات والحوافز .
- الاهتمام بتعليم المرأة ، وتوفير الفرص لتحقيق ذلك على أرض الواقع .

أما بالنسبة للباحثين فتوصي الباحثة بإجراء الدراسات التالية :

- دراسة مقارنة للتربية الخلقية عند ابن الجوزي والغزالي وإبن سينا .
- تربية المرأة في الفكر التربوي الإسلامي عبر العصور المختلفة .
- تربية الحكام في الفكر التربوي الإسلامي عبر العصور المختلفة .

المراجع

أولاً : العربية :

- إبراهيم ، عبد اللطيف فؤاد ، (١٩٨٤) . **المناهج : أسسها وتنظيماتها وتقويم أثرها**. (ط٦) . القاهرة : مكتبة مصر .
- إبراهـيم ، قاسـم محمد يوسف ، (١٩٩٩) ، الدور الجديد للمعلم فـي عهد التكنولوجيـا، **رسالة المعلم** ، ٣٩ (٢) ، ٥٠-٥٧ .
- إبراهيم ، ناجيه عبد ا ، (٢٠٠٢) . **قراءة جديدة في مؤلفات ابـن الجــوزي** . (ط٢) . عمان : دار زهران .
- ابـن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري ، (١٩٧٩) . **الكامل في التاريخ. جـ٩** . (-) . بيروت : دار صادر .
- أحمد ، سعد مرسي ، (١٩٨٢) . **تطور الفكر التربوي** . (ط٥) . القاهرة : عالم الكتب.
- أحمد ، عزت راجح ، (١٩٧٩) . **أصول علم النفس** . (ط٤) . القاهرة : دار المعارف.
- أحمـد ، لطفـي بركات ، (١٩٨٢) . **في الفكر التربوي الإسلامي** . (ط١) . الرياض : دار المريخ.
- أحمد ، محمد خلف ا ، (١٩٨٧). **الذكاء عند ابن الجوزي**. دراسات تربوية (يونيه)،١٩-٤١.
- أحمـد ، نازلـي صـالح ، (١٩٨٤) . **حول التعليم العام ونظمه دراسات مقارنه** . (ط١) . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .
- أحمـد بـن حنـبل ، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، (١٩٩٥) . **المسند** . شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر (ج٢) . (ط١) . القاهرة : دار الحديث .
- أحمد بن حنبل ، الإمام أحمد بن حنبل ، (١٩٩٩) . **مسند الإمام أحمد بن حنبل (الموسوعة الحديثـية)** أشـرف على تحقيقه الشيخ شعيب الأرنؤوط (جـ ٢٩) أشرف على هذا الجزء وخـرج أحاديـثه شـعيب الأرنؤوط وآخرون . (ط١) ، بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .
- أفلاطـون ، (١٩٧٤) . **الجمهورية** . ترجمة ودراسة فؤاد زكريا ، (ط٣). القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- أمين ، أحمد ، (١٩٦١) . **ظهر الإسلام** . (ط١) . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية.

- الألباني ، محمد ناصر الدين ، (١٩٨٥) . **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** . (ط٤) . بيروت – دمشق : المكتب الإسلامي .
- الألباني ، محمد ناصر الدين ، (١٩٩٠) . **ضعيف الجامع الصغير وزيادته** (الفتح الكبير) . (ط٣) . بيروت : المكتب الإسلامي .
- الأهواني ، أحمد فؤاد ، (١٩٦٧) . **التربية في الإسلام** . (ط٣) . القاهرة : دار المعارف.
- بارتولد ، ف ، (١٩٥٨) . **تاريخ الترك في آسيا الوسطى** ، نقله إلى العربية أحمد السعيد. (--) . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية .
- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (١٩٤هـ - ٢٥٦هـ) ، (١٩٩٨). **صحيح البخاري** . بحاشية الأمام السندي أبي الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي ت (١١٣٨) هـ . (ط١) . بيروت : دار الكتب العلمية .
- بدران ، شبل والبوهي ، فاروق ومحفوظ ، أحمد فاروق ، (٢٠٠١) . **الأصول الفلسفية للتربية**. (ط١) . الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية .
- بركات ، محمد خليفه ، (١٩٧٦) . **علم النفس التعليمي** (ج٢) . (ط٢) . الكويت : دار القلم.
- بروكلمان ، كارل ، (٢٠٠٢) . **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، نقله إلى العربية أمين فارس ومنير البعلبكي . (ط١٥) . بيروت : دار العلم للملايين .
- ابن بطوطه ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ، (١٩٨٥) . **رحلة ابن بطوطه المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ، ج١ ، حققه وقدمه وعلق عليه الدكتور المنتصر الكتاني . (ط٤) . بيروت : مؤسسة الرسالة .
- بلقيس ، أحمد ، (١٩٩١) . تكييف التعليم لمراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين – الأسس والمبادئ والتطبيقات العملية . **رسالة المعلم** . ٣٢ (١-٢) ، ١٥١-٢١٨ .
- البيهقي : الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤هـ - ٤٥٨هـ) ، (٢٠٠٣). **الجامع لشعب الإيمان** (جـ١٣) ، اشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه مختار أحمد الندوي . (ط١) . الرياض : مكتبة الرشد .
- الترمذي ، الأمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، (١٩٩٨) . **الجامع الكبير** . حققه وأخرج أحاديثه وعلّق عليه الدكتور بشار عواد معروف . (ط٢) . بيروت : دار الغرب الإسلامي .

- ابـن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، (١٩٢٩) . **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** . (ط١) . القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية .
- تقـي الدين ، سيد ، (١٩٧٥) . **مع أبي حنيفة الدينوري** . (ط١) . القاهرة : مطبعة عيسى الحلبي .
- الـتل ، سـعيد ، (١٩٨٧) . **مقدمـة في التربية السياسية لأقطار الوطن العربي** . (ط١) . عمان : دار اللواء للصحابة والنشر .
- توق ، محيي الدين وقطامي ، يوسف وعدس ، عبد الرحمن ، (٢٠٠٢) . **أسس علم النفس التربوي** . (ط٢) . عمان : دار الفكر للنشر والتوزيع .
- ابـــن جبيـــر ، أبـــو الحسيـن محمـد بـــن أحمـد الكناني الأندلسي (٥٤٠-٦١٤ هـ ـ) ، (١٩٥٩) . **رحلـة ابن جبير** . بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر.
- جـرادات ، عـــزت وعبيـــدات ، ذوقـان وابو غزالة ، هيفاء وعبد اللطيـــف ، خيـــري، (١٩٨٣). **الـتدريس الفعـال** . (ط٢) ، عمـان : المؤلفون (المكتبة التربوية المعاصرة).
- جمـال الديـن ، ناديـه ، (١٩٨٣) . **فلسفة التربية عند إخوان الصفا** . (ط١) . القاهرة : المركز العربي للصحافة .
- الجمبلاطـي ، علـي ، وابـو الفـتوح التوانسي ، (١٩٧٣) . **دراسات مقارنة في التربية الإسلامية** . (ط١) . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .
- ابـن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي ، (٢٠٠١) . **أحكام النساء** . تحقيق عكاشه عبد المنان . (ط١) . بيروت : دار اليوسف .
- ابـن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي ، (١٩٩٤) . **أخبار الحمقى والمغفلين** . تحقيق د. عزيزه فوّال . (ط١) . بيروت : دار الكتاب العربي.
- ابـن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي ، (٢٠٠٣) . **الأذكـياء** ، اعتنى به وراجعه الداني بن منير آل زهوي . (ط١) . صيدا – بيروت : المكتبة العصرية .
- ابـن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي ، (٢٠٠٣) . **التبصرة** ، ضبط متنه ، وعلق حواشيه ، وقدم له بركات يوسف هبود ، جـ(١-٢). (ط١). صيدا – بيروت : المكتبة العصرية .

- ابـن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي ، (٢٠٠٣) ، **تلبـيس إبلـيس** ، دراسة وتحقيق وتعليق د. السيد الحميلي . (ط١) . بيروت : دار الكتاب العربي .
- ابـن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي ، (١٩٨٥). **تنبيه النائم على مواسم العمر** ، تقديم وتحقيق وتعليق عرفه حلمي عباس . (ط١) . القاهرة : دار الحديث .
- ابـن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي ، (١٩٨٦) ، **الثـبات عند الممات** ، تحقيق وتعليق عبد اللطيف عاشور . (ط١) . القاهرة : مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع .
- ابـن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي ، (١٩٨٣) . **الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ** ، تحقيق المستشار الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد . (ط١) . الاسكندريه : دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع .
- ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي ، (١٩٩٩) . **ذم الهوى** ، صححه وضبطه أحمد عبد السلام عطا . (ط١) . بيروت : دار الكتب العلمية.
- ابـن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي ، (١٩٨٥) . **الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء** ، تحقيق ودراسة الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد . (ط٣) الاسكندرية : دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع .
- ابـن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي ، (٢٠٠٤) . **صـيد الخاطر** ، تحقيق وتعليق محمد عبد الرحمن عوض ، تخريج أحمد إبراهيـم زهوه . (ط١) . بيروت : دار الكتاب العربي .
- ابـن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي ، (١٩٨١) . **الطب الروحاني** ، عن نسخة الخزانة الظاهرية بدمشق . (ط٢) . القاهرة : مكتبة القدسي.
- ابـن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي ، (١٩٨٧) . **لفـتة الكـبد إلى نصيحة الولد** ، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري . (ط١) . بيروت : دار الكتب العلمية .
- ابـن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي ، (٢٠٠٤) . **مختصـر منهاج القاصدين** ، قسم الترجمة والتحقيق في دار الإسراء . (ط١) . عمان : دار الإسراء للنشر والتوزيع ومكتبة دنديس .

- ابـن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي ، (١٩٧٧) . **المشيخة** ، تحقيق : محمد محفوظ . (ط١) . تونس : الشركة التونسية للتوزيع.
- ابـن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي البغدادي، (١٣٥٧هـ). **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** . (ط١) . حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية .
- الجـوزو ، محمـد علـي ، (١٩٨٠) . **مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنة** . (ط١) . بيروت : دار العلم للملايين .
- الجوهـري ، إسـماعيل بن حماد ، (ت ٣٩٣هـ) ، (١٩٥٧) . **تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . (ط١) . القاهرة : دار الكتاب العربي .
- جيـتس ، آرثر ، (١٩٥٣) . **علم النفس التربوي** (ج ٣) ، ترجمة إبراهيم حافظ وآخرون . (ط٤) . القاهرة : مكتبة النهضة العربية .
- الحاج ، خالد محمد علي ، (١٩٨٩) . **أعلام التربية والمربين والقدماء والمحدثين** . (ط١). عمان : (د.ن) .
- حسن ، عبد الباسط محمد حسن ، (١٩٨٢). **علم الاجتماع**. (ط١) . القاهرة: مكتبة غريب .
- حسـن ، علي إبراهيم ، (١٩٧٢) . **التاريخ الإسلامي العام** . (ط٢) القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .
- حسـونه ، محمـد السـيد محمد ، (يونيه ١٩٩٣) . تجربة مصر العربية . **المجلة العربية للتربية**، ١٣ (١) ، ٩٤-١٣٥ .
- حسـين ، أحمـد فارس محمد ، (١٩٩٨) . المعلم وتنمية السلوك الديمقراطي لدى الطلبة . **رسالة المعلم** ٣٩ (١) ، ٣١ –٣٢ .
- حلمي ، أحمد كمال الدين ، (١٩٧٨) . **السلاجقه في التاريخ والحضارة** . (ط٢) . الكويت: دار البحوث العلمية .
- حلمي ، فؤاد أحمد ، (١٩٩٨) . **مقدمه في التربية المقارنة** . القاهرة : النهضة العربية .
- أبـو حيان التوحيدي ، علي بن محمد ، (١٩٥٧) . **الامتاع والمؤانسة** ، تحقيق أحمد أمين، وأحمد الزين ، بيروت : مكتبة الحياة .
- الخالدي ، فاضل ، (١٩٦٩) . **الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري** . (ط١) . بغداد : دار الأديب .
- خضر ، فخري رشيد ، (١٩٨٢) . **تطور الفكر التربوي** . (ط١) . بغداد : دار الرشيد.

- الخطيب ، عبد الكريم ، (١٩٧١). ا والإنسان . (ط٢) . بيروت : دار الفكر العربي.
- ابـن خلكـان ، أبـي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، (١٩٧١) . **وفيات الأعيان** ، تحقيق إحسان عباس ، المجلد ٣ . بيروت : دار الثقافة .
- الخميسـي ، السيـد سلامه ، (٢٠٠٠). **التربية والمدرسة والمعلم قراءة اجتماعية ثقافية** . (ط١) . اسكندرية : دار الوفاء للطباعة والنشر .
- الخولـي ، عبد العزيز ، (١٩٩٠) . **التربية والتعليم عند ابن الجوزي** . (ط١) . القاهرة : عالم الكتب .
- أبـو داود ، الإمـام الحافـظ المصنف أبو داود سليمان ابـن الأشعث السجستاني الأزدي ، (١٩٨٨). **سنن أبي داود** ج (٤) . (ط١) . القاهرة : الدار المصرية اللبنانية .
- الدسوقي ، عبد المنعم أحمد ، (٢٠٠٠) . منهج ابن الجوزي في تدوين تاريخ الدولة العباسي لدراسة من كتاب المنتظم . **مجلة كلية التربية** جامعة المنصورة (٤٣) ، ٢٥٣-٢٨٤ .
- الدسوقي ، كمال ، (١٩٧١) . **الإجتماع ودراسة المجتمع** . (ط١) . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .
- الذهبي ، الإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبو عبد ا ، (١٩٩١) . **الإعلام ووفيات الأعلام** ، حققه وعلق عليه رياض عبد الحميد مراد وعبد الجبار زكّار . (ط١) . بيروت : دار الفكر المعاصر .
- الذهبـي ، الإمـام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبو عبد ا ، (١٩٩) . **تذكرة الحفاظ** (ج٤). بيروت : دار الكتب العلمية .
- الذهبـي ، الإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبـو عبد ا ، (١٩٩٦) . **سير أعلام النبلاء،** ح(٢١) ، حققـه بشار عواد معروف والدكتور محيي هلال السرحان . (ط١١) . بيروت : مؤسسة الرسالة .
- الـراوي ، مسـارع حسن ، (١٩٦٣) . **دراسات حول التربية في البلاد العربية** . صيدا – بيروت : المكتبة العصرية .
- ابن رجب ، الشيخ الإمام زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد البغدادي ثم الدمشـقي الحنبلـي ، (١٩٥٢) . **الذيـل على طبقات الحنابله** ، (جـ ١) ، وقف على طبعه وصححه محمد حامد الفقي . (ط١) . القاهرة : مطبعة السنة المحمدية .
- الرشدان ، عبد ا ، (٢٠٠٢) . **تاريخ التربية** . (ط١) . عمان : دار وائل للنشر .

- الرشدان ، عبد ا ، (١٩٨٤) . **علم الاجتماع التربوي** . (ط١) . عمان : دار عمار للنشر والتوزيع .
- الرشدان ، عبد ا ، (١٩٩٩) . **علم اجتماع التربية** . (ط١) . عمان : دار الشروق .
- الرشدان ، عبد ا ، (٢٠٠٤) . **الفكر التربوي الإسلامي** . (ط١) . عمان : دار وائل للنشر والتوزيع .
- الرشـدان ، عبـد ا ، (١٩٨٧) . **المدخل إلى التربية** . (ط١) عمان : دار الفرقان .
- الرشـدان ، عـبد ا والجعنيني ، نعيم ، (١٩٩٤). **المدخل إلى التربية والتعليم** . (ط١) . عمان : دار الشروق للنشر والتوزيع .
- الرشـدان، عبد ا والهمشري، عمر، (٢٠٠٢) . **نظام التربية والتعليم في الأردن**. (ط١) . عمان : دار صفاء ، دار وائل .
- رضا ، محمد جواد (ربيع ١٩٨٦) ، **حدود القدرة والإحباط في التخطيط التربوي في العالم العربي** . مجلة العلوم الاجتماعية . ١٤ (١) ، ٣٠٩-٣٢٠ .
- ريحـان ، أحمـد سامي والعامري ، خالد ، (١٩٩٨) . **الإنترنت أسرار الإبداع والتربح من الشبكة للمبتدئين والمحترفين** . (ط٢) . (القاهرة) : دار الفاروق للنشر والتوزيع.
- الزرنوجـي ، بـرهان الدين ، (١٩٨٥) . **تعليم المتعلم طريق التعلم** ، تحقيق وتقديم صلاح الدين الخيمي . (ط١) . دمشق – بيروت : دار ابن كثير .
- الزهرانـي ، محمـد بن مسفر بن حسين ، (١٩٨٢) . **نفوذ السلاجقه السياسي في الدولة العباسية** (٤٤٧هـ-٥٩٠هـ) . (ط١) . بيروت : مؤسسة الرسالة .
- زيدان ، جورجي ، (١٩٥٨) . **تاريخ التمدن الإسلامي** (ج ٣ ، ج٥) ، راجعها وعلق عليها د. حسين مؤنس . (ط٢) . القاهرة : دار الهلال .
- ابن الساعي ، أبو طالب علي بن تاج الدين ، (٦٤٧هـ) ، (١٩٣٤) . **الجامع المختصر في عـنوان الـتواريخ وعـيون السـيرة** تحقيق مصطفى جواد . بيروت : المطبعة السريانية الكاثولوكية.
- سـبـط ابـن الجوزي، العلامة شمس الديـن أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي، (١٩٥٢). **مـرآة الـزمان فـي تاريخ الأعيان** القسم (٢) من جـ(٨) . (ط١) ، حيدر آباد – الهند: مطبعة دائرة المعارف العثمانية .
- سـرحان ، منـير المرسي ، (١٩٨٢) . **في اجتماعيات التربية** . (ط٢) . ا لقاهره : مكتبة الانجلو المصرية .

- ســرور ، محمــد جمال الدين ، (١٩٧٦) . **تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق** . (ط١). القاهرة : دار الفكر العربي .
- ســلطان ، محمد السيد ، (١٩٧٩) . **مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ** . (ط١) . القاهرة : دار المعارف .
- ســلطان ، محمــود السيد واسماعيل ، صادق جعفر ، (١٩٧٧) . **مسار الفكر التربوي عبر العصور** . (ط٢) . ا لكويت : مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع .
- ســليم ، أبو طالب سليم ، (١٩٩٩) . **في الفكر المالي الإسلامي ، اثر المغيرات الاقتصادية والاجتماعية على الفكر الإسلامي في الدولة العباسية** . (ط١) . الإسكندرية: مكتبة الإشعاع الفنية .
- الســيوطي ، الإمــام جــلال الدين . (٢٠٠٢م) . **تاريخ الخلفاء** حققه الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي والشيخ محمد العثماني . دار الأرقم : بيروت .
- أبــو شــامه ، شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، (١٩٧٤) . **تراجم رجــال القرنيــن السادس والسابع ، المعروف بالذيل على الروضتين** ، تحقيق محمد زاهد الكوثري وعزت العطار . (ط١) . بيروت : دار الجيل .
- شــرابي ، هشــام ، (١٩٧٥) . **مقدمات لدراسة المجتمع العربي** . (ط١) . بيروت : الدار المتحدة.
- الشــرايري ، ســلافه وعــيد ، يحــيى إسماعيل ، (١٩٩٤) . **الفروق الفردية في التربية الإســلامية.** في عبد الرحمن صالح عبد ا (محرر) ، المرجع في تدريس علوم الشريعة . (ط١) . (ص ٢٦٩-٢٩٥) . عمان : المحرر .
- الشرقاوي ، حسن ، (١٩٨٣) . **نحو تربية إسلامية** . الاسكندرية (د.ن) .
- الشريف ، أحمد إبراهيم (١٩٦٦) . **العــالم الإسلامي في العصر العباسي** . (ط١) . القاهرة: دار الفكر العربي .
- شــطناوي ، عــبد الكــريم محمود ، (١٩٨٦) . **اثــر طريقتي التعليم المبرمج والعادي في التحصيل في مادة "مقدمة في علم النفس التربوي** . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ، اربد ، الأردن .
- الشــطناوي ، عيد محمد ، (١٩٩١) . **تكافؤ الفرص في التربية الإسلامية** . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة اليرموك ، اربد ، الأردن .

- شلبي ، أحمد ، (١٩٧٨) . **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية** ، ج(٣) الخلافة الإسلامية . (ط٦) . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية .
- شـهلا ، جـورج وجربلـي ، عـبد السميع وحنانيا ، الياس ، (١٩٦١) . **الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية** . (ط٢) . بيروت : المؤلفون .
- الشيخ ، سليمان (١٩٨٢) . **الفروق الفردية في الذكاء** . (ط٢) . القاهرة : دار الطباعة .
- الصابي ، أبو الحسن (أو الحسين) الهلال بن المحسن ت (٤٤٧هـ) ، (١٩٦٤) . **رسوم دار الخلافة** ، تحقيق ميخائيل عواد . (ط١) . بغداد : مطبعة العاني .
- الصـابي ، أبو الحسن (أو الحسين) الهلال بن المحسن ، (١٩٥٨) **الوزراء أو تحفة الأمراء فـي تـاريخ الوزراء** ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج . (ط٢) . القاهرة : دار إحياء الكتب العربية .
- الصـفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، (١٩١١) . **نكت الهميان في نكت العميان** ، وقف على طبعه أحمد زكي بك ، (ط١) . القاهرة : المطبعة الجمالية .
- الصـفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، (١٩٩١) . **الوافي بالوفيات** ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد . (ط٢) . شتوتجارت / المانيا : فرانز شتايز .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (٢٢٤-٣١٠هـ) ، (١٩١٧) . **تاريخ الامم والملـوك**. (ط١) . القاهرة : المطبعة الحسينيه .
- طوقان ، قدري حافظ ، (١٩٦٠) . **مقام العقل عند العرب** . (ط٢) . القاهرة : دار المعارف بمصر .
- الطيطـي محمـد وخصـاونه ، عـون وعريفج ، منير وخطاب ، صالحه والأغبر ، سمر وموسـى، فدوى والحسون ، عدنان وعايش ، لطيفه، (٢٠٠٢) . **مدخل إلى التربية**. (ط١). عمان : دار المسيرة للنشر والتوزيع .
- ظاهر ، أحمد جمال ، (١٩٨٧) . **المرأة العربية مع دراسة ميدانية للمرأة فـي الأردن** . (ط١) . اربد – عمان : دار الكندي للنشر والتوزيع .
- عـاقل ، فاخر ، (١٩٦٤) . **معالم التربية** ، دراسات فـي التربية العامة والتربية العربية . (ط١) . بيروت : دار العلم للملايين .
- عـبد ا ، عـبد الرحمـن صالح ، (١٩٨٦) . **ابـن الجوزي وتربية العقل** . (ط١) . مكة المكرمة : شركة مكة للطباعة والنشر .

- عـبد الخـالق ، شريف بكر ، (١٩٩٠) . **دراسة الأوضاع العلمية والتعليمية في عهد بني بويـه والسـلاجقه** (٣٣٤-٦٥٦هـ) . رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، مصر .
- عـبد الدائم ، عبد ا ، (١٩٩٣) . **بحث مقارن عن الاتجاهات السائدة في الواقع التربوي في البلاد العربية** . تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
- عبد الدائم ، عبد ا ، (١٩٨٧). **التربية عبر التاريخ**. (ط٦) . بيروت : دار العلم للملايين .
- عـبد الدائـم ، عبد ا ، (١٩٩٥) . **مراجعة استراتيجية تطوير التربية العربية** . تونس : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (اليسكو) .
- عـبد الدائم ، عبد ا ، (١٩٩١) . **نحو فلسفة تربوية عربية ، الفلسفة التربوية ومستقبل الوطن العربي** . (ط١) . بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
- عبد العال ، حسن إبراهيم ، (١٩٧٨) . **التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري**. (ط١). القاهرة : دار الفكر العربي .
- عـبد العـال ، حسـن إبراهيم ، (١٩٨٥) . **مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية** . (ط١) . الرياض : دار عالم الكتب .
- عبد العال ، حسن إبراهيم (السنة الرابعة – ١٩٨٤) ، من ملامح الفكر التربوي عند الأمام / أبي الفرج بن الجوزي (تربية الطفل) **رسالة الخليج العربي** (١٣) ، ٢١-٧٢.
- عـبد العزيـز ، صالح ، (١٩٦٩) . **التربية الحديثة مادتها – مبادئها – تطبيقاتها العملية (التربية وطرق التدريس** ج٣)) . (ط٤) . القاهرة : دار المعارف بمصر .
- عبد العزيز ، صالح وعبد المجيد ، عبد العزيز، (١٩٦٣) **التربية وطرق التدريس** (جـ ١). (ط ١٢) . القاهرة : دار المعارف بمصر .
- عبـيـدات ، سليمان ، (١٩٨٥) **أساسيات في تدريس الاجتماعيات وتطبيقاتها العملية** . (ط١). عمان : المطابع التعاونية .
- العـريان ، عبد ا ، (١٩٧٨) ، تفريد التدريس وإعداد المعلم لممارسته . **مجلة تكنولوجيا التعليم** . (١- حزيران) ، ٦٨ .
- العظـم ، جمـيل بك ، (١٩٠٨) . **عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فمائة فأكثر** . (ط١) . بيروت : المطبعة الاهلية .

- عفيفي ، محمد عبد الهادي ومرسي ، سعد أحمد ، (١٩٧٩) . **قراءات في التربية المعاصرة.** (ط١) . القاهرة : عالم الكتب .
- علـم الدين ، مصطفى ، (١٩٩٣) . **الزمـن العباسي** . (ط١) بيروت : دار النهضة العربية للطباعة والنشر .
- علـي ، حـيدر إبراهـيم ، (١٩٨٢) . **التغيير الاجتماعي والتنمية** . (ط١) . القاهرة : دار الثقافة للنشر والتوزيع .
- علـي ، سعيد إسماعيل ، (١٩٨٧) . الفكر التربوي العربي الحديث ، **سلسلة عالم المعرفة**، العدد (١١٣) . الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .
- علي ، سعيد إسماعيل ، (١٩٩٥) . فلسفات تربوية معاصره ، **سلسلة عالم المعرفة** ، العدد (١٩٨) . الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .
- علـي ، سعيد إسماعيل ، (اغسطس ، سبتمبر ١٩٨٩) ، **نقد ابن الجوزي للعلماء** . دراسات تربوية (جزء ٢٠) ، ١٣-٢٤ .
- علي ، نبيل ، (٢٠٠١) . **الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي،** سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٢٧٦ . الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .
- ابن العماد الحنبلي ، الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمـــد بـن محمـد ، (١٩٩٨) . **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، جـ ٥) . (ط١) . بيروت : منشورات محمد بن علي بيضون – دار الكتب العلمية .
- عمـاد الديـن الاصـفهاني ، الفتح بن علي بن محمد البنداري ، (١٩٠٠) . **تاريخ دولة آل سلجوق** . القاهرة : مطبعة الموسوعات .
- العلوجـي ، عـبد الحمـيد ، (١٩٦٥) . **مؤلفات ابن الجوزي** . (ط١) . بغداد : شركة دار الجمهورية .
- العمايره ، محمد حسن ، (٢٠٠٠) . **الفكر التربوي الإسلامي** . (ط١) . عمان : دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة .
- عـيد ، يحـيى إسماعيل ، (١٩٩٨) ، **أخي المعلم كيف تستدل على نجاح عملك**؟ . رسالة المعلم . ٣٩ (١) ، ٦٨ – ٧٧.
- أبـو العينين ، علي خليل ، (١٩٨٦) . **أصول الفكر التربوي الحديث** . القاهرة : دار الفكر العربي .

- الفالح ، جميل رشيد ، (١٩٧٩) . ابن الجوزي ونظراته في التربية والتعليم. **مجلة الرافدين.** (١٠) ، ١٧-٤٢ .
- ابـن الفـرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ، (١٩٦٧) . **تاريخ ابن الفرات** ، تحقيق حسن محمد الشماع . (--) بغداد : جامعة بغداد .
- فهد ، بدري محمد ، (١٩٦٧) . **العامة** . رسالة ماجستير منشورة ، بغداد : مطبعة الإرشاد .
- فهمي ، محمد سيف الدين ، (١٩٨٠). **النظرية التربوية وأصولها الفلسفية والنفسية.** (ط١) . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية .
- فولكييـ ـه ، بول ، (١٩٦١) . **المدارس الحديثة** ، تعريب عبد ا عبد الدائم وآخرون. (ط ٢). دمشق : المطبعة الجديدة .
- الفيروز ابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) ، (١٩١٣) . **القاموس المحيط** – ٤ أجزاء . (ط١) . القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى .
- فيـنكس ، فيليب هـ ، (١٩٦٥) . **فلسفة التربية** ، ترجمة محمد لبيب النجيحي . القاهرة : دار النهضة العربية .
- القدحـات ، محمد عبد ا أحمد ، (١٩٩٦) . **الحياة الاجتماعية** في بغداد (٥٧٥-٦٥٦هـ/ ١١٧٩ – ١٢٥٨م) . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة مؤته ، الكرك ، الأردن.
- القـزاز ، محمـد صالح داود ، (١٩٧١) . **الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الأخير** ٥١٢هـ - ٦٥٦هـ . النجف : مطبعة القضاء .
- ابـ ـن كثـ ـيـ ـر ، الحافـظ ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، (١٩٧٧) . **البداية والنهاية** جـ(١٣). (ط٢) . بيروت : دار المعارف .
- كـرزون ، انـس أحمـد ، (١٩٩٦) . **آداب طالب العلم في ضوء الكتاب والسنة ومسيرة السلف الصالح** . جدة : دار نور للمكتبات .
- كـرم ، يوسـف ، (١٩٧٦) . **تـاريخ الفلسـفة اليونانية** . (ط٦) . القاهرة : لجنة لتاليف والترجمة والنشر .
- الكسـواني ، مصـطفى وأبو حويج ، مروان والخطيب ، إبراهيم وعبد الهادي ، نبيل وأبو الـرب ، يوسـف أحمد ، (٢٠٠٣) . **مدخل إلى التربية** . (ط١) . عمان : دار قنديل للنشر والتوزيع .

- الكيلانـي ، إبراهـيم زيـد وسعيد ، وهمام عبد الرحيم وهندي ، صالح ذياب ، (١٩٨٩) . **دراسات في الفكر العربي الإسلامي** . (ط٢) . عمان : دار الفكر .
- الكيلانـي ، ماجد عرسـان ، (١٩٧٨) . **تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية** . (ط١) . عمان : جمعية عمال المطابع الأردنية .
- ابن ماجه ، الحافظ أبو عبد ا محمد بن يزيد القزويني ، (١٩٩٨) . **سنن ابن ماجه**، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف . (ط١) . بيروت : دار الجيل .
- مالك ، الإمام مالك بن أنس ، (٢٠٠١) . **الموطـأ** ، تحقيق محمد بن الجميل . (ط١) القاهرة : دار البيان الحديثة .
- المـاوردي ، علـي بن محمد بن حبيب ، (١٩٨٣) . **أدب الدنيا والدين** . (ط١) . القاهرة : دار الفرجاني .
- المحاسبي ، الحارث بن اسد والغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد . (١٩٨٦) . **شرف العقل وماهيته** ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا . (ط١) . بيروت : دار الكتب العلمية.
- المحاسنة ، محمد سلامه ، (٢٠٠٠) ، الدافعية وأثرها في التعلم ، **رسالة المعلم** ، ٤٠ (بديل العددين الأول والثاني) ، ٧٨-٨٩ .
- محمود ، أحمد بكير ، (١٩٦٣) . **من مذاهب التربية والتعليم** . (ط١) . تونس : (المؤلف).
- محمود ، زكي نجيب ، (١٩٧٣) . **تجديد الفكر العربي** . (ط٢) . بيروت : دار الشروق.
- محمـود ، محمد ، (١٩٨٤) . **علم النفس المعاصر في ضوء الإسلام** . (ط١) . جدة : دار الشروق .
- مراد ، يوسف (١٩٦٩) : **مبادئ علم النفس العام** (ط٦) . القاهرة : دار المعارف .
- مرسـي ، محمـد عـبد العلـيم ، (١٩٨٤) . **المعلم والمناهج وطرق التدريس** . (ط١) . الرياض: عالم الكتب .
- مرسي ، محمد منير ، (١٩٨٠) . **تاريخ التربية في الشرق والغرب** . (ط١) . القاهرة: عالم الكتب .
- مرسـي ، محمد منير ، (١٩٩٣) . **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**. (ط٢) . القاهرة : عالم الكتب .
- مرعـي ، توفيق وآخرون ، (١٩٨٥) . **مدخل في التربية** . (ط١) . مسقط : وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب .

- مسـلم ، الإمـام مسلم بن الحجاج القسيري النيسابوري ، (١٩٩٤) . **صحيح مسلم** ، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم . (ط١) . بيروت : دار الكتب العلمية .
- مقـبل ، عـثمان سليم ، (١٩٩٧) . **الإمام ابن الجوزي وكتابه العلل المتناهية في الأحاديث الواهية** . رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن.
- المـنجد ، صلاح ، (١٩٧٤) . **الإسلام والعقل على ضوء القرآن الكريم والحديث النبوي** . (ط١) . بيروت : دار الكتاب الجديد .
- مهنا ، علي جميل (١٩٧٠) . **ابن الجوزي ومقاماته الأدبية** . رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الأزهر ، القاهرة ، مصر .
- الميدانـي ، عبد الرحمن حبنكه ، (١٩٧٩) . **الأخلاق الإسلامية وأسسها** . (ط١) . دمشق : دار القلم .
- نابليه ، حسين عبد ا ، (١٩٨٤) . **ابن خلدون** . (ط١) . بيروت : دار الكتاب العربي .
- ناصر ، إبراهيم ، (٢٠٠١) . **أسس التربية** . (ط٦) . عمان : دار عمار للنشر والتوزيع.
- ناصر ، إبراهيم ، (١٩٩٦) . **التربية الدينية المقارنة** . (ط١) .عمان : دار عمار .
- ناصـر ، إبراهـيم ، (١٩٩٤) . **التربية المدنية (المواطنة)** . (ط١) . عمان : مكتبة الرائد العلمية.
- ناصر ، إبراهيم ، (١٩٩٢) . **علم الاجتماع التربوي** . (ط١) . عمان : مكتبة الرائد العلمية.
- ناصر ، إبراهيم ، (٢٠٠١) . **فلسفات التربية** . (ط١) . عمان : دار وائل للطباعة والنشر.
- ناصر ، إبراهيم ، (١٩٩٠) . **مقدمة في التربية** . (ط١) . عمان : دار عمار .
- ناصـر ، محمـد (١٩٧٧) . **الفكر التربوي العربي الإسلامي** (جـ٢) من قراءات في الفكر التربوي . (ط١) . الكويت : وكالة المطبوعات .
- الـنجار ، إبراهـيم ، والبشـير الزريبي ، (١٩٨٥) . **الفكر التربوي عند العرب** . (ط١) . تونس : الدار التونسيه للنشر .
- النجيحـي ، محمـد لبيب (١٩٦٥) ، **الديمقراطية والتربية** . (ط١) . القاهرة : مطبعة لجان البيان العربي .
- النسائي ، أبوعبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي ، (٢١٥-٣٠٣هـ) ، (١٩٩٤) . **سنن النسائي** ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) وحاشية

الأمـام السندي (ت ١١٣٨هـ) حققه ورقمه ووضع فهارسه مكتب تحقيق التراث . (ط٣) . بيروت : دار المعرفة .

- نشواتي ، عبد المجيد ، (١٩٨٤) . **علم النفس التربوي** . (ط١) . عمان : دار الفرقان .
- نشـوان ، يعقوب ، (١٩٩٣) . **التعليم المفرد بين النظرية والتطبيق** . عمان : دار الفرقان للنشر والتوزيع .
- النـوري ، عبـد الغني وعبود،عبد الغني ، (١٩٧٩) . **نحو فلسفة عربية للتربية** . (ط٢). القاهرة : دار الفكر العربي .
- النووي ، أبو زكريا بن شرف الدين ، (١٩٩٥) . **كتاب المجموع** ، شرح المهذب للشيرازي، تحقيق محمد نجيب المطيعي . بيروت : دار إحياء التراث العربي .
- الهاشـمي ، عـبد الحمـيد محمد ، (١٩٨٥) . **الفروق الفردية** . (ط٣) . بيروت : مؤسسة الرسالة.
- الهمشـري ، عمر أحمد ، (٢٠٠١) . **مدخل إلى التربية** . (ط١) . عمان : دار صفاء للنشر والتوزيع .
- الوحـيدي ، أحمد عياد ، (١٩٩٠) . **الفكر التربوي عند برهان الدين الزرنوجي وتطبيقاته التربوية** . رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن.
- ابـن الـوردي ، زيـن الدين عمر ، (١٩٧٠) **تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)** ، تحقيق أحمد رفعت البداوي . (ط١) . بيروت : دار المعرفة .
- وزارة التربية والتعليم ، (١٩٩٩). **تقرير التعليم للجميع عام ٢٠٠٠**، عمان، الأردن.
- وزارة التربـية والتعليم ، (١٩٩٤) . **قانون التربية والتعليم رقم (٣) لسنة ١٩٩٤** . رسالة المعلم . ٣٥ (٢) ، ١٦٣-١٨٨ .
- وزارة التربـية والتعليم ، (٢٠٠٠) . **الكتاب السنوي ١٩٩٩ /٢٠٠٠ منجزات ومؤشرات**، عمان ، الأردن .
- وزارة التربية والتعليم ، (١٩٨٨) . **المؤتمر الوطني الأول للتطوير التربوي** ، رسالة المعلم، ٢٩ (٣-٤) ، ٦٣-٦٤ .
- وودينـج ، بول ، (١٩٧٣) . **اتجاهات حديثة في إعداد المعلم** ، ترجمة حسين سليم قوره. (ط١) . القاهرة : عالم الكتب .

- يالجـن ، مقداد ، (١٩٩١) **معالم بناء نظرية التربية الإسلامية** ، في : فتحي حسن ملكاوي (محرر) ، بحوث المؤتمر التربوي (نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة (جـ٢) . (ط ١) . ص (٣٨٩-٤٨٨) ، عمان : الشركة الجديدة للطباعة والنشر .
- اليونسـكو، (١٩٩٩) . **التعلـيم ذلـك الكنز المكنون** . القاهرة : مركز مطبوعات اليونسكو بالقاهرة .
- يوسـف ، أحمـد. (١٩٥٨) ، **أسس التربية وعلم النفس** . (ط٣) . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .

ثانيا: الأجنبية:

- Blake ,H. and Mepherson , A. (1969) **. Individualizing Instruction – where are we ?** Educational Technology , 9 (12) , 63 .
- Brookfield , Stephen . (1987) **. Developing critical Thinkers** . San Francisco , California : Jossey – Brass inc. , Publishers.
- **The Encyclopedia Americana International Edition** . (1989) . Volume (1) . Danbury : Gorlier Incorporated.
- Howard , B. (1975) . **Individualized instruction** . new Jersy : Engle wood cliffs .
- AL Khuli , M.A. (1989) **. Teaching English to Arab students** . (3rd ed.) Riyad , Saudi Arabia : (No Publisher) .
- Miller , Patricia . (1987) . **Ten characteristics of a good teacher** . Forum, XXXV (1) , 40-41 .
- **New Age Encyclopedia** . (1977) . Volume 1 New York : Gorlier Incorporated .
- Prodromu , Lake . (1991) . **The good language teacher . Forum** , XXXIX (2) , 1-7 .
- **The New Encyclopedia Britannica** . (1995) . Volume 6 . (15th ed) . Chicago : Library of Congress – Copyright under International Copyright union .
- Stenberg , Robert and Baron , B. , Joan . (1985) . **Astate wide approach to measuring critical thinking skills** . Educational Leadership , 43 (2) , 4-43 .
- Woolfolk , Anita . (1987) . **Educational psychology** . New Jersey : Prentice Hall , inc .

الملاحق

ملحق رقم (١) قائمة بأسماء كتب ابن الجوزي

* أخبار الأذكياء ، أو الأذكياء .
* أحكام النساء .
* أخبار أهل الرسوخ في الفقه والتحديث بمقدار الناسخ والمنسوخ من الحديث .
* أخبار الحمقى والمغفلين .
* أخبار الظراف والمتماجنين .
* أخبار النساء .
* تاريخ عمر بن الخطاب، أو سيرة عمر بن الخطاب، أو مناقب عمر.
* التبصرة.
* تبصرة الأخيار في نيل مصر وإخوانه من الأنهار.
* تحفة الواعظ ونزهة الملاحظ.
* التحقـيق فـي أحاديـث التعليق، أو التحقيق في اختلاف الحديث، أو التحقيق في أحاديث الخلاف .
* تذكرة الأريب في تفسير الغريب.
* التذكرة في الوعظ.
* تقويم اللسان.
* تلبيس إبليس، أو الناموس في تلبيس إبليس، أو نقد العِلم والعلماء.
* تسهيل المنافع في الطب.
* تلقيح مفهوم الأثر في عيون التاريخ والسِيَر.
* تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث.
* تنبيه النائم الغمر على حفظ مواسم العمر.
* الثبات عند الممات.
* الحث على حفظ العِلم وذِكر كبار الحفاظ .
* الحدائق في عِلم الحديث والزهديات.
* الخراج.
* دفع شبه التشبيه والرد على المجسمة، أو دفع شبه التشبيه بأكُف التنزيه.
* ذَم الهوى.

* الذهب المسبوك في سِيَر الملوك.
* روح الأرواح.
* رؤوس القوارير في الخطب والمحاضرات والوعظ والتذكير.
* زاد المسير في عِلم التفسير.
* الزهر الفائح في ذِكر من تنزه عن الذنوب والقبائح.
* سلوك الأحزان بما روي عن ذوي العرفان.
* سيرة عمر بن عبد العزيز.
* الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء.
* صفوة الصفوة أو صفة الصفوة.
* صيد الخاطر.
* الضعفاء والمتروكون.
* الطب الروحاني.
* عجائب علوم القرآن.
* عجيب الخطب.
* العروس، أو مولد النبي ﷺ.
* العلل المتناهية في الأحاديث الواهية.
* عمدة الراسخ في المنسوخ والناسخ.
* غريب الحديث.
* فضائل الحسن البصري، أو مناقب الحسن البصري.
* فضائل القدس.
* خـير الأفنان في عيون علوم القرآن، أو فنون الأفنان، أو فنون الأفنان في عجاب علوم القرآن.
* قبضة البيان في ناسخ ومنسوخ القرآن.
* القرامطة.
* القصاص والمذكرون.
* كشف النقاب عن الأسماء والألقاب.
* اللطائف الكبرى.
* اللّطاف في الوعظ.
* لفتة الكبد إلى نصيحة الولد.

* مثـير الغـرام الساكن إلى أشرف الأماكن أو مثير العزم الساكن في فضائل البقاع والأماكن.
* المجتبى من المجتنى.
* مجالس ابن الجوزي في المتشابه من الآيات القرآنية.
* مختصر لقط المنافع.
* مختصر مناقب بغداد.
* مختصر مناقب عمر بن عبد العزيز.
* مختصر المنتظم.
* مختصر صفة الصفوة.
* المدهش في علوم القرآن والحديث واللغة والتاريخ والوعظ.
* المذهب الأحمدي في مذهب أحمد.
* مشيخة ابن الجوزي.
* المصباح المضيء في خلافة المستضيء.
* المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ.
* مقامات ابن الجوزي.
* المقعد والمقيم.
* المقلق.
* ملتقط الحكايات.
* مناقب احمد بن حنبل.
* مناقب بغداد.
* مناقب معروف الكرخي وأخباره.
* منتخب قرة العيون والنواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم.
* المنتظم في تاريخ الملوك والأمَم.
* الموضوعات من الأحاديث المرفوعات.
* نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر.
* الوفا في فضائل المصطفى.
* ياقوتة المواعظ والموعظة.
* اليواقيت الجوزية في المواعظ النبوية.
* نواسخ القرآن.

ملحق رقم (٢) قائمة بأسماء الكتب التي تم الاستعانة بها في هذه الدراسة

* أحكام النساء .
* أخبار الحمقى والمغفلين .
* الأذكياء .
* التبصرة .
* تلبيس إبليس .
* تنبيه الناعم على مواسم العمر .
* الثبات عند الممات .
* الحث على حفظ العمل وذكر كبار الحفاظ .
* ذم الهوى .
* الشفاء في مواعظ الملوك والخلفاء .
* صيد الخاطر .
* الطب الروماني .
* لفتة الكبد إلى نصيحة الولد .
* مختصر منهاج القاصدين .
* المشيخه .
* المنتظم .

Educational Thought of Imam Ibn AL_JAWZI

By
Fikrat Ibrahim Ahmed Awad

Supervisor
Prof. Dr. Abdalla zahi Al Rashdan

Abstract

This study of the educational thought of Ibn Al-Jawzi aims at shedding light on the various aspects of the educational thought of this Scholar. It also aims at highlighting the philosophical, cultural and social principles on which his thoughts were based. In the end, it endeavors to bring to light the contributions of Moslem Scholars in the field of education, and to determine to which extent we can benefit from those contributions in our present time.

This study endeavors to answer this major question: What are the main features of the educational thought of Ibn Al-Jawzi ?

In order to answer this question it was necessary to answer the questions related to it and which focus on this scholar's view point on science, scholars and science students as well as the educational principles, ideas and fundamentals contained in his writings and the methods of acquiring learning at his time; and then comparing those thoughts with the temporary educational thought, and eventually measuring to what extent are these thoughts being applied in the Arab world nowadays.

To answer these questions, a descriptive – historical method was used . Researcher portrayed and analyzed the educational thoughts found in all Ibn Al-Jawzi available books.

This study came to the conclusion that the educational thought of Ibn Al-Jawzi was based on his orthodox belief, as illustrated in his focus on the religious ethical and moral education . His thought which was derived from the Quran and the Sunna - Prophet's tradition- was manifested in his vision of the purpose of science as being seeking the knowledge of Allah and obeying His commands.

In his writings Ibn Al-Jawzi portrayed his view of the qualities of both, the teacher and the learner and provided many teaching methods and mediums. His educational philosophy was not limited to the mosque or places of learning, but included educating women and rulers.

His views on education which were moral and correctional were dictated by the need to reform the social illnesses of his age.

This research concluded that some of the educational principles of Ibn Al-Jawzi are concurrent with modern educational thought, such as: taking individual differences into account, long – term education , learning by doing the importance of literacy , time as an academic value , training the brain, student motivation, and learning for apprehension .

However , some of his principles contradicted with modern educational thought , as he stressed the importance of memorization and objected to studying two disciplines at the same time and advocated corporal punishment, as these ideas are not acceptable in modern educational thought.

The study recommended the following:

1- Recommending those in charge of the educational process to show more concern for teachers and students and to focus on individualized learning , long – term learning, learning by doing , educating the mind and training it through critical thinking and problem - solving skills.

2- Requesting researchers to conduct the following studies:

- **Conducting a comparative study among the moral education in the thoughts of Ibn Al-Jawzi, Al-Ghazali and Ibn – sena .**
- **Women education in the educational Islamic thought throughout the ages .**
- **Ruler education in the educational Islamic thought throughout the ages .**